مجموع تفسير
آيات من القرآن الكريم

لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

تقديم فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

أشرف عليه
الدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

جمع وترتيب
يزيد بن محمد بن عبد الله آل رذعان

طبع على نفقة الشيخ حمد بن عبد العزيز الونيس
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار القبس للنشر والتوزيع

مجموع تفسير آيات من القرآن الكريم

مجموع تفسير

آيات من القرآن الكريم

ح يزيد محمد عبدالله الردعان الدوسري، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدوسري، يزيد محمد عبدالله الردعان

مجموع تفسير آيات القرآن الكريم لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز./

يزيد محمد عبدالله الردعان الدوسري - الرياض،١٤٣٣هـ

٤٠٨ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ١-١٢٦٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن، ١٣٣٢- ١٤٢٠ هـ

٢- القرآن – مناهج التفسير الحديث أ- العنوان

ديوي ٢٢٧،٦ ١٤٣٤/٦٥

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٦٥

ردمك: ١-١٢٦٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبعَة التِّجَارِيَّة - لَدَى مَدَارِ الوَطَنِ

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ

صفر ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

صَفٌّ وَتَصْمِيمٌ وَإِخْرَاجٌ

دَارُ القَبَسِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

المملكة العربية السعودية

شارع الأمير سطام بن عبدالعزيز

ت: ٢٦٨١٠٤٥ – ف: ٤٣٥١٣٩٥

جوال: ٠٠٩٦٦٥٥٢٢٩٣٩٣٨

darulqabas@yahoo.com

الرياض

مجموع تفسير آيات من القرآن الكريم

لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز يرحمه الله

وهو ما تكلم عليه من الآيات القرآنية أثناء فتاواه
ودروسه ومحاضراته وأحاديثه في الإذاعة ونحوها

تقديم فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

أشرف عليه
الدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

جمع وترتيب
يزيد بن محمد بن عبد الله آل ردعان

طبع على نفقة الشيخ حمد بن عبد العزيز الونيس
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار القبس للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة معالي الشيخ
د. صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد اطلعت على هذا المجموع المبارك من تفسير الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية رحمه الله فوجدته مجموعًا مفيدًا نافعًا وهو من جمع الشيخ: يزيد الردعان وبإشراف الدكتور عبد العزيز السدحان وهو مشروع يرجى ثوابه لمن قام به من الجامع والمشرف. نفع الله به الإسلام والمسلمين وكتب ثوابه لشيخنا سماحة عبد العزيز بن باز ولمن تعب في جمعه وترتيبه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:
فقد اطلعت على هذا المجموع المبارك من تفسير الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية رحمه الله. فوجدته مجموعاً مفيداً نافعاً
وهو من جمع الشيخ: يزيد الردعان وبإشراف الدكتور: عبدالعزيز السدحان
وهو مشروع يرجى ثوابه لمن قام به من الجامع والمشرف. نفع الله به
الإسلام والمسلمين وكتب ثوابه لشيخنا سماحة عبدالعزيز بن باز
ولمن تعب في جمعه وترتيبه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
في ٢٤/٦/١٤٣٢هـ

مقدمة فضيلة الشيخ
د. عبد العزيز بن محمد السدحان

الحمد لله الذي علَّم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أنزل عليه القرآن، فعلِمه وعمل به، وعلّمه فكان خير متعلِّم ومعلّم، وبعد:

فإن علم تفسير القرآن من أشرف العلوم وأزكاها وأرفعها، يزيد العالم والمتعلِّم إيمانًا وقوة في الحجة، ولزومًا للمحجة، ولعظيم شأن هذا العلم عني به أهل العلم، فكانت له مدارسه ومصنفاته المتنوعة كمًّا وكيفا، وفهارس المكتبات المطبوعة، فضلًا عن المخطوطة، ناهيك عن المفقودة تشهد شهادة يقين بذلك.

شاهد المقال أن ذلك وغيره يؤكد ما سبق من شرف هذا العلم وعظيم أثره وتأثيره على ملقيه ومتلقيه، وما زال أهل العلم الراسخون خاصة في عنايتهم بعلم التفسير.

ومن أولئك سماحة الإمام شيخ الإسلام في زمانه الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- وهو بحق من الثلة المقدمة في علوم الشريعة.

و الكلام في سيرته وترجمته منثور في كثير من المسموع والمرئي والمقروء.

وإنما الشأن هنا في ميراثه العلمي؛ فقد ترك رحمه الله ميراثًا عظيمًا من الكتب والرسائل والفتاوى، بذل كثير من أهل العلم جهودًا في نشرها والعناية بها، جزى الله الجميع خيرًا.

ولا يزال كثير من ميراث الشيخ حبيس الأشرطة وحواشي كثير من الكتب التي

كانت تقرأ عليه، فيقيد طلابه كثيرًا من تعليقاته النفيسة يسر الله تعالىٰ إخراجها.

ومن ضمن ميراثه العلمي هذا الكتاب الذي بين يديك، وهو جمع لبعض كلام سماحة الشيخ من تعليقه وتفسيره لبعض الآيات القرآنية، فقد كان سماحته يعنىٰ كثيرًا بالقرآن الكريم؛ حثًا علىٰ قراءته وتفسيره، ومن شواهد ذلك: لزوم القراءة في التفسير في كثير من دروسه، وكذا ما تواترت به كثير من مجالسه من افتتاحها بسماع بعض الآيات من بعض الجلساء، ثم تعليق سماحته علىٰ تلك الآيات.

وعودًا علىٰ بدء:

فهذا المجموع الذي بين يديك كان -بعد فضل الله تعالىٰ وتوفيقه- نتيجة محادثة بيني وبين جامعه الأستاذ الكريم يزيد بن محمد الردعان، فقد أشرت عليه بجمع ما يقف عليه من كلام سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ- في تعليقه وتفسيره لبعض الآيات، فاجتهد الأستاذ يزيد في ذلك، وبذل جهدًا مشكورًا.

وخلاصة طريقة عمله كما يلي:

أولًا: الرجوع إلىٰ كتب سماحته حسب الجهد، وعلىٰ رأسها: (مجموع فتاوىٰ ومقالات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز جمع د/ محمد الشويعر)، وكما رجع أيضًا إلىٰ كتب أخرىٰ عُنيت بجمع كلام سماحته، وينظر ذلك في قائمة المراجع.

ثانيًا: ترتيب الكتاب حسب ترتيب السور والآيات في القرآن الكريم.

ثالثًا: نظر معالي الشيخ صالح الفوزان -أثابه الله تعالىٰ- في هذا المجموع، واقترح أن يكون الاسم: «تفسير آيات من القرآن الكريم»، وهو ما

تكلم عليه من الآيات القرآنية في أثناء فتاواه ودروسه ومحاضراته وأحاديثه في الإذاعة وغيرها.

كما نبه معالي الشيخ صالح -حفظه الله تعالىٰ- إلىٰ ضرورة العناية بإخراج الكتاب مطبوعًا علىٰ وجه يليق بكتب العلم.

وقد صحح معالي الشيخ بعض الأخطاء المطبعية؛ شكر الله لمعالي الشيخ صالح حرصه وعنايته علىٰ نشر العلم.

وفي خاتمة هذه المقدمة أقول:

قد أشرت علىٰ الأستاذ يزيد أن يجمع ما يقف عليه من كلام سماحته المتعلق بالبحث علىٰ العناية بالتفسير، وكذا كلامه وفتاواه المتعلقة بالقرآن وأحكامه؛ ليكون هذا المشروع مع هذا المجموع أكثر تكاملًا وأشمل للفائدة.

رحم الله سماحة الشيخ ابن باز، وجزاه خيرًا علىٰ ما قدم للإسلام والمسلمين، وأثاب الله معالي الشيخ صالح الفوزان، وبارك في جميع شأنه، وأثاب الله الأستاذ يزيد الردعان علىٰ ما قام به من جهد، والشكر موصول للشيخ الدكتور أحمد بن عبد الله الدويش الذي راجع الكتاب لغويًا وإملائيًا، وكذا شكر الله للأستاذ/ سعد بن عبد العزيز أبو خليل متابعته لصف الكتاب ومطابقة التعديل الأخير علىٰ أصل الكتاب، ووفق الله المسلمين للعناية بالقرآن والسنة علمًا وعملًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه

الدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

١٩/ ١٠ / ١٤٣٢هـ الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ جَامِعٍ وَمُعِدِّ الْكِتَابِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل صلاة وأتم تسليم.. أما بعد:

فإن أعظم العلوم ما كان لله أقرب، ولسبيل الخير أدعى وأرشد، ولاشيء أنفع ولا أعظم ولا أكثر بركة للعالم أجمع من كتاب الله، وقد حرصت على جمع هذه المادة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-؛ لما يتميز به سماحته من قبول عند طبقات الناس من حُكام ومحكومين، وتجار، وفقراء، وعلماء، ومتعلمين، وعامة، وكذلك ما للشيخ من أسلوب يفهمه العامي والمتعلم، ويفهمه الصغير والكبير، فكلامه في منتهى الوضوح لا غموض فيه ولا تكلف، ولعلَّ ذلك أنفع للناس؛ لأنه بهذا تكون الفائدة مُشاعة لجميع المسلمين.

وقد جُمِعَتْ هذه المادة من كتب سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ومجموع فتواه المتعلقة بالقرآن الكريم وتفسير آياته، واشتمل الكتاب على ثلاثة فصول.

الفصل الأول: تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-.

الفصل الثاني: فتاوى سماحته مع اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الفصل الثالث: بعض المسائل والأحكام المتعلقة بتفسير القرآن الكريم.

وقد حرصت على ترتيب السور والآيات وفق ترتيب سور وآيات القرآن الكريم.

وفي ختام هذه المقدمة أشكر الله ﷻ على توفيقه وامتنانه، ثم أشكر معالي الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- على تصحيحه بعض الأخطاء وتقديمه للكتاب، كما أشكر الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السدحان -حفظه الله- الذي أشار لي بجمع هذه المادة، وأمدني بأكثر مراجعها، فأسأل الله أن يُعظم له الأجر، ويكتب له القبول عنده، كما لا أنسى بالشكر الدكتور أحمد الدويش الذي قام بمراجعة الكتاب، وكذلك الأستاذ نادر النادي على اطلاعه على الكتاب، كما أحمده ﷻ على توفيقه وامتنانه، وأشكره على فضله وإحسانه، وأحمده سبحانه على ما يسَّر في هذا العمل، وأسأله أن يتقبله بواسع فضله وعطائه، وأن يبارك فيه وينفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

يَزِيد بن مُحَمَّد بن عَبْدِالله آل رَدْعَان

٤/ ٦/ ١٤٣٣هـ

۞۞۞

الفصل الأول

تَفْسِيرُ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ

رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

* تفسير سورة الفاتحة وحكم قراءتها في الصلاة:

الحمد لله، وصلى الله على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإن الله -جل وعلا- شرع لعباده في كل ركعة من الصلاة أن يقرؤوا فاتحة الكتاب، وهي أم القرآن، وهي أعظم سورة في كتاب الله عز وجل، كما صح بذلك الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنها أعظم سورة في كتاب الله، وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم، هي الحمد**».

هذه السورة العظيمة اشتملت على الثناء على الله، وتمجيده جل وعلا، وبيان أنه سبحانه هو المستحق لأن يعبد، وأن يستعان به، واشتملت على تعليم العباد، وتوجيه العباد إلى أن يسألوه تعالى الهداية إلى الصراط المستقيم، فمن نعم الله العظيمة على عباده هذه السورة العظيمة، وأن شرع لهم قراءتها في كل ركعة في الفرض والنفل، بأن جعلها ركن الصلاة في كل ركعة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(١). وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟**» قالوا: نعم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، برقم (٧١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، برقم (٥٩٥).

قال: «**لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**»[١].

فالواجب على كل مصل أن يقرأ بها في صلاته خلف إمامه، فلو جهل أو نسي، أو جاء والإمام راكع، سقطت عنه، فيحملها عنه الإمام إذا جاء والإمام راكع ودخل في الركعة أجزأته، وسقط عنه وجوب قراءتها؛ لأنه لم يحضرها؛ لما ثبت في الصحيح من حديث أبي بكرة ﷺ أنه جاء والإمام راكع، فركع دون الصف، ثم دخل في الصف، فأخبر النبي ﷺ بهذا بعد الصلاة، فقال له النبي ﷺ: «**زادك الله حرصًا ولا تعد**»[٢]، ولم يأمره بقضاء الركعة، فدل على أن من أدرك الركوع أدرك الركعة، وهكذا لو كان المأموم جاهلًا، أو نسي الفاتحة ولم يقرأها أجزأته، وتحمَّلها عنه الإمام، أما من علم وذكر، فالواجب عليه أن يقرأها مع إمامه، كما يجب على المنفرد والإمام أن يقرأها، وهي ركن في حق المنفرد، وركن في حق الإمام، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يقول الله ﷻ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله سبحانه: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: الرحمن الرحيم، قال الله جل وعلا: أثنى علي عبدي، وإذا قال العبد: مالك يوم الدين، قال الله سبحانه: مجدني عبدي**»[٣]؛ لأن التمجيد هو تكرار الثناء والتوسع في الثناء، فإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله ﷻ: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، برقم (٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، برقم (٧٤١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، برقم (٥٩٨).

فقوله: إياك نعبد، حق لله؛ فإن حق الله على عباده أن يعبدوه، وإياك نستعين حق للعبد أن يستعين بالله في كل شيء، يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. حق الله عليهم أن يعبدوه، وفي الحديث الصحيح يقول الرسول ﷺ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[(١)]، هذا حق الله على العباد أن يعبدوه بطاعة أوامره، وترك نواهيه، ويحذروا الشرك به ﷻ.

فأصل العبادة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وهذا أصل العبادة وأساس العبادة: توحيد الله، والإيمان برسوله ﷺ فأعظم العبادة وأهمها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فعلى كل مكلف أن يتعبد عن علم ويقين وصدق أنه لا إله إلا الله، والمعنى: لا معبود حق إلا الله كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

وعليه أن يشهد عن علم ويقين وصدق أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله حقًا إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، برقم (٢٦٤٤) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، برقم (٤٣).

فعلى كل إنسان، وعلى كل مكلف من الجن والإنس أن يعبد الله وحده؛ هذا حق الله على عباده ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، يجب على جميع الثقلين؛ جنهم وإنسهم، ذكورهم وإناثهم، عربهم وعجمهم، أغنياؤهم وفقراؤهم، ملوكهم وعامتهم، عليهم -جميعا- أن يعبدوا الله بأداء ما فرض، وترك ما حرم، وعليهم أن يخصوه بالعبادة دون كل ما سواه، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ يعني: أمر ربك وأوصى ربك ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

وفي هذه السورة يقول جل وعلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يُعلِّمنا أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعني: نوحِّدك بدعائنا وخوفنا ورجائنا وصومنا وصلاتنا وذبحنا ونذرنا، وغير هذا من العبادات كله لله وحده، كما قال جل وعلا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، فالذين يتقربون إلى الأصنام أو إلى الأموات من الأولياء وغيرهم بالدعاء أو الرجاء أو الذبح أو النذر أو الاستغاثة قد عبدوا مع الله غيره، وقد أشركوا بالله غيره، ونقضوا قول لا إله إلا الله، وخالفوا قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فالعبادة حق لله ليس لأحد فيها نصيب، فالواجب على كل مكلف أن يعبد الله وحده، والواجب على كل من لديه علم أن يعلِّم الناس، وأن يرشد الناس، وأن يعلِّم أهله، ويرشد الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦].

فعلى جميع المكلفين أن يعبدوا الله، وأن يخصوه بالعبادة بدعائهم وذبحهم ونذرهم وصلاتهم وصومهم، وغير هذا من العبادة، وبهذا نعلم أن ما يفعله بعض الجهلة عند القبور، قبور الصالحين، أو من يزعم أنهم صالحون من دعائهم أو الاستغاثة بهم، أو النذر لهم أن هذا هو الشرك الأكبر، وهذا دين الجاهلية، ويجب الحذر من ذلك، وهكذا البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها هو من وسائل الشرك، وهو من عمل اليهود والنصارى، فيجب الحذر من ذلك، يقول النبي ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1].

فالواجب عليك يا عبد الله، وعليك يا أمة الله الانتباه لهذا الأمر، والعلم بهذا الأمر، وأن العبادة حق الله وحده، وليس لأحد فيها نصيب، ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ هذا حق الله أن نعبده وحده، وأن نستعين به وحده؛ فلا يجوز أن يُدعى مع الله سبحانه إله آخر، ولا نبي ولا غيره، لا محمد ﷺ ولا غيره، ولا البدوي ولا الحسين ولا علي ولا غير ذلك، العبادة حق الله وحده ليس لأحد فيها نصيب، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [الزمر:٦٥]، يخاطب نبيه محمدًا ﷺ ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، برقم (١٣٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٨٢٣).

أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، سيد الخلق لو أشرك بالله لحبط عمله، فكيف بغيره وقد عصمه الله من ذلك وحفظه؟ وقال تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، فالشرك هو أعظم الذنوب وأسوؤها وأخطرها، فالواجب الحذر منه ومن وسائله، يقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

من مات علىٰ التوحيد والإخلاص لله والإسلام، فهو من أهل الجنة، لكن إن كان له ذنوب وسيئات فهو علىٰ خطر، قد يُغفر له وقد لا يُغفر له، وقد يُعذب بمعاصيه؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، فإذا مات علىٰ شرب الخمر، أو علىٰ عقوق الوالدين، أو أحدهما، أو علىٰ أكل الربا، أو علىٰ ظلم الناس، فهو علىٰ خطر عظيم من دخول النار، وقد يُغفر له وقد لا يُغفر، إلا أن يتوب قبل موته توبة صادقة، فمن تاب تاب الله عليه.

وقد دلت السنة المتواترة عن رسول الله ﷺ أن كثيرًا من العصاة يُعذبون في النار علىٰ قدر معاصيهم ولا يغفر لهم، وثبت عنه ﷺ أنه يشفع في جماعة من العصاة، فيحدُّ الله له حدًّا، فيخرجهم من النار، ثم يشفع، فيحد الله له حدًا، فيخرجهم من النار، ثم يشفع، فيحد له حدًا، فيخرجهم من النار التي دخلوها بذنوبهم، ويبقىٰ في النار بقايا من أهل التوحيد دخلوا النار بمعاصيهم، فيخرجهم الله من النار بفضله ورحمته جل وعلا، فاتق الله يا عبد الله، واحذر السيئات، احذر المعاصي كلها، والزم التوبة دائمًا؛ لعلك تنجو ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾؛ فأنت علىٰ خطر إذا مت علىٰ

معصية؛ على الربا، أو على الزنا، أو على العقوق، أو على شرب المسكر، أو على ظلم الناس والعدوان عليهم، أو على الغيبة والنميمة، فأنت على خطر، فحاسب نفسك، وجاهد نفسك، وبادر بالتوبة قبل أن يهجم الأجل، واعرف معنى قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وأن الواجب عليك أن تخص الله بالعبادة دون كل ما سواه، فهو المستحق لأن يُعبد فهو الذي يُدعى ويُرجى ويُخاف ويُتقرب إليه بالصلاة والصوم والحج والنذر والذبح وغير ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ يعني: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:١-٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال جل وعلا: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

جميع من يدعوه الناس من دون الله ما يملكون من قطمير، وهو اللفافة التي على النواة، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]، فالواجب الحذر من دعاء غير الله أو الشرك به، والواجب توجيه القلوب إلى الله عز وجل، وإخلاص العمل لله وحده في صلاتك وصومك وسائر عباداتك.

فقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله: هذا بيني وبين عبدي

ولعبدي ما سأل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حق لله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حق العبد، وحاجة العبد عليه أن يستعين بالله في كل شيء، وفي حديث ابن عباس يقول النبي ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١). فالعبد في غاية الفقر والحاجة إلىٰ الله ﷻ، فعليه أن يستعين بربه في كل شيء، وعليه أن يسأله حاجته، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر:١٥-١٦]، فأنت في أشد الضرورة إلىٰ ربك، فاضرع إليه، واسأله حاجتك، واحذر الشرك به، وخص ربك بالعبادة واحذر أن تشرك بالله شيئًا، لا في ذبحك، ولا في نذرك، ولا في صومك، ولا في صلاتك، ولا في دعائك، ولا في غير ذلك، فالعبادة حق الله يجب إخلاصها لله وحده، وإياك أن تغتر بما يفعله الجهال في كثير من البلدان من العكوف علىٰ القبور، ودعاء أصحابها والاستغاثة بها، هذا هو الشرك الذي نهىٰ الله عنه، وهو الذي بعث الله الرسل بإنكاره، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

بعث الله الرسل جميعًا بإنكار الشرك، والدعوة إلىٰ توحيد الله، وإخلاص العبادة له جل وعلا، فاحذر -يا عبد الله- أن تقع فيما وقع فيه المشركون من عبادة أصحاب القبور أو الأشجار أو الأصنام أو الكواكب أو الجن، كل ذلك شركٌ به، فمن دعا الجن من دون الله، أو دعا الكواكب أو الأصنام، أو استغاث بالأموات أو بالغائبين، فقد أشرك بالله، ووقع في قوله جل وعلا:

---

(١) أخرجه في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم (٢٤٤٠).

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

ثم احذر -أيضًا- من وسائل الشرك؛ كالصلاة عند القبور، واتخاذ المساجد عليها، واتخاذ القباب عليها، كل هذا من وسائل الشرك؛ ولهذا قال ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١). قالت عائشة رضي الله عنها يحذر مما صنعوا، قالت: «ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»، ولما قيل له عن كنائس النصارىٰ وما يفعلون فيها، قال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»(٢)، فبين أن من اتخذ المساجد علىٰ القبور، والصور علىٰ القبور، أنهم شرار الخلق عند الله، فالواجب الحذر من هذه الأعمال السيئة من أعمال اليهود والنصارىٰ والمشركين، ويجب أن تخص الله بالعبادة أينما كنت، تعبده وحده بدعائك وخوفك ورجائك وصلاتك وصومك وذبحك ونذرك، وغيره كله لله وحده، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

(١) صحيح البخاري الصلاة (٤٢٥)، صحيح مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٩)، سنن النسائي المساجد (٧٠٣)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ١٤٦)، سنن الدارمي الصلاة (١٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، برقم (٤٠٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٨٢٢).

ثم يقول سبحانه بعد ذلك: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧]، يعلِّم عباده أن يدعوه بهذا الدعاء، فإذا قال العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ يقول الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، هكذا جاء في الحديث الصحيح، فجدير بك -يا عبد الله- أن تصدق في هذا الدعاء، وأن تخلص في هذا الدعاء، وأن يكون قلبك حاضرًا حين تقول: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ومعنى اهدنا: يعني أرشدنا يا ربنا ودلنا وثبتنا ووفقنا.

تسأل ربك أن يهديك الصراط المستقيم، وأن يرشدك إليه، وأن يُعلِّمك إياه، وأن يثبتك عليه، وما هو الصراط المستقيم؟ الصراط المستقيم هو: دين الله، هو توحيد الإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، هذا هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الله، وهو الإسلام والإيمان والهدى، وهو العبادة التي أنت مخلوق لها ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، هذه العبادة هي الصراط المستقيم، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

والإسلام هو الصراط المستقيم، وهو الإيمان بالله ورسوله، وتوحيد الله وطاعته، وترك معصيته، هذا هو الصراط المستقيم: أن تعبد الله وحده دون كل ما سواه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣]؛ لما ذكر الشرك والتوحيد والمعاصي في قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ

ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٢]، ثم قال بعد هذا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾، فصراط الله: أداء أوامره، وترك نواهيه، هذا صراط الله المستقيم، وأعظمها توحيده والإخلاص له، وأعظم المناهي هو الشرك به، فصراط الله المستقيم توحيده والإخلاص له، وترك الإشراك به، وأداء ما أمر به؛ وترك ما نهى عنه، وهذا هو صراط الله المستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يعني: الزموه واستقيموا عليه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾، وهي البدع والمعاصي التي ينهى الله عنها.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه خط خطًا مستقيما فقال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله فقال: «**هذه السُّبُل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»(١). فالسُّبل هي: البدع والمعاصي والمنكرات التي حرمها الله على عباده، فالواجب الحذر منها، والصراط المستقيم هو توحيد الله وطاعته، وهو الإسلام والإيمان، وهو الهدى، وهو العبادة التي أنت مخلوق لها، صراط واضح، وهو توحيد الله، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذا صراط الله.

(١) سنن ابن ماجه المقدمة (١١) مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٣٩٧).

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]: والمستقيم الذي ليس فيه عوج، قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣]، فالرسول بعثه الله؛ ليهدي إلىٰ صراط مستقيم، وهكذا الرسل جميعا كلهم بعثوا؛ ليهدوا إلىٰ الصراط المستقيم، يعني: يدعون الناس إلىٰ الصراط المستقيم، وهو توحيد الله، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذا صراط الله المستقيم، وربنا يرشدنا في كل صلاة وفي كل ركعة أن نقول: اهدنا الصراط المستقيم، يعني: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم الذي شرعته لنا،وبعثت به أنبياءك، وخلقتنا له،نطلب منك أن تهدينا له، وأن ترشدنا له، وأن تثبتنا عليه، ثم فسره فقال: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ ﴾ هذا صراط الله المستقيم صراطُ المنعَم عليهم، ومن هم المنعَم عليهم؟ هم: الرسل وأتباعهم، وعلىٰ رأسهم إمامهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ وهذا صراطهم صراط الله المستقيم، توحيد الله، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، وهذا الصراط المستقيم، هو صراط المنعَم عليهم، وهم الرسل وأتباعهم إلىٰ يوم القيامة، والصراط المستقيم هو العلم والعمل؛ العلم بما شرع الله، والعمل بذلك، هو الصراط المستقيم، العلم بما شرع الله وبما أوجب الله علىٰ عباده والعمل بذلك، أن تعلم حق الله عليك، وأن تعلم ما أوجب الله عليك، وأن تعلم ما حرم الله عليك، وأن تستقيم علىٰ أداء ما أمرك الله به، وعلىٰ ترك ما حرم الله عليك، هذا هو صراط الله المستقيم الذي تطلب ربك في كل ركعة أن يهديك صراطه المستقيم.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾: غير صراط المغضوب عليهم وهم

اليهود وأشباههم، عرفوا الحكم وحادوا عنه، وتكبروا عن اتباعه، وغير طريق الضالين وهم النصارىٰ وأشباههم، الذين تعبَّدوا علىٰ الجهالة والضلالة، فصراط المنعَم عليهم هم أهل العلم والعمل الذين عرفوا الحق وفقهوه،وعملوا به، وأما المغضوب عليهم فهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، كاليهود، وأشباههم وعلماء السوء الذين يعرفون الحق ويحيدون عنه، ولا يدلون إليه، والضالون هم النصارىٰ وأشباههم ممن جهل الحق، ولم يبال بدين الله، بل اتبع هواه.

فأنت -يا عبد الله- تسأل ربك أن يهديك طريق المنعَم عليهم، وهم الرسل وأتباعهم، وأن تسأل ربك الهداية إلىٰ صراطه المستقيم، وهو صراط المنعَم عليهم لا صراط المغضوب عليهم، ولا صراط الضالين، واحمد ربك علىٰ هذه النعمة العظيمة، واحرص علىٰ هذا الدعاء، وأحضر قلبك عند هذا الدعاء في الصلاة وغيرها، هذا الدعاء العظيم الذي أنت في أشد الحاجة إليه والضرورة إليه، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: أحضر قلبك، واصدق في هذا الطلب في الصلاة وغيرها، واسأل ربك، وتضرع إليه أن يهديك صراطه المستقيم، وأن يثبتك عليه؛ حتىٰ تكون من أتباعه والسالكين عليه، غير المغضوب عليهم وغير الضالين؛ لأن اليهود تعبدوا علىٰ خلاف العلم، وتابعوا أهواءهم حسدًا وبغيًا، وهم يعرفون أن محمدًا رسول الله، وأن الله بعثه بالحق، ولكن حادوا عن الحق، تكبرًا وتعاظمًا وإيثارًا للدنيا عن الآخرة وحسدًا، والنصارىٰ جهال، يغلب عليهم الجهل والضلال، وهم أقرب للخير من اليهود؛ ولهذا يُسلم منهم الجم الغفير في كل وقت؛ أمَّا اليهود فيندر أن

يسلم منهم أحد، أما النصارىٰ فكثيرًا منهم يسلم في كل وقت؛ لأن قلوبهم أقرب إلىٰ الخير من قلوب اليهود، قال تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة:٨٢].

فالنصارىٰ أقرب، وقلوبهم ألين من قلوب اليهود؛ لأن علَّتهم الجهل والضلال، فإذا عرفوا وبُين لهم، رجع كثير منهم إلىٰ الحق، أما علَّة اليهود فليست الجهل، بل عِلَّتهم الحسد والبغي، وعلتهم مخالفة الحق علىٰ بصيرة، فعلَّتهم خبيثة، وهي التكبر عن اتباع الحق والحسد لأهل الحق، ولهذا قلَّ وندر من يُسلم، ونعوذ بالله من ذلك، فأنت يا عبدالله احمد ربك أن هداك لهذا الصراط، وأن علَّمك إياه، وأن شرع لك أن تطلبه في صلواتك وفي خارج الصلاة، تقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وهذا الصراط هو دين الله، وهو الإسلام، وهو الإيمان والهدىٰ، وهو العبادة التي أنت مخلوق لها، وهو العلم والعمل، أن تعلم ما شرعه الله لك، وما خلقك لأجله، وتعمل بطاعة الله، وتحذر معاصي الله، وتقف عند حدود الله، ترجو ثواب الله، وتخشىٰ عقاب الله، هذا الصراط المستقيم، أساسه وأعظمه وأوله وآخره: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، هذا هو الأساس، هذا هو الأصل، هذا هو أعظم واجب، هذا هو الركن الأول ثم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج؛ كما تقدم في الدرس الماضي.

يقول النبي ﷺ: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا**

رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[(١)]، هذه أركان الإسلام الظاهرة، وما سواها من الأوامر تابع لذلك، واجب مع هذه الأوامر ترك المناهي، والحذر من المناهي؛ خوفًا من الله، وتعظيمًا لله، وإخلاصًا له، هذا هو دين الله، وأساسه توحيده والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ، ثم أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، وهذا هو الصراط المستقيم، يجب عل كل مسلم من الذكور والإناث، وعلى كل جن وإنس، وعلى جميع الثقلين يجب عليهم أن يَثبُتوا على هذا الصراط، وأن يستقيموا عليه، وأن يسألوا الله الهداية إليه، وأن يحذروا مخالفته؛ فهو صراط الله، وهو دين الله، وهو العلم والعمل، والعلم بما شرع الله، واتباعه وأساسه توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ، ثم أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، والمحبة في الله، والبغضاء في الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، كله داخل في الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين آمنوا بالله ورسوله، وأخلصوا لله العمل، وصَدَقوا، وتفقهوا في الدين، وعملوا بطاعة الله، وتركوا معصيته، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم، هم المنعَم عليهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، برقم (٢٢).

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١]، هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم، وماذا وعدهم؟ قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢].

فالله وعد المؤمنين والمؤمنات الجنة والسعادة، وهذا هو جزاؤهم في الدنيا الرحمة، يرحمهم الله بالتوفيق والهداية والتسديد، وفي الآخرة بإدخالهم الجنة والرضى عنهم، هذا جزاء أهل الصراط المستقيم، فاحرص يا عبد الله، واحرصي يا أمَة الله على الاستقامة على الصراط، احرصوا والزموا هذا الصراط، والزموه، واستقيموا عليه عن حبٍ وعن رغبةٍ وعن محبةٍ، وعن صدقٍ وعن إخلاص لله، وعن موالاةٍ لأولياء الله، ومعاداةٍ لأعداء الله، وصبرٍ على طاعة الله، وكف عن محارم الله، وتواصٍ بالحق وتعاون على البر والتقوى، وأمرٍ بالمعروف ونهي عن المنكر، وهكذا المؤمنون، هكذا الصادقون، هكذا أصحاب الصراط المستقيم.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، وأن يجعلنا وإياكم من هؤلاء الموفقين، وأن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين الثابتين على صراطه المستقيم السالكين له المستقيمين عليه؛ إنه سميع قريب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

[مجموع الفتاوى د. الشويعر (٢٤/ ١٧٦)]

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

* سؤال: هل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] الآية؟ من آيات الصفات أم.. لا؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب: بسم الله، والحمد لله، وبعد:

نعم هذه الآية من آيات الصفات؛ فهي تثبت أن الله له وجه كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، والواجب إثبات الوجه لله، والوجه اللائق لله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وهي من آيات القِبلة من جهة أن المؤمن يستقبل أي جهة إذا خفي عليه الأمر، فيجتهد ويصلي لأي جهة ظن أنها قبلة، ويجزيه ذلك، ففي الأسفار قد تشتبه الأمور، فإذا اجتهد وظن أن القبلة في جهة معينة حسب اجتهاده وصلى فلا حرج عليه والحمد لله ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ الله جل وعلا أمام المصلي؛ فإن الله يقبل وجهه أينما كان، وهو فوق عرشه، وفوق جميع خلقه سبحانه وتعالى؛ لأنَّ صفات الله لا تشابه صفات المخلوقين، وهو سبحانه فوق العرش، وفوق جميع الخلق، وأينما توجه العباد فهم إليه سبحانه وتعالى.

[سلسلة كتاب الدعوة (١١) الفتاوى لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز(٣/ ٥)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨].

* سؤال: هذا سائل يسأل عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ويقول: ذلك بأننا سمعنا أناسا في الحرم يفسرون: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ بأنه ليس من الضروري في الحج والعمرة؟

الجواب: هذا غلط، فالنبي ﷺ أمر بالسعي وسعىٰ، وكان المسلمون يتحرجون أولًا من السعي؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يسعون بين صنمين علىٰ الصفا والمروة، فلما جاء الله بالإسلام تحرجوا قيل لهم: لا حرج، والسعي بينهما لله لا للأصنام، لله وحده ﷻ، كل شعائر الله إعلانه وأحكامه جل وعلا؛ ولهذا طاف النبي ﷺ بينهما وقال: «خذوا عني مناسككم»(١)، في عمرته وفي حجه ﷺ فليس هناك جناح في الطواف بهما كما طاف النبي ﷺ.

هذا رد علىٰ من تحرج في السعي بينهما، وأنهما كانا بين صنمين؛ الصفا والمروة إساف ونائلة، كان المشركون يسعون للصنمين، فأبطل الله عبادة الأصنام، وأقرَّ السعي لله وحده لا شريك له.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ١٩٠)]

* * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحج) برقم (٢٢٨٦).

* الصيام وسيلة للتقوىٰ:

وقوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام؛ لنتَّقيه سبحانه، فدل ذلك علىٰ أن الصيام وسيلة للتقوىٰ، وهي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر، وترك ما نهىٰ عنه عن إخلاص لله ﷻ ومحبة ورغبة ورهبة، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه، فالصيام شُعبة عظيمة من شعب التقوىٰ، وقُربة إلىٰ المولىٰ ﷻ، ووسيلة قوية إلىٰ التقوىٰ في بقية شؤون الدنيا.

[كتاب أركان الإسلام للإمام ابن باز (ص:٢٤٤)]

* * *

تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢].

* **سؤال**: نرجو إيضاح قول الله تعالىٰ عن الكهنة ومن شابههم الذين تركوا طريق الله، وذهبوا إلىٰ الشياطين؛ ليتعلموا منهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله، كيف يكون ذلك؟ وهل يحدث ذلك الضرر للمؤمنين من هؤلاء الفاسقين؟ وما طريق الوقاية من هذه الشرور والأضرار؛ حيث يروج كثير من الكهنة للعوام قدرتهم علىٰ ذلك؟

الجواب: قد تكون هذه الطرق الخبيثة من خدمة الشياطين، وخدمة من تعاطىٰ هذه الأمور، وصحبتهم لهم، وتعلمهم من هؤلاء السحرة والكهنة

والرمالين والعرافين، وغيرهم من المشعوذين، فيتعاطون هذه الأمور من أجل المال، والاستحواذ على عقول الناس، فيقولون: إنهم يعرفون كذا ويعرفون كذا، وهذا واقع، والله يَبتلي عباده بالسراء والضراء، ويَبتلي عباده بالأشرار والأخيار؛ حتى يتميز الصادق من الكاذب، وحتى يتميز ولي الله من عدو الله، وحتى يتميز من يعبد الله ويسعى في سلامة دينه ويحارب الكفر والنفاق والمعاصي والخرافات، وبين من هو ضعيف في ذلك، أو مُخلِدٌ إلى الكسل والضعف.

والله يميز الناس بما يبتليهم من السراء والضراء، وشدة الرخاء، وتسليط الأعداء والجهاد؛ حتى يتبين أولياء الله من أعدائه المعاندين لدين الله، وحتى يتبين أهل القوة في الحق من الضعفاء الخاملين، وهذا واقع لا شك فيه، والتوقي لذلك مشروع بحمد الله، بل واجب، وقد شرع الله لعباده أن يتوقوا شرهم بما شرع ﷻ من التعوذات والأذكار الشرعية، وسائر الأسباب المباحة، فقد قال ﷺ: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**» أخرجه مسلم في صحيحه.

وكما أخبر النبي ﷺ: «**من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم ثلاث مرات في المساء، لم يضره شيء حتى يصبح، ومن قالها ثلاث مرات في الصباح لم يضره شيء حتى يُمسي**»[1]، وكما أخبر النبي ﷺ: «**أن من قرأ آية الكرسي حين ينام على فراشه لم يضره شيء حتى يصبح**»، وهذا من فضل الله ﷻ، وأخبر ﷺ: أن من قرأ سور الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وسورتي الفلق والناس ثلاث مرات

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الآداب، برقم (٤٤٢٥).

عند نومه لم يضره شيء، فهي أسباب السلامة من كل سوء، وإذا قرأها المؤمن عند النوم (ثلاث) مرات وهكذا بعد الصلوات الخمس، ويُشرع تكرارها بعد صلاة الفجر والمغرب ثلاثًا، وذلك بعد أن ينتهي من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وذلك من فضل الله تعالى على عباده، وإرشادهم إلى أسباب العافية والوقاية من شر الأعداء.

وهكذا من الأسباب الشرعية الإكثار من الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله وأكبر، فهي من أسباب السلامة والعافية؛ لقول النبي ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» أخرجه مسلم في صحيحه.

وهكذا العناية بقراءة القرآن الكريم، والإكثار منها بالتدبر والتعقل، والعناية بأمر الله عز وجل بطاعته وترك معاصيه، وهكذا الإكثار من قول لا إله إلا اله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كلها من أسباب السلامة، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكان في حرزٍ من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من عمله**» متفق على صحته.

ومما يَجمع الخير كله للمسلم العناية بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ قولًا وعملًا، والأخذُ بما أوصى الله به عباده وأمرهم به في كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين، ومن ذلك أنه أوصى عباده بالتقوى، وأمرهم بها في آيات

كثيرة، ولا شك أن التقوىٰ هي أعظم الوصايا؛ فهي وصية الله ﷻ، ووصية رسوله ﷺ وهي جامعة للخير كله.

ومن جملة التقوىٰ: العناية بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد أوصىٰ الله بذلك، فقال جل وعلا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]، وقال جل وعلا: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٢]. ثم قال بعد ذلك: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فقال: أولًا: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، والحكمة في ذلك كما قال جمع من أهل التفسير: إن الإنسان إذا تعقَّل ما خُلق له وما أُمر به، وما خُوطب به، ونظر فيه وتأمله، حصل له به التذكر لما يجب عليه، ولما ينبغي له تركه، ثم بعد ذلك تكون التقوىٰ وفعل الأوامر وترك النواهي، وبذلك يكمل للعبد العناية بما قرأ، أو بما سمع، فإنه يبدأ بالتعقل والتذكر ثم العمل، وهو المقصود.

فالوصية بكتاب الله قولًا وعملًا تشمل الدعوة إليه، والعمل به؛ لأنه كتاب

الله الذي من تمسك به نجا،ومن حاد عنه هلك، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن أبي أوفى، أن النبي ﷺ أوصى بكتاب الله، وذلك حينما سئل عبد الله بن أوفى: هل أوصى النبي ﷺ بشيء؟ قال: «نعم، أوصى بكتاب الله»[(١)]، فالرسول ﷺ أوصى بكتاب الله؛ لأنه يجمع الخير كله.

وفي صحيح مسلم -رضي الله تعالى عنه- أن النبي ﷺ أوصى في حجة الوداع بكتاب الله، فقال: «**إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله، من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك**»، وفي صحيح مسلم أيضًا عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إني تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به**»، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»[(٢)].

فالنبي ﷺ أوصى بكتاب الله، كما أوصى الله بكتابه، ثم الوصية بكتاب الله وصية بالسنة؛ لأن القرآن أوصى بالسنة، وأمر بتعظيمها، فالوصية بكتاب الله وصية بسنة رسوله ﷺ، وهما الثقلان، وهما الأصلان اللذان لابد منهما، من تمسك بهما نجا، ومن حاد عنهما هلك، ومن أنكر واحدًا منهما كفر بالله، وحل دمهُ ومالهُ، وقد جاء في رواية أخرى: «**إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به، كتاب الله، وسنتي**» أخرجه الحاكم بسند جيد.

---

(١) صحيح البخاري، الوصايا (٢٥٨٩)،صحيح مسلم، الوصية (١٦٣٤)، سنن الترمذي، الوصايا (٢١١٩)، سنن النسائي، الوصايا (٣٦٢٠)، سنن ابن ماجه الوصايا (٢٦٩٦)، مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٣٥٥)، سنن الدارمي الوصايا (٣١٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، برقم (٤٤٢٥).

وقد عَرفتَ -أيها المسلم- أن الوصية بكتاب الله، والأمر بكتاب الله وصية بالسنة وأمر بالسنة؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] الآية، ويقول أيضا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]، وهناك آيات كثيرة يأمر فيها سبحانه بطاعته، وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، والعلم النافع هو المتلقىٰ عنهما والمستنبط منهما، فهذا هو العلم، فالعلم هو ما قال الله سبحانه، وقال رسول الله ﷺ، وما جاء عن الصحابة ﷺ؛ لأنهم أعلم بكتاب الله، وأعلم بالسنة؛ فاستنباطهم وأقوالهم تعين طالب العلم، وترشد طالب العلم إلىٰ الفهم الصحيح عن الله وعن رسوله ﷺ ثم الاستعانة بكلام أهل العلم بعد ذلك؛ أئمة الهدىٰ؛ كالتابعين، وأتباع التابعين، ومن بعدهم من علماء الهدىٰ، وهكذا أئمة اللغة يستعان بكلامهم علىٰ فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فطالب العلم يُعنىٰ بكتاب الله ﷻ، ويُعنىٰ بالسنة، ويستعين علىٰ ذلك بكلام أهل العلم المنقول عن الصحابة ومن بعدهم في كتب التفسير والحديث، وكتب أهل العلم والهدىٰ؛ لكي يعرف معاني كتاب الله، فيتعلمها ويعمل بها ويعلمها للناس، لما في ذلك من الأجر العظيم والثواب الجزيل، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: **«خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»**، وقوله ﷺ: **«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلىٰ الجنة»** متفق عليه.

وقد حث الرسول ﷺ على المحافظة على كتاب الله ﷻ وتدبر معانيه؛ لما في ذلك من الأجر العظيم، مثل قول الرسول ﷺ: «**من قرأ حرفًا من القرآن فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها**»(١)، وقوله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»، أخرجه مسلم في صحيحه، وأصحابه: هم العاملون به كما في الحديث الآخر: وهو قوله ﷺ: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامه، وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما**». أخرجه مسلم في صحيحه.

والآيات والأحاديث في فضل القرآن والعمل به وفضل السنة والتمسك بها كثيرة فنسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا أن يوفقنا والمسلمين للتمسك بكتابه وسنة رسوله ﷺ، والعمل بهما، إنه جواد كريم.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ١٨٦)]

* * *

* تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة:١٨٤].

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المكرم سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، وفقه الله وزاده من العلم والإيمان، آمين.

---

(١) سنن الترمذي، فضائل القرآن (٢٩١٠).

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فأشير إلى سؤالكم الشفهي عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٤]، ورغبة سموكم في أن يكون الجواب خطيًّا.

وأفيدكم أن علماء التفسير -رحمهم الله- ذكروا أن الله سبحانه لما شرع صيام شهر رمضان شرعه مخيرًا بين الفطر والإطعام وبين الصوم، والصوم أفضل، فمن أفطر وهو قادر على الصيام فعليه إطعام مسكين.

وإن أطعم أكثر فهو خير له، وليس عليه قضاء، وإن صام فهو أفضل؛ لقوله ﷻ: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فأما المريض والمسافر فلهما أن يفطرا ويقضيا؛ لقوله سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ثم نسخ الله ذلك، وأوجب سبحانه الصيام على المكلَّف الصحيح المقيم، ورخَّص للمريض والمسافر في الإفطار وعليه القضاء؛ وذلك لقوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وبقي الإطعام في حق الشيخ الكبير العاجز، والعجوز الكبيرة العاجزة عن الصوم.

كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، وجماعة من الصحابة والسلف رضي الله عنهم، وقد روى البخاري في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه معنى ما ذكرنا من النسخ للآية المذكورة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ الآية، ورُوِيَ ذلك عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وجماعة من السلف رحمهم الله، ومثل الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، والمريض الذي لا يرجى برؤه، والمريضة التي لا يرجى برؤها؛ فإنهما يُطعمان عن كل يوم مسكينًا، ولا قضاء عليهما، ويجوز إخراج الإطعام في أول الشهر وفي وسطه وفي آخره، أما الحامل والمرضع فيلزمهما الصيام إلا أن يشق عليهما، فإنه يشرع لهما الإفطار، وعليهما القضاء، كالمريض والمسافر، وهذا هو الصحيح في قولي العلماء في حقهما، وقال جماعة من السلف: يُطعمان ولا يقضيان كالشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، والصحيح أنهما كالمريض والمسافر تفطران وتقضيان، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أنس بن مالك الكعبي ما يدل على أنهما كالمريض والمسافر، وأسأل الله عز وجل أن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يجعلنا وإياكم وسائر إخواننا من الهداة المهتدين، إنه سميع قريب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ١٨٩)]

❋ ❋ ❋

* تفسير قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ...﴾ [الآية ١٨٥].

يقول الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].

بين سبحانه أنه أوجب الصيام على من شهد رمضان صحيحًا مقيمًا، وكان في أول ما شرع الله الصيام كان مخيرًا، فمن شاء صام وهو أفضل، ومن شاء أطعم عن كل يوم مسكينًا، وإن أطعم أكثر من مسكين فهو خير وأفضل كما في قوله جل وعلا في أول آيات الصيام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٤]، فصار من شاء أفطر وأطعم، ومن شاء صام والصوم أفضل، ثم ختم الله الصيام على من كان زمن رمضان صحيحًا لا مريضًا مقيمًا لا مسافرًا، فأوجب عليه الصوم، أما المريض والمسافر فعليه عدة من أيام أخر إذا أفطر؛ تيسيرًا من الله جلا وعلا، ورحمة منه ﷻ؛ لأن المريض قد يضره الصوم، وقد لا يتحمل الصوم والمسافر كذلك؛ فالسفر قِطعةٌ من العذاب، وهو مظنَّة التعب، ومظنَّة عدم التحمل، فكان من رحمة الله -جل وعلا- أن أسقط عن المريض وعن المسافر الصوم وقت المرض والسفر، وأوجب عليهما القضاء بعد البرء من المرض وبعد العودة من السفر، وجعل ذلك موسعًا، لم

يجعله فوريًا، بل جعله موسعًا سبحانه، فله أن يؤخر القضاء إلى الشهور الأخيرة في السنة قبل رمضان.

وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تصوم قضاءها في شعبان؛ لمكانة رسول الله ﷺ فدل ذلك على أنه لا مانع من تأخير الصوم إلى رجب أو إلى شعبان أو قبل ذلك، ولا يلزم البدار به في شوال، لكن من أراد أن يتطوع فليبدأ به قبل التطوع؛ لأنه أهم من التطوع، يبدأ به قبل الست من شوال، قبل صيام الاثنين والخميس نافلة، أو يوم عرفة، أو عاشوراء، يبدأ بالقضاء؛ لأنه أهم؛ لأنه فرض، هذا هو المعتمد وهو المقدم عند الجم الغفير من أهل العلم، ثم إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين الحكمة من ذلك فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾، شرع لهم القضاء؛ حتى يُكملوا عدة رمضان ولا ينقصوها، فهي شهر واحد، ثلاثون يومًا إن كَمل، وتسعة وعشرون إن نقص، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ عند النهاية، فإنه يُكبَّر سبحانه عند النهاية يوم الفطر إلى نهاية خطبة عيد الفطر، ويكبر الناس ليلة الفطر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أيضًا، فالشكر مطلوب على ما مَنَّ الله به من نعمة الصيام والقيام، وما مَنَّ بسبب ذلك من المغفرة والعتق من النار، وغير ذلك من وجوه الخير ومضاعفة الحسنات، وبيَّن أهل العلم أن من عجز عن القضاء؛ لكبر سن أو مرض لا يُرجى برؤه، فحكمه حكم من كان في العهد الأول من الإطعام، يُطعم مسكينًا ولا شيء عليه.

هكذا قال جماعة من أصحاب النبي ﷺ، فالشيخ الكبير والعجوز الكبيرة

اللذان لا يستطيعان الصوم يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينًا، وهكذا المريض الذي قد اشتد به المرض ولزمه المرض ولا يُرجىٰ برؤه، وهو كالشيخ الكبير يُطعم مسكينًا، ولا قضاء عليه، والمريض الذي يُرجىٰ له البرء، فهذا يقضي ولو بعد رمضان، ولو بعد رمضانات، ولا شيء عليه غير القضاء، لكن من أخر القضاء وهو قادر تساهلًا، فإنه يجمع بين القضاء والإطعام جميعًا، فإذا أخر إلىٰ رمضان ولم يصم وهو قادر، فإنه يلزمه القضاء، وعليه الفدية والاستغفار، وعليه الإطعام مع ذلك؛ لأن الواجب أن يُبادر بالقضاء قبل رمضان، فإذا أخره من دون عذر حتىٰ جاء رمضان، فإنه يقضيه بعد ذلك، ويُطعم عن كل يوم مسكينًا، كما أفتىٰ بذلك جماعة من أصحاب النبي ﷺ، كالتعزير والتأديب علىٰ تأخيره له إلىٰ ما بعد رمضان آخر، وهكذا الحُبلىٰ والمرضعة حكمهما حكم المريض في أصح أقوال أهل العلم، تفطران وتقضيان كالمريض، إذا شق عليهما الصيام.

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال في المريض والمسافر، يقول ﷺ: «**إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، ووضع عن الحبلىٰ والمرضعة الصوم، لا شطر الصلاة**»[(١)] فالمريض يصلي أربعًا والحبلىٰ تصلي أربعًا، والمرضعة تصلي أربعًا، وإنما كان الكلام في الصوم فقط، فالمريض يفطر ثم يقضي، والحبلىٰ تفطر ثم تقضي، وهكذا المرضعة، أما الصلاة فإنها تامة، أربع في حق جميع المصلين ما عدا المسافر، المسافر هو الذي يقصر الأربع اثنتين، أما المريض فلا، يصلي المريض أربعًا، لكن له أن يؤخر الظهر إلىٰ

(١) أخرجه النسائي في كتاب الصيام، برقم (٢٢٧٥).

العصر، والمغرب إلىٰ العشاء فيجمع بينهما، لكن ليس له القصر، ليس له أن يصلي اثنتين كالظهر والعصر والعشاء، وإنما هذا خاص بالمسافر، وهكذا الحبلىٰ والمرضعة كالمريض، تقضيان الصوم وتفطران إذا شق عليهما الصوم من أجل الحبل أو من أجل الرضيع، فإن كان حملها يُتعبها إذا صامت، ولبنها يَقِل ويضعف عن ولدها إذا صامت أفطرت، ثم تقضي بعد ذلك، الحامل والمرضعة كالمريض سواء.

وقال بعض أهل العلم: إنهما تطعمان إذا أفطرتا أيضًا من أجل الولد، والصواب أنه لا إطعام، وإنما عليهما القضاء فقط، تقضيان كما يقضي المريض إذا شق عليهما الصوم؛ بسبب الحمل أو بسبب الرضاع، هذه أحوال من يجوز له الفطر في رمضان؛ الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة، والمريض الذي لا يُرجىٰ برؤه، والمسافر، والحبلىٰ والمرضعة، هؤلاء ستة ويضاف إليهم الحائض والنفساء، فإنهما تفطران أيضًا، وليس لهما الصوم في حال الحيض والنفاس، ويحرم عليهما الصوم، ولكنهما تقضيان بعد ذلك، صار الجميع ثمانية، الحبلىٰ والمرضع والمريض والمسافر هؤلاء أربعة يقضون ولا إطعام، يقضي المسافر، يقضي المريض، وتقضي الحبلىٰ، وتقضي المرضعة ولا إطعام، لكن من أخر القضاء عن رمضان بغير عذر وجب عليه القضاء مع الإطعام، والشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يُطعمان، ولا يقضيان ما عليهما؛ لأن حالتهما إلىٰ النقص والضعف، فلا قضاء عليهما، لكن يطعمان ما دام عقلهما معهما، ولكنهما عاجزان عن الصوم، فإنهما يطعمان عن كل يوم مسكينًا ولا قضاء، فإن اختل شعورهما واختل عقلهما، فلا صوم ولا إطعام جميعًا زال التكليف، وإذا اختل العقل زال التكليف، إذا

خرِفَ أو خرِفت المرأة، واختل العقل فلا صوم ولا صلاة ولا إطعام؛ لأنه ارتفع التكليف حينئذ، أما السابع والثامن وهما الحائض والنفساء، فهاتان يجب عليهما الإفطار ولا يجوز لهما الصوم، يجب وجوبًا أن تفطر عند وجود الحيض والنفاس، ويجب عليهما القضاء من دون إطعام، إلا إذا أخَّرتا إلى ما بعد رمضان آخر من دون عذر، وجب عليهما القضاء والإطعام جميعًا.

وفق الله الجميع، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[كتاب حديث المساء (ص:٣٠)]

* * *

تفسير قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:١٨٩].

* سؤال: ما معنى قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]؟

الجواب: يسألونك عن الحكمة فيها، يسألك الناس عن الحكمة: لماذا وجدت الأهلة؟ فأخبرهم جل وعلا أنها مواقيت للناس والحج، مواقيت يعرف بها الناس السنين والأعوام والحج، وهذه من الحكمة في خلقها، إذا هلَّ الهلال عرف الناس إذا دخل الشهر وخرج الشهر، فإذا كمل اثنا عشر شهرًا مضت السنة، وهكذا، ويعرف الناس بذلك حجهم وصومهم ومواقيت ديونهم، وعدد نسائهم، وغير ذلك من مصالحهم.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ١٩١)]

* * *

* تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]؟

الجواب: هذه الآية الشريفة ذكر أهل التفسير أنها نزلت في الأنصار في المدينة المنورة لما أرادوا أن يتركوا الجهاد، وأن يتفرغوا إلىٰ مزارعهم، أنزل الله في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فبين سبحانه أن المراد بذلك هو التأخر عن الجهاد في سبيل الله مع القدرة، والآية عامة كما في القاعدة الشرعية أن الاعتبار في النصوص بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، فلا يجوز للإنسان أن يلقي بيده إلىٰ التهلكة أو أن يلقي نفسه من شاهق ويقول: إني أتوكل علىٰ الله، أو يتناول سمًّا ويقول: إني أتوكل علىٰ الله، أو أن يطعن نفسه بسكين ونحوه ويقول: إني أتوكل علىٰ الله إني أُسلِّم، كل هذا لا يجوز، فواجب علىٰ المسلم التباعد عن أسباب الهلكة، وأن يتحرز منها إلا بالطرق الشرعية كالجهاد وغيره.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ١٩٢)]

* * *

* يقول الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ الآية [البقرة:١٩٦].

الله -جل وعلا- بيَّن لعباده هنا أن الواجب علىٰ الحجاج والعمار إتمام الحج متىٰ شرع فيه، ووجب عليهم الإتمام، وهذا محل إجماع بين المسلمين أن الواجب علىٰ من شرع في الحج فرضًا أو نفلًا أن يُتم ذلك وهكذا العمرة؛

لإطلاق قوله سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ كثير من الناس من العامة عند أقل شيء من المعوقات يرفض الإحرام ويلبس الثياب ويغطي رأسه ولا يسأل ولا يبالي؛ هذا غلط كبير، ومخالفة لنص الكتاب والسنة، فالواجب تنبيه الناس على ذلك، والواجب على أهل العلم والدعاة إلى الله جل وعلا والمعلمين إرشاد الناس إلى كل ما قد يخفى عليهم مما أوجب الله، وما حرم الله ﷻ؛ ومن ذلك هذه المسألة التي يقع فيها كثير من الناس، فيخلع ملابس الإحرام، ويأتي أهله، ويفعل محظورات الإحرام من غير سؤال ولا مبالاة، كل ذلك ناشئ عن الجهل، وعدم البصيرة، وعدم المبالاة بأحكام الله جل وعلا، فإذا أُحصِر فلا بأس؛ لأن الله قال: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾، فإن أُحصِر ولم يشترط فعليه أن يهدي ويحلَّ، فعل النبي ﷺ ذلك، فإنه في عام ست من الهجرة لما منعته قريش من الدخول إلى مكة، وكان قد جاء من المدينة قاصدًا العمرة في ألف وأكثر من أربعمائة، فلما مُنع وصدوه عن الدخول، نحر هديه، وحلق رأسه، وتحلَّل ﷺ وأنزل الله في ذلك ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾، يعني: انحروا أو اذبحوا ما تيسر من الهدي قبل الحلق والتقصير؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ هذا في المحصِر، ليس له أن يحلق أو يقصِّر إلا بعد أن ينحر الهدي، وهكذا فعل المصطفى ﷺ وأصحابه لما أُحصروا، نحروا ثم حلَّقوا وتحلَّلوا، وليست في جنس الحاج إنما هي للمحصر، أما الحاج فله أن يُقدم الحلق على النحر، وله أن يرمي ويحلق ثم ينحر بعد ذلك، وله أن ينحر قبل الرمي أيضًا.

والنبي ﷺ رتب الأمور التي تفعل يوم النحر؛ رتبها بفعله ﷺ فرمى ثم نحر

يوم العيد، ثم حلق، ثم تطيب وركب إلى البيت وطاف ﷺ فهذا هو الترتيب المشروع بإجماع المسلمين؛ أن يرمي جمرة العقبة يوم العيد، ثم ينحر هديه أو يذبح إن كان متمتعًا أو قارنًا أو مفردًا وتطوع بالنحر، ثم يحلق أو يقصر والحلق أفضل، ثم الطواف بعد ذلك والسعي إن كان عليه السعي، كالمتمتع أو كان قارنًا أو مفردًا، لكن لم يسع مع طواف القدوم، فإنه يسعى مع طواف الإفاضة، وهذا الترتيب هو المشروع، لكن من قدم بعضها على بعض فلا حرج كما سيأتي -إن شاء الله- في محله.

وقد رتب ﷺ هذا وقال: «**خذوا عني مناسككم**»[1]، وسُئل عن من قدَّم بعضها على بعض، فقال ﷺ: «**لا حرج**». وفي هذا الحج قال له رجل: يا رسول الله، أفضتُ قبل أن أرمي. قال: «**لا حرج**». وقال آخر: نحرتُ قبل أن أرمي. قال: «**لا حرج**». وقال آخر: حلقتُ قبل أن أذبح. قال: «**لا حرج**». قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فما سُئل يومئذ عن شيء قدم أو أخر إلا قال: «**افعل ولا حرج**»[2].

وهذا من تيسير الله تعالى، فهذا في حق الحاج؛ أما المحصِر فليس له أن يحلق إلا بعد النحر، فالآية في المحصر ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾، والخطاب للمحصرين أن لا يحلقوا حتى

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، وبيان قوله ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسككم**»، برقم (١٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الذبح قبل الحلق، برقم (١٧٢١)، ومسلم في كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي، برقم (١٣٠٦).

ينحروا ثم يتحلل، والإحصار على الصحيح يكون بالعدو ويكون بغير العدو، كما جرى يوم الحديبية حين صدَّ الكفار رسول الله ﷺ، وقد يكون بأشياء أخرى غير العدو، كما هو الصحيح من قولي العلماء، كأن تذهب نفقته، أو يضلَّ الطريق، أو يمرض مرض يمنعه من إتمام الحج أو العمرة، فحينئذ ينحر ويحلق ويتحلل كالمحصر بالعدو إلا أن يكون اشترط؛ كما قال النبي ﷺ لضباعة: «**اشترطي أن محلي حيث حبستني**»، فإذا كان اشترط وحضر مانع حل من دون هدي ولا حلق، فإذا أحرم قال: «**فإذا حبسني حابس فمحلي حيث حبستني**»، أو: «**فإن منعني مانع**»، أو ما أشبه ذلك من العبارات الدالة على الاشتراط، فإذا منعه مانع من عدو أو مرض أو نحو ذلك تحلل بدون نحر ولا حلق؛ عملًا بالشرط لقوله ﷺ لضباعة لما قالت: يا رسول الله، إني أشتكي. قال: «**حجي واشترطي أن محلي حيث حبستني**»[1] متفق عليه؛ ولعموم قوله ﷺ: «**المسلمون عند شروطهم**»[2]. فينبغي التنبيه على هذا الأمر؛ لأن كثيرًا من الناس عند أقل عارض يتحلل ولا يبالي.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:٣٥)]

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، برقم (٥٠٨٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه، برقم (١٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب أجرة السمسرة، وأبو داود في كتاب الأقضية، باب الصلح، برقم (٣٥٩٤)، والترمذي في كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس، برقم (١٢٥٢).

* سؤال: يقول تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]. سماحة الشيخ، ما المقصود بالرفث والفسوق والجدال الممنوع؟ وهل من جادل أو بالغ بالعبث أثناء الحج يبطل حجه؟

الجواب: فسر أهل العلم -رحمهم الله- الرفث بالجماع وما يدعو إلىٰ ذلك، والفسوق بالمعاصي، أما الجدال ففسروه بالنزاع والمخاصمة في غير فائدة، أو فيما أوضحه الله وبينه لعباده، فلا وجه للجدال فيه، ويدخل في الجدال المنهي عنه جميع المنازعات التي تؤذي الحجيج وتضرهم، أو تخل بالأمن، أو يراد منها الدعوة إلىٰ الباطل، أو التثبيط عن الحق، أما الجدال بالتي هي أحسن؛ لإيضاح الحق، وإبطال الباطل فهو مشروع، وليس داخلًا في الجدال المنهي عنه، وجميع الأشياء الثلاثة لا تبطل الحج إلا الجماع فقط إذا وقع قبل التحلل الأول، لكنها تنقص الحج والأجر، كما أنها تنقص الإيمان وتضعفه.

فالواجب علىٰ الحاج والمعتمر تجنب ذلك؛ طاعة لله سبحانه، ورغبة في إكمال حجه وعمرته.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ١٩٣)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة:١٩٧].

* **سؤال:** نسأل فضيلتكم عن معنىٰ قول الله سبحانه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة:١٩٧] جزاكم الله خيرًا.

الجواب: يقول الله سبحانه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ معنىٰ الآية: أن الحج يهل به في أشهر معلومات، وهي شوال وذو القعدة والعشر الأُوَل من ذي الحجة، هذا هو المراد بالآية.

وسماها أشهرًا؛ لأن قاعدة العرب إذا ضموا بعض الثالث إلىٰ الاثنين أطلقوا عليها اسم الجمع، وقوله سبحانه: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ يعني: أوجب الحج فيهن علىٰ نفسه بالإحرام بالحج، فإنه يحرم عليه الرفث والفسوق والجدال، والرفث هو الجماع ودواعيه، فليس له أن يجامع زوجته بعد ما أحرم، ولا يتكلم ولا يفعل ما يدعوه إلىٰ الجماع، ولا يأتي الفسوق، وهي المعاصي كلها؛ من عقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والغيبة والنميمة، وغير ذلك من المعاصي.

والجدال معناه: المخاصمة والمماراة بغير حق، فلا يجوز للمحرم بالحج أو العمرة أو بهما أن يجادل بغير حق، وهكذا في الحق لا ينبغي أن يجادل فيه، بل يبينه بالحكمة والكلام الطيب، فإذا طال الجدال ترك ذلك، ولكن لابد من بيان الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن،

وهذا النوع ليس منهي عنه، بل مأمور به في قوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الآية.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ١٩٥)]

* * *

* ما معنى الآية ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [الحج:١٩٧]؟

هذا السائل يقول: أسأل فضيلتكم عن الآية التي فيها ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ ما معنى هذه الآية جزاكم الله خيرًا؟

الجواب: يقول الله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٩٧].

معنى الحج أشهر معلومات: أي: ذو معلومات، أي: ذو وقت معلوم، وهي: شوال، ذو القعدة،و والعشرة الأولى من ذي الحجة، فهذه الأشهر يعني شهران وثلث سماهما أشهرًا؛ لأن العرب إذا ضموا بعض الثالث إلى الاثنين أطلقوا عليها الجمع.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أوجب الحج فيهنَّ على نفسه، أحرم بالحج لأنه لا يأتي الرفث ولا الفسوق ولا الجدال، والرفث: الجماع وهو أن يجامع زوجته بعدما أحرم، ولا يتكلم كلام الفحش معها الذي يتعلق بالنساء، ولا يأتي الفسوق وهي المعاصي، كلها من عقوق الوالدين وقطيعة الرحم، وأكل

الربا، وأكل مال اليتيم، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك من المعاصي، والجدال معناه: المخاصمة والمماطلة فيما لا طائل تحته بغير حق لا ينبغي أن يجادل فيه، بل يبينه بالحكمة والكلام الطيب، فإذا طال الجدال يسكت، ولكن لا يمانع من بيان الحق والجدال بالتي هي أحسن في بيان الحق، وهو غير منهي عنه، بل مأمور به.

[مجموع فتاوى سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د. عبدالله الطيار، والشيخ أحمد الباز (ص:٧٣-٧٤)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣].

* سؤال: ما المقصود يا سماحة الشيخ بقول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣]؟

الجواب: هذه الآية الكريمة في أيام التشريق في النفر الأول والنفر الثاني، يقول الله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ هذه أيام التشريق، يوم الحادي عشر والثاني عشر، والثالث عشر، ليس منها يوم العيد، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ ويوم العيد داخل في العشر التي فيها الذكر، والعشر مأمور فيها بالذكر، والأيام المعدودات مأمور فيها بالذكر أيضًا، كلها ثلاثة عشر يومًا، وكلها مشروع فيها الذكر من أولها إلىٰ آخرها من اليوم الأول من شهر ذي الحجة إلىٰ اليوم الثالث عشر، كلها أيام ذكرٍ وتكبيرٍ وتهليلٍ، ويُشرع للمسلمين فيها التكبير والتهليل في الليل والنهار وفي

المساجد، وفي الطرق، وفي البيوت، وفي كل مكان.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ يعني: الثاني عشر، فلا إثم عليه ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ إلى الثالث عشر ﴿ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾، ذكرهم سبحانه بمجمعهم هذا في عرفات، وفي مزدلفة، وفي منى، أنه يحشرهم يوم القيامة، فهم محشورون إلى الله يوم القيامة حشرًا عظيمًا لا يبقي منهم أحد، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]، فكل الناس محشورون يوم القيامة جميعًا ومجزيون بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فهذا الحشر في منى وعرفات ومزدلفة، وهذا الجمع يُذكّر العاقل بيوم القيامة، وجمع الخلائق في يوم القيامة لعله يستعد لذلك اليوم العظيم، والحجاج فيهم من يريد النفير والتعجل، وفيهم من لا يريد ذلك، فمن تعجل في اليوم الثاني عشر بعد الزوال وبعد الرمي فلا بأس، ومن تأخر حتى يرمي في اليوم الثالث عشر بعد الزوال فلا بأس وهو أفضل؛ لأن الرسول ﷺ تأخر، ولم ينفر إلا في اليوم الثالث عشر ﷺ، فالحجاج مخيرون، من شاء نفر في اليوم الثاني عشر بعد رمي الجمرات الثلاث، فينفر إلى مكة، ثم هو بالخيار إن أحب السفر طاف بالوداع قبل أن يسافر، وإن أحب أن يبقى في مكة أيامًا.

فإذا عزم على السفر طاف للوداع عند السفر، وليس يوم العيد منها، فبعض الناس يغلط، ينفر في اليوم الحادي عشر ويقول: هذا هو اليوم الثاني، هذا

غلط عظيم، فيوم العيد لا يحسب منها، أولها الحادي عشر، يقول النبي ﷺ: «أيام منىٰ ثلاثة، فمن تعجل في يومين، فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه»[(١)]، يعني: الحادي والثاني عشر والثالث عشر.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر (٢٤/١٩٧)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥].

* سؤال: قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ سؤالي: ما معنىٰ اللغو بالأيمان في هذه الآية؟

الجواب: الآية واضحة، يقول الله ﷻ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الآية، وفي الآية الأخرىٰ قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩]، وكسب القلوب نيتها، وقصدها الإيمان بالله والمحبة لله، والخوف من الله، والرجاء لله ﷻ، كل هذا من كسب القلوب، وهكذا نية الحالف وقصده لليمين، وإقباله عليها، هذا من كسب القلوب، أما عند عدم اليمين؛ لكونه يتكلم باليمين من غير قصد، بل جرت علىٰ لسانه من غير قصد، والله ما أقوم، والله ما أتكلم، والله ما أذهب لكذا إلىٰ آخره ولم يتعمدها، بل جرت علىٰ لسانه من غير قصد، أي: عَقَد

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب أول الكوفيين، رقم (١٨٠٢٢)، والترمذي في سننه، كتاب الحج، برقم (٨١٤).

اليمين على هذا الشيء من غير قصد القلب على فعل هذا الشيء، هذا هو لغو اليمين، قول الرجل: لا والله كما جاء في هذا المعنى عن عائشة رضي الله عنها وغيرها في اللغو باليمين.

أما إذا نوى اليمين بقلبه أنه لا يكلِّمه، أو لا والله لا أزوره، أو لا والله لا أفعل كذا، أو لا أشرب الدخان، أو والله لا أشرب الخمر، فهذا عليه كفارة اليمين إذا نقض يمينه، وهي إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو أن يعتق رقبة، فإن عجز عن الثلاثة، صام ثلاثة أيام؛ لقوله جل وعلا: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩].

والمقصود: أن الأيمانَ اللاغية هي التي لا تعتمد، بل تجري على اللسان بغير قصد، هذه هي لغو اليمين، وليست يمينًا منعقدة، وليست من كسب القلوب، وهذا من تعقيد الأيمان، فعلى صاحب هذه اليمين أن يُكفر كفارة اليمين كما تقدم. فإذا قال: والله لا أكلم فلانًا، قاصدًا بقلبه ثم كلمه، فعليه كفارة يمين أو قال: والله لا أزوره، ثم زاره فعليه كفارة يمين، بخلاف إذا مرَّ على لسانه اليمين بغير قصد لم يتعمدها، فليس عليه شيء.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ١٩٩)]

* * *

قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾ [الآيات: ٢٢٦، ٢٢٧].

* سؤال: يقول الله تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ما معنىٰ هذه الآية؟ وما المقصود بالإيلاء؟ أفيدونا أفادكم الله.

الجواب: الإيلاء: هو اليمين، ويؤلون يعني: يحلفون، والألية: هي اليمين، ومعنىٰ أنه إذا قال: والله لا أطؤك، فإنه يُمهل أربعة أشهر، فإن فاء ورجع فالحمد لله، فيطؤها، وإن استمر، فإنه يُوقف إذا طلبت ذلك، أي: إذا طلبت أن يطلقها أو يجامعها، فإن ولي الأمر يوقفه، ويقال له: إما أن تفيء وترجع وتجامع أهلك، وإما أن تطلق في مدة أربعة أشهر، وما زاد عليها يمنع إلا برضاها، أي: إلا إذا سمحت بذلك، فلا بأس وإلا فإنه يوقف، فإن شاء طلق، وإن شاء رجع وفاء واتصل بها.

[فتاوىٰ الطلاق الشيخ ابن باز، د. عبد الله الطيار، والشيخ: محمد بن موسىٰ بن عبد الله الموسىٰ (ص: ٢٢، ٢٨٧)]

* * *

* يسأل عن تفسير آية الكرسي، فلو سمحتم سماحة الشيخ تتفضلون بتفسيرها له؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد: فآية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله بنص الرسول ﷺ وهي قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هذه آية الكرسي وهي آية طويلة، وهي أعظم آية في كتاب الله، وقد اشتملت على معان عظيمة من جهة توحيد الله، وإثبات أسمائه وصفاته، وعموم علمه وقدرته جل وعلا، فقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾: هذه معنى كلمة التوحيد، لا إله إلا الله، فإن معناها: لا إله إلا هو، يعني: لا معبود حق إلا هو، الله لا معبود حق سواه، والإله المعبود، والتأله التعبد، فمعنى: لا إله يعني: لا مألوه، والمألوه معناه المعبود، أي: لا معبود حق إلا الله تعالى، فهو الحي القيوم سبحانه، الحي الذي لا يموت، ولا يعتريه السِّنة والنعاس، لا يعتريه السِّنة وهي النوم، وهو ما فوق النعاس لكمال حياته، فلا نوم، ولا نعاس، ولا موت، ولا غفلة، بل هو في غاية من العلم والقدرة والبصيرة بأحوال العباد سبحانه وتعالى.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، فهو حي حياة كاملة لا يعتريها نقص، ولا ضعف، ولا غفلة، ولا نوم، ولا نعاس، ولا موت، ولا غير ذلك من الآفات، وهو القيوم القائم على أمر عباده، والمقِيم لهم سبحانه، وهو المقيم لمخلوقاته، وهو الحاكم لمخلوقاته، فلا قوام للعبد ولا للمخلوقات إلا به سبحانه وتعالى، وهو الذي أقام السماوات، وأقام الأرض، وأقام كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥]، فهو المقيم

للخلائق، والحافظ لها، والموجِد لها، والمعدِم لها، فهو على كل شيء قدير، ﷻ؛ ولهذا قال بعده: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، يعني: لا تصيبه ولا تعتريه سِنة وهي النعاس، وهي النوم الخفيف، ولا نوم، وهو النوم الثقيل، فلا يعتريه غفلة، ولا نعاس، ولا نوم، ولا موت، بل حياته كاملة ﷻ.

ثم قال ﷻ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: هو المالك لكل شيء، هو المالك للسماء وما فيها، والأرض وما فيها، كما قال جل وعلا في آخر سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة:١٢٠]، وقال في آية أخرى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٤٩]، فهو سبحانه المالك للسماوات والمالك للأرض، والمالك لما فيهما، والمالك لكل شيء جل وعلا، ثم قال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: لا أحد يستطيع أن يشفع إلا بإذنه سبحانه، يعني: يوم القيامة، لا يتقدم أحد يشفع حتى النبي محمد ﷺ إلا بإذنه حتى يأذن له، وما ذلك إلا لعظم مقامه وجبروته.

وكونه سبحانه المستحق لأن يُعظَّم ويُجل، وألا يتقدم بين يديه إلا بإذنه ﷻ، فإذا اشتد الكرب يوم القيامة بالناس، فزع المؤمنون إلى أبيهم آدم ليشفع لهم إلى الله حتى يقضي بينهم، فيعتذر آدم، ثم يُحيلهم على نوح، فيأتون نوحًا فيعتذر ﷺ، ويقول: اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيعتذر ويقول: اذهبوا إلى موسى، فيأتون إلى موسى فيعتذر، كل واحد يقول نفسي نفسي، فيقول لهم موسى: اذهبوا إلى عيسى، فيأتون إلى عيسى، فيقول نفسي نفسي، اذهبوا

إلىٰ محمد ﷺ، فيأتون محمدًا ﷺ فيقول: «**أنا لها**» عليه الصلاة والسلام.

ثم يتقدم فيسجد بين يدي ربه، فيحمده بمحامد عظيمة، ويثني عليه سبحانه بمحامد يفتحها عليه ثم يقال له: «**يا محمد، ارفع رأسك، وقل تُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع**». فإذا به يشفع ﷺ في الناس أن يَقضِيَ اللهُ بينهم، فيقضي اللهُ بين عباده بشفاعته، ثم بعد القضاء يصير أهل الجنة إلىٰ الجنة، وأهل النار إلىٰ النار، فريق في الجنة وفريق في السعير، ويُوقف أهل الجنة لا يدخلونها حتىٰ يشفع فيهم ﷺ فيشفع في أهل الجنة حتىٰ يفتح لهم أبوابها بشفاعته ﷺ، أما في الدنيا، فإن كل إنسان يدعو ربه، مأمور بالدعاء، يقول تعالىٰ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، كلٌّ يدعو ربه أن يغفر له، ويُدخله الجنة، ويُنجيه من النار، ويطلب من إخوانه أن يدعوا له أن يغفر اللهُ له، لا بأس بهذا، لكن يوم القيامة لا يتقدم أحد إلا بإذنه ﷻ؛ الأنبياء وغيرهم لا أحد يشفع إلا بإذنه ﷻ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، كما قال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]، ﷻ، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فالشفاعة لا تكون إلا لمن رضي اللهُ قولَهُ وعملَهُ، وهم أهل التوحيد والإيمان، هم الذين يشفع فيهم الأنبياء، أما أهل الشرك فلا شفاعة لهم كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، للظالمين يعني: المشركين، الظلم إذا أطلق يعني الشرك، إن الشرك لظلم عظيم، فمعنىٰ قوله سبحانه: ما للظالمين -يعني ما للمشركين- من حميم ولا شفيعٍ يطاع، فالمشرك لا تنفعه

الشفاعة، ولا يشفع فيه الرسول ولا المؤمنون، بل ليس له إلا النار يوم القيامة، نعوذ بالله من ذلك.

وإنما الشفاعة لأهل التوحيد والإيمان ولعصاة الموحدين، أما الشفاعة في الموقف، فهي عامة لأهل الموقف جميعًا من الكفار وغيرهم في أن يقضي بينهم، هذه الشفاعة عامة، في القضاء بين الناس، يشفع فيهم النبي ﷺ للقضاء بينهم، فيقضي الله بينهم سبحانه بحُكمه العدل جل وعلا، كما ذكر سبحانه، فقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعني: هو العالم بأحوال عباده، لا يخفى عليه خافية جل وعلا، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ما مضى وما يأتي، ويعلم أحوال عباده الماضيين والآتيين، ويعلم كل شي سبحانه وتعالى فإن الله بكل شيء عليم، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما أطلعهم سبحانه وتعالى.

أما هو، فهو العالم بأحوال عباده كلهم؛ ماضيها ولاحقها، يعلم أحوالهم وما صدر منهم، وما ماتوا عليه وما لهم في الآخرة، يعلم كل شيء سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧]، وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فهم لا يعلمون ما عندهم إلا بتعليمه سبحانه وتعالى، بإطلاعه لهم على يد الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، أو بما يوجد الله لهم في الدنيا من مخلوقات وأرزاق وأشياء يطلعهم عليها سبحانه وتعالى.

ثم قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الكرسي: مخلوق عظيم فوق السماء السابعة غير العرش، قال ابن عباس: هو موضع قدميه؛ قدم الرب

عَزَّوَجَلَّ. وقال بعض أهل العلم: إنه العرش؛ لأن العرش يُسمىٰ كرسيًا، والمشهور الأول أي: أنه مخلوق عظيم فوق السماء السابعة غير العرش الذي هو عرش الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الذي فوقه الله عَزَّوَجَلَّ المذكور في قوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وفي قوله جلا وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ في سبعة مواضع من كتاب الله ذُكِرَ فيه استواؤه علىٰ العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو مخلوق عظيم قد أحاط مخلوقاته، وهو سقفه، قال فيه جل وعلا: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧]، يعني: يوم القيامة، ولا يؤوده حفظهما، أي: لا يُثقل الرب، ولا يشق عليه شيء من مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو الحافظ للسماوات، وهو الحافظ للأرض وما فيهن، ولا يشق عليه ذلك ولا يثقله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه القادر علىٰ كل شيء، ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾، أي: لا يخرجه، ولا يثقله، ولا يشق عليه، بل هو قادر علىٰ كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو العلي العظيم، له العلو المطلق، علو الذات فوق العرش، وهو القهر والسلطان، وعلو الشرف والقدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا هو العلو الكامل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو العالي فوق جميع خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فوق العرش، وهو العلي من جهة كمال أسمائه وصفاته وسلطانه وقدرته جل وعلا، وله الشرف والفضل، فهو أفضل شيءٍ وأشرفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فله علو القهر والسلطان، وعلو الشرف والقدر، وعلو المكان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق العرش، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ هو العلي فوق

جميع خلقه، القادر على كل شيء، العظيم السلطان المتصرف بعباده كيف يشاء، وهو العظيم الذي لا أعظم منه.

هذه هي العظمة الكاملة ﷻ، فلا أعظم منه ولا أكبر، ولا أعلم ولا أقدر ﷻ، فهذه الآية العظيمة فيها هذه الصفات العظيمة ولهذا صارت أفضلَ آيةٍ في كتاب الله، وأعظم آيةٍ في كتاب الله، لكونها اشتملت هذه المعاني العظيمة والأوصاف العظيمة للرب ﷿، وأنه الحيُّ القيوم، وأنه لا معبود بحق سواه، وأنه كامل الحياة، لا تعتريه سِنة ولا نوم، وأنه المالك لكل شيء، وأنه العالم بكل شيء، وأنه لا يؤودُهُ حفظ مخلوقاته، ولا يشق عليه ذلك، بل هو قادر على كل شيء ﷻ، وأن كرسيه قد وسع السماوات والأرض ﷻ، وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ﷻ؛ لكمال قدرته وكمال عظمته، وأنه العلي له العلو المطلق، علو الذات وعلو القهر والسلطان، وعلو الشرف والقدر، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ﷻ، عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته وأفعاله، قاهر فوق عباده كما قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، وهو القائل جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥]، وفي هذا يَعلمُ كل مؤمن وكل مؤمنة عظم شأن هذه الآية، وأنها آيةٌ عظيمةٌ مشتملةٌ على صفاتٍ عظيمة، وبهذا صارت بحق أعظم آيةٍ في كتاب الله ﷿ بنص المصطفى محمد ﷺ، والله ولي التوفيق.

[فتاوى نور على الدرب]

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

* سؤال: مذكور في القرآن ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ فما معنىٰ هذا؟

الجواب: قد ذكر أهل العلم -رحمهم الله- في تفسير هذه الآية ما معناه: هذه الآية خبر معناه النهي، أي: لا تُكرهوا علىٰ الدين الإسلامي من لم يُرد الدخول فيه؛ فإنه قد تبيَّن الرشد، وهو دين محمد ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان، وهو توحيد الله بعبادته وطاعة أوامره وترك نواهيه من الغيّ، وهو: دين أبي جهل وأشباهه من المشركين الذين يعبدون غير الله، من الأصنام والأولياء والملائكة والأنبياء وغيرهم، وكان هذا قبل أن يشرع الله سبحانه الجهاد بالسيف لجميع المشركين إلا من بذل الجزية من أهل الكتاب والمجوس، وعلىٰ هذا تكون هذه الآية خاصة لأهل الكتاب والمجوس إذا بذلوا الجزية والتزموا الصغار؛ فإنهم لا يُكرهون علىٰ الإسلام؛ بسبب هذه الآية الكريمة ولقوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، فرفع سبحانه عن أهل الكتاب القتال إذا أعطوا الجزية، والتزموا الصغار.

وثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر، أما ما سِوىٰ أهل الكتاب والمجوس من الكفرة والمشركين والملاحدة فإن الواجب مع القُدرة دعوتهم إلىٰ الإسلام، فإن أجابوا فالحمد لله، وإن لم يجيبوا وجب جهادهم حتىٰ يدخلوا في الإسلام، ولا تقبل منهم الجزية؛ لأن

الرسول ﷺ لم يطلبها من كفار العرب ولم يقبلها منهم، ولأن أصحابه رضي الله عنهم لما جاهدوا الكفار بعد وفاته ﷺ لم يقبلوا الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس، ومن الأدلة على ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:٥]، فلم يُخيرهم تعالى بين الإسلام وبين البقاء على دينهم، ولم يُطالبهم بجزية، بل أمر بقتالهم؛ حتى يتوبوا من الشرك، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فدلَّ ذلك على أنه لا يُقبل من جميع المشركين ما عدا أهل الكتاب والمجوس إلا الإسلام، وهذا مع القدرة، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تدل على هذا المعنى، منها قول النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله عز وجل**» متفق على صحته. فلم يخيرهم النبي ﷺ بين الإسلام وبين البقاء على دينهم الباطل، ولم يطلب منهم الجزية.

فدل ذلك على: أن الواجب إكراه الكفار على الإسلام؛ حتى يدخلوا فيه ما عدا أهل الكتاب والمجوس؛ لما في ذلك من سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وهذا قول أكثر أهل العلم في تفسير الآية المسؤول عنها، أما أهل الكتاب والمجوس فخصوا بقبول الجزية، والكف عن قتالهم إذا بذلوها لأسباب اقتضت ذلك، وفي إلزامهم بالجزية إذلالٌ وصغار لهم، وإعانة للمسلمين على جهادهم وغيرهم، وعلى تنفيذ أمور الشريعة ونشر الدعوة

الإسلامية في سائر المعمورة، كما أن إلزام أهل الكتاب والمجوس بالجزية حملًا لهم على الدخول في الإسلام، وترك ما هم عليه من الباطل والذل والصغار، ليفوزوا بالسعادة والعزة في الدنيا والآخرة، وأرجو أن يكون فيما ذكرنا كفاية وإيضاح لما أشكل عليكم، وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين للفقه في الدين والثبات عليه؛ إنه خير مسؤول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٠٩)]

* * *

* تفسير قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]:

من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الآية، ما المقصود بـ (النور) في الآية؟

الجواب: إن الله ولي الذين آمنوا، وناصرهُم، ومعينهُم وموفقهُم، يخرجهم من الظلمات؛ ظلمات الشرك، وظلمات المعاصي، والبدع، إلى نور التوحيد والحق والإيمان، يعني: بواسطة الرسُل، وبواسطة كتبه المنزلة، فكفار قريش، وكفار بني إسرائيل، وغيرهم أولياؤهم الطاغوت، والطاغوت الشيطان من الإنس والجن؛ فالشياطين من الإنس والجن هم أولياء الكفرة، يخرجونهم من نور التوحيد والحق إلى ظلمات الشرك والجهل والمعاصي والبدع؛ فالنور في هذه الآية المقصود به: التوحيد، والإيمان، والهدى، والظلمات: الشرك، والمعاصي، والبدع، ونسأل الله العافية.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢١٠)]

تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٨].

* **سؤال:** فسروا لنا قول الحق جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

الجواب: هذه الآية واضحة لمن تأملها؛ فإبراهيم ﷺ خليل الرحمن قد بعثه الله إلىٰ قومه، يدعوهم إلىٰ توحيد الله، وينذرهم الشرك بالله، وكان في زمانه ملك يقال له (النمروذ) يدَّعي أنه الرب، وأنه رب العالمين، وقد مُنح مُلكًا فيما ذكروا، فإن الأرض قد ملكها أربعة؛ كافران وهما: (النمروذ، وبختنصر)، ومسلمان وهما: (ذو القرنين، وسليمان بن داود عليهما السلام)؛ فالحاصل أن هذا النمروذ كان جبارًا عنيدًا، وكان يدعي الملك، ويدعي أنه رب العالمين، ويدعي أنه يحيي ويميت؛ فلهذا قال له إبراهيم: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ قال الخبيث النمروذ: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾، وذكر المفسرون: أنه ذكر لإبراهيم أنه يُؤتىٰ بالشخصين يستحقان القتل فيعفو عن واحد ويقتل الآخر، ويزعم أن هذا هو معنىٰ الإحياء والإماتة، يعفو عمن استحق القتل فيقول: أحييته. وهذه مكابرة وتلبيس، فليس هذا هو المقصود، وإنما المقصود أن يخرج من الحجر، ومن النطفة، ومن الأرض حيا بعد موت، وهذا لا يستطيعه إلا الله ﷻ، فهو الذي يخرج النبات، ويحيي النطف حتىٰ

تكون حيوانات، فالمقصود أن هذا لا يستطيعه إلا الله، ولكنه كابر ولبَّس، فانتقل معه إبراهيم إلى حُجةٍ أوضَحَ وأبين للناس؛ حتى لا يستطيع أن يقول شيئًا في ذلك، فبيَّن له إبراهيم ﷺ أن الله يأتي بالشمس من المشرق، فإن كنت ربًّا فأت بها من المغرب فبُهت، واتضح للناس بطلان كيده، وأنه ضعيفٌ مخلوق، لا يستطيع أن يأتي بالشمس من المغرب بدلًا من المشرق، واتضح للناس ضلاله ومكابرته، وصحة ما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/٢١٢)]

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

* سؤال: تحدثني نفسي أحيانا بفعل منكر أو قول سوء، ولكني في أحيان محيرة لا أظهر القول أو الفعل، فهل عليَّ إثم في ذلك؟ وما المقصود بقوله ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] الآية؟

الجواب: هذه الآية الكريمة نسخها الله سبحانه بقوله: **﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة:٢٨٦] الآية، وصح عن رسول الله ﷺ أن الله ﷻ قال: «**قد فعلت**» أخرجه مسلم في صحيحه، وقال النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**» متفق على صحته.

وبذلك يُعلم أن ما يقع في النفس من الوساوس والهم ببعض السيئات

معفو عنه، ما لم يتكلم به صاحبه أو يعمل به، ومتى ترك ذلك، خوفًا من الله - سبحانه- كتب الله له بذلك حسنة؛ لأنه قد صح عن النبي ﷺ ما يدل على ذلك. والله ولي التوفيق.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢١٣)]

❁❁❁

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

* يقول الله جل علا في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يتقوه حق تقاته، وهذه طريقة القرآن الكريم؛ فإنه يأمر الناس بالتقوى عمومًا، ويأمر أهل الإيمان بالتقوى خصوصا، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج:١] فأمر الناس جميعًا بالتقوى، والمعنى: اتقوا غضبه، واتقوا عقابه بتوحيده، والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذه هي التقوى، أن يُعبد وحده، ويُطاع أمره، وأن يُنتهى عن نهيه، وبهذا يستحق العبد الفوز بالجنة والنجاة من النار؛ ولهذا قال في آية أخرى تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، فعبادته سبحانه هي تقواه، وهي الإخلاص له في العمل، وإفراده بالعبادة، وترك عبادة ما سواه جل وعلا، ويدخل في التقوى طاعة الأوامر، وترك النواهي، والوقوف عند الحدود التي حدها الرب عز وجل؛ رغبة في ما عنده سبحانه، وحذرًا من غضبه وعقابه.

ويقول في هذه الآية جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ والمعنى اتقوه حق التقوى، وقد فسَّرها سبحانه في قوله جل وعلا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] فتقوى الله حق تقاته أن تطيعه حسب الطاقة؛ بفعل الواجبات من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد، وأمر بالمعروف، ونهي

عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وصدق الحديث، ونحو ذلك، وأن تدع ما حرم عليك من سائر المعاصي؛ كالقتل بغير حق، والزنا، وشرب المسكرات، وعقوق الوالدين أو أحدهما، وقطيعة الرحم، وأكل الربا، والتعدي على الناس بالقول أو الفعل، كل هذا داخل في تقوى الله جل وعلا، والمتقي لله هو الذي يُعظم حرماته، وهو الذي يُعظم أمره ونهيه، وهو الذي يخلص له العبادة وحده ﷻ، وهو الذي يتباعد عن معاصيه وغضبه -جل وعلا-.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «تقوى الله حق تقاته أن يُطاع فلا يُعصى وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر».

هذا من تقوى الله -جل وعلا- أن يُطاع فلا يعصى، وأن يُذكر فلا ينسى؛ لأن الغفلة تُنقص الإيمان، وتضعفه، ومن صفات أهل التقوى الإكثار من ذكر الله؛ من تسبيح، وتهليل، وتحميد، وتكبير، واستغفار، ودعاء، وضراعة إلى الله جل وعلا، كل هذا من صفات أهل التقوى، وأن يشكر فلا يكفر، يعني: يُشكر على نعمه، فإنه سبحانه هو المنعم المحسن إلى عباده، ونعمه متنوعة؛ نعمة الصحة، ونعمة الإسلام، ونعمة الأمن، ونعمة المال، ونعمة الزوجة، ونعمة الأولاد، إلى غير ذلك، فالنعم لا تحصى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

فالواجب على المؤمن أن يشكر الله ﷻ على هذه النعم العظيمة؛ فهو الذي أعطاك الصحة في جميع بدنك، وإنما تعرف فضل هذه الصحة على الكمال والتمام إذا وجدت المرض، فمن وجد المرض في عينه أو أذنه أو سنِّه، أو أي عضو من أعضائه عرف فضل الصحة على الحقيقة، فأوجب له ذلك شكر الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإنابة إليه والمسارعة إلىٰ رضاه جل وعلا.

وهكذا نعمة الإسلام، إنما يُعرف عِظَم شأنها بمعرفة حال الكفار وما هم عليه من الباطل، فمن عرف الكفر وعاقبته الوخيمة وما أعد الله لأهله من العذاب والبلاء والعاقبة السيئة، عرف فضل الإسلام، وأنه أعظم نعمة وأكبر نعمة، أن هداك الله إلىٰ الإسلام الذي وعد أهله سبحانه الجنة والكرامة، وهو إخلاص العبادة لله وحده، ومتابعة رسوله محمد ﷺ والصدق في ذلك بطاعة الأوامر وترك النواهي، وهكذا بقية النِعم، ومنها نعمة الأمن، فمن وجد المخاوف عرف قدر نعمة الأمن، ومن عاش في الأمن قد يفوت عليه عظم قدر هذه النعمة، وقد يظنها نعمة عادية، ولكن من وجد المخاوف، وعرف المخاوف عرف فضل الأمن، وأنه نعمة عظمىٰ يستحق الله -جل وعلا- الشكر عليها الشكر العظيم؛ بطاعة أوامره، وترك نواهيه، وسؤاله العافية، والصدق في أداء ما يجب، والحذر مما حرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنِعم الله كثيرة يستحق الله عليها الشكر جل وعلا، والشكر يكون بالقلب بمحبة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتعظيمه وخوفه ورجائه والإخلاص له، ويكون بالثناء علىٰ الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإكثار من ذكره جل وعلا، واستغفاره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدعوة إلىٰ سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل هذا الشكر لله بالقول، ثم يكون الشكر بالعمل.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ:١٣]، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] فالشكر بالعمل بأداء ما أوجب الله من الصلوات في وقتها في جماعة

بخشوع وطمأنينة، والإقبال على أداء الزكاة عن طيب نفس، وعن إخلاص، وصرفها لمستحقيها، وبالصيام في وقته؛ صيام رمضان عن إخلاص، وعن عناية وإتقان، وحفظ للصيام عما حرم الله، وأداء للحج كما شرع الله، وبر الوالدين والإحسان إليهما، وصلة أرحامك من سائر أعمال الخير.

أما قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، فالمعنى: استمروا على التقوى، يعني: الزموها؛ حتى تموتوا عليها؛ فإن من سنة الله سبحانه الجميلة أن من استقام على الخير، وحافظ عليه؛ رغبة فيما عند الله، أن الله يحسن ختامه، ويعينه على الهدى والتقوى، فالزم -يا عبد الله- تقوى الله ﷻ، واستقم عليها، واسأل ربك الثبات؛ حتى تموت على ذلك، وإياك والتهاون بأمر الله، وإياك واقتراف المعاصي، فإن ذلك من أعظم الأسباب لسوء الخاتمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومتى فرط منك أمر يغضب الله ﷻ فبادر بالتوبة، بادر بالإصلاح والرجوع إلى الله جل وعلا، بالندم بالإقلاع عن الذنب بالعزم الصادق ألا تعود فيه.

هذه التوبة ندم صادق على ما مضى منكم من السيئات، وإقلاع عنها، وترك لها، وحذر من الله وتعظيم له، وعزم صادق ألا تعود فيها، وهكذا يكون التائب، يقول سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، والتوبة فيها الفلاح، وفيها الخير، وفيها العاقبة الحميدة، كما قال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التحريم:٨]، هذه عاقبة التوبة؛ المغفرة والجنة والفلاح، فجدير بالمؤمن وجدير

بالمؤمنة البدار بالتوبة إلى الله تعالى، فكل منا خطاء كما في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[(١)].

فكل منا قد يقع في المعصية، وقد يسرف على نفسه، ولكن يجب البدار للتوبة، ويجب الإقلاع والندم، والعزم الصادق على عدم العودة للسيئة، ومتى بادر بالتوبة وصدق في ذلك؛ فالله تعالى يتوب عليك على الخير، وإذا اتبعت التوبة بالإيمان الصادق والعمل الصالح والاستكثار من الخير، تاب الله عليك، وبدل الله عليك مكان سيئاتك حسنات.

كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠]، هذا من جوده وكرمه تعالى لما ذكر الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، والزنا وما أعد الله لأهل هذه المعاصي من العقوبات العظيمة.

قال بعد ذلك تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وسائر إخواننا لما يرضيه، وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمن عليهم بالتوبة الصادقة النصوح؛ إنه تعالى سميع قريب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص: ٤٦)]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٦٥)، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥).

* تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ...﴾ [الآية ١٠٢، ١٠٣].

يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣].

يأمر عباده المؤمنين ﷻ بأن يتقوه -جل وعلا- حق تقاته، فسَّرها بقوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، قال عبد الله بن مسعود ﵁ في هذه الآية: تقوى الله حق تقاته أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر. والمعنى: الزموا حقه، واستقيموا عليه حتى الموت، يعني: الزموا أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند حدود الله؛ حتى تموتوا على ذلك، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، يعني: استمروا في طاعة الله وفي تقواه بأداء حقه، وترك ما نهى عنه؛ حتى تلقوه ﷻ.

ومن سنته في عباده -جل وعلا- أن من اتقاه، واستقام على أمره عن إيمان وعن إخلاص وصدق؛ فالله -جل وعلا- يحسن له الختام؛ فضلًا منه وإحسانًا، وهذا من جنس قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

فمن أحسن واستقام على أمر الله عن إيمان وصدق، أحسن الله إليه بتوفيقه وهدايته وتثبيته، ثم يتبع هذا بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، والمعنى: الزموا ما دل عليه كتاب الله، واستقيموا عليه، واحذروا التفرق في ذلك؛ لأن التفرق يُضعف الحق، ويعين أهل الباطل ويفرق الجماعة، ويسبب ظهور الباطل، أما الاجتماع على الحق والتعاون في نصره وتأييده، فهذا هو

سبب السعادة في الدنيا والآخرة، وسبب ظهور الحق، واختفاء الباطل ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وهذا مذكور في آيات كثيرات، يقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، ويقول جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦].

قال أهل السنة: معنى ذلك: أن تُبيَّض وجوه أهل السنة والاتباع والاستقامة، وتسوَّد وجوه أهل البدع والاختلاف؛ فالواجب على أهل الإيمان أن يجتمعوا على الحق، وأن يتعاونوا في تثبيته وإظهاره والدعوة إليه، وكفاح ما خالفه، هكذا يجب على أهل الإيمان مستمرين على هذا، ملتزمين به حتى الموت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ لأن العمل يجب أن يستمر؛ ليس ليوم أو يومين أو لشهر أو شهرين، أو لسنة أو سنتين؛ العملُ الذي أمر الله به، والكف عما حرم يجب أن يستمر، وأن يثبت عليه المؤمن؛ حتى يلقى ربه جل وعلا؛ لأن فيه سعادته، وفيه نجاته في الدنيا والآخرة، ويجب أن يستمر عليه، وأن يلزمه حتى الموت.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[كتاب حديث المساء (ص:٥٨)]

* * *

* تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ...﴾ [الآية ١٣٣، ١٣٤].

يقول الله -جل وعلا- في كتابه العظيم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

يأمر الله ﷻ عباده بالمسارعة إلىٰ ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وذلك بالعمل الذي يرضي الله -جل وعلا- ويقربنا لديه، والنهاية حصول المغفرة، ودخول الجنة التي أعدها الله للمتقين، والمتقون هم أولياء الله، وهم أهل طاعته، وهم المؤمنون، وهم الصالحون، وهم عباد الرحمن، وهم الرسل وأتباعهم، هؤلاء هم المتقون، سماهم الله المتقين؛ لأنهم اتقوا عذاب الله، واتقوا عقابه بطاعته جل وعلا، والاستقامة علىٰ ما يرضيه، والابتعاد عما نهاهم عنه ﷻ.

فلهذا سماهم الله متقين، وسماهم مؤمنين؛ لإيمانهم به، وأدائهم حقه، وسماهم صالحين؛ لقيامهم بالحق الذي عليهم، فصاروا بذلك صالحين، فهم أولياء الله، وهم عباد الرحمن؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، يعني: سارعوا إلىٰ أسبابها، وما جعلها الله مُحصِّلًا لها من طاعته واتباع شريعته، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا

ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ يعني: أعدَّها الله لعباده المتقين، ثم ذكر بعض صفاتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

هذه أربع صفات من صفات المتقين وجِماعها: أنهم اتقوا الله بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والمسارعة إلى ما يرضيه جل وعلا، فصاروا بهذا متقين مستحقين لكرامته تبارك وتعالى، والفوز بجنته وغفران الذنوب، وحط الخطايا، ومن أعمالهم الإنفاق في السراء والضراء؛ فالانفاق من أعمال المتقين أي: الإحسان والجود والكرم في مشاريع الخير؛ في الشدة والرخاء بمواساة الفقراء والمحتاجين، بصلة الرحم، وتعمير المساجد والمدارس، إلى غير هذا مما ينفع المسلمين، وكذلك إصلاح الطرق، وإنشاء الجسور والكباري على الأنهار، وعلى الطرقات المحتاجة، إلى غير ذلك من النفقات مما يأجر الله عليها، ويخلف ما أنفقه المنفق: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

ولهذا قال: في السراء والضراء، أي: في حال الرخاء والعافية، وفي حال الشدائد، نفقتهم دائمة مستمرة في وجوه الخير وأعمال الخير عند الشدة والرخاء؛ وما ذاك إلا لكمال إيمانهم، وكمال تقواهم، وثقتهم بما عند الله ورغبتهم فيما لديه تبارك وتعالى، ثم مع ذلك يكظمون الغيظ، فقد يُؤذَون، وقد يتعرض لهم بعض الناس بما يكدرهم، ولكنهم يكظمون الغيظ، ولا ينفذون ولا يؤذون، ولا ينتقمون، بل يصفحون ويعفون: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، أهل الإيمان والخيرات، قد يؤذيهم بعض أهل الشر، وقد يتعرض لهم بعض أهل السوء بما يضرهم أو بما يكدرهم ويحزنهم، ولكنهم مع ذلك يكظمون الغيظ؛ لكمال التقوىٰ والإيمان، وانشراح صدورهم بما عند الله جل وعلا، فيكظمون الغيظ، ولا ينفذون ولا ينتقمون بل يعفون؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ يقول الله جل وعلا: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٧]، ويقول النبي ﷺ: **«ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزة»**[1]. فالمؤمن والمتقي لله ماله مبذول فيما يرضي الله ويقرب لديه؛ بمواساة فقير، وصلة رحم، وإقامة مشروع خيري، وتعمير ما ينفع المسلمين من مساجد ومدارس ومعاهد للخير وغير ذلك، ومع ذلك ينفعون الناس، ولا يضرونهم، يؤذون ويعفون ويصلحون ويكظمون، ثم ذكر صفة خامسة عظيمة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦].

هذا من كمال إيمانهم وتقواهم، متىٰ زلَّت القدم، ووُجد منهم سيئة،

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التواضع، برقم (٢٠٢٩)، والإمام أحمد (٢/ ٢٣٥)، ومالك في الموطأ في كتاب الصدقة، باب التعفف عن المسألة برقم حديث الباب (١٢).

بادروا بالتوبة والإصلاح، بادروا بالندم والإقلاع، وإصلاح الأمور، والعمل الصالح؛ لكمال إيمانهم وتقواهم، فلا يصرون على السيئة؛ فالمؤمن غير الرسل ليس معصومًا، قد يقع منه الزلة وتقع منه خطيئة، ثم يبادر بالتوبة، ويبادر بالإصلاح، ويبادر باستغفار الله جل وعلا، والإقلاع عن ذنبه، وعدم الإصرار عليه، ويَصْدق في ذلك، فيتوب الله -جل وعلا- عليه.

ثم يجزيه المغفرة، ويجزيه الجنة والكرامة، هكذا ينبغي للمؤمن أينما كان أو يكون أن يكون بهذه الصفات، يرجو ما عند الله، ويخشى عقابه، ويُخلص له في العمل، والله جل وعلا يُضاعف له المثوبة، ويغفر له الذنوب، ومع ذلك يخلف عليه ما أنفق، ينفق من هنا ويأتي الخلف من هناك، فيبارك له فيما بقي، وتأتيه الأرزاق من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]. والأجر عنده عظيم، والخلف في الدنيا حاصل، هذا فضله وجوده جل وعلا.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:٦٠)]

* * *

* يقول الله -جل وعلا- في كتابه العظيم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

هذا جزاء المسارعين للخيرات، والمتسابقين للطاعات، التي هي أوصاف المتقين فكان جزاؤهم المغفرة والجنة والكرامة، يقول سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾، يعني: سابقوا وبادروا إلىٰ المغفرة والجنة، والمعنىٰ: إلىٰ أعمال أهل الجنة التي وصف الله بها المتقين؛ فإن أسباب دخول الجنة، وأعمال أهل الجنة هي التي وصف الله بها المتقين، من أداء الفرائض، وترك المحارم، والمسارعة إلىٰ كل خير، والابتعاد من كل شر، والتوبة من الذنوب، وهذه أسباب المغفرة والجنة، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

فالمؤمنون هم أهل التقوىٰ، وهم الذين أعد الله لهم الكرامة والسعادة، وهم أهل التقوىٰ المذكورون في قوله جل وعلا: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، وسمَّىٰ الله المؤمنين متقين، وسماهم صالحين، وسماهم محسنين؛ لأعمالهم الطيبة، وأخلاقهم الكريمة التي اتقوا بها غضب الله، واتقوا عقابه، وصدَّقوا بها رسله، وسابقوا بها إلىٰ مرضاته ﷻ، وأحسنوا بها إلىٰ أنفسهم وإلىٰ عباد الله؛

فلهذا قيل لهم متقون، وقيل لهم مؤمنون، وقيل لهم صالحون، وقيل لهم محسنون، وقيل لهم مهتدون، وقيل لهم مفلحون بأسباب أعمالهم الطيبة، فمن أراد المغفرة، وأراد الجنة فعليه بهذه الأخلاق، عليه بأخلاق المتقين، وهي أخلاق المؤمنين، وهي أخلاق الصالحين، وهي أخلاق المفلحين، وهي أخلاق المهتدين، وقد بينها الله في القرآن، وهي طاعته وطاعة رسول الله ﷺ، وهي الانقياد لمغفرته، والابتعاد عن أسباب غضبه، وهذه أسباب النجاة والسعادة، وهي أوصاف المتقين، وهي أخلاق المؤمنين، وهي توحيد لله، وإخلاص لله في العمل، وأداء لفرائضه، وأداء لمحارمه، ووقوف عند حدوده عن إخلاص له سبحانه، وعن محبة ورغبة فيما عنده، وعن رهبته مما توعد به أهل معصيته، ومع ذلك عندهم أخلاق أخرىٰ؛ علاوة علىٰ أداء الواجب، يُنفقون في السراء والضراء، يعني: عندهم جود وكرم، وإنفاق في سبيل الله غير الزكاة، ينفقون في السراء، أي: في الرخاء، وفي الضراء، أي: الشدة، يعني: أنهم يصرفون الأموال فيما ينفع العباد، وفيما يرضي الله عز وجل في السراء والضراء، ولا يكفيهم مجرد الزكاة، بل يجودون ويحسنون من أموالهم في السراء والضراء في مواساة الفقير، وفي صلة الرحم، وفي تعمير المساجد، وفي تعمير المدارس، وإصلاح الطرقات، وإصلاح الجسور المحتاجة إليها، وإلىٰ غيرها من وجوه الإحسان ينفقون في السراء والضراء.

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه مر علىٰ أحد مع بعض أصحابه فقال له: «**هل ترىٰ أُحدًا**» قال: نعم. قال: «**ما أحب أن يكون مثل أُحدٍ ذهبًا، تمر ثلاثة أيام**

وعندي منه دينار واحد، إلا دينار واحد أرصده لدين، ولكن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا» عن يمينه وعن شماله، ومن أمامه ومن خلفه[١]. يعني: ينفقه؛ ما يحب أن يكون له مثل أحد، هذا الجبل العظيم من ذهب، تمر عليه ثلاثة أيام، وعنده منه دينار، إلا قد أنفقه ووزعه في وجوه البر والخير، إلا دينار يرصده لأصحاب الدَين إذا كان عليه دين، ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة؛ الأكثرون مالًا هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا»، يعني: إلا من أنفق أمام وخلف، وعن يمين وعن شمال، يعني: في وجوه الخير والإحسان، وهذا معنى قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، ومع ذلك يكظمون الغيظ، لا يفرحون بالانتقام، ولا يحرضون علىٰ الانتقام والقصاص، بل عندهم رغبة في كتم الغيظ والعفو عن الناس؛ لكمال أخلاقهم، وطيب نفوسهم، ورغبتهم فيما عند الله ﷻ، وهذا خلق النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

هذه من أخلاقهم العظيمة، كتم غيظ، وصبر وعفو عمن أساء إليهم، مع الإنفاق في السراء والضراء، هكذا أولياء الله المتقون، هكذا أصحاب المغفرة والجنات، هؤلاء أصحاب الإحسان، ينفق ويحسن، ويساء إليه، ويكتم الغيظ، ولا يبالي، ويعفو ويصفح يقول النبي ﷺ: **«ما زاد الله عبدًا بعفو إلا**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراء، باب أداء، برقم (٢٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، برقم (٩٤).

عزًا»، والله يقول سبحانه: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾، ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].

هذه صفة المتقين، وهذه صفة الخيار، وهذه صفة المحسنين، فليتنافس فيها المتنافسون، وليسارع إليها أهل النفوس الزكية العالية، وليبتعدوا عن ضدها من الأخلاق الذميمة والصفات المرجوحة، هكذا يكون المؤمن رفيع الهمة، عليّ الهمة، يسارع إلىٰ كل خير، ويبتعد عن كل شر، وأما قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ فهذه الآية لها درس آخر.

وفق الله الجميع وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

[كتاب حديث المساء (ص:٦٤)]

* * *

* فقد سبق الكلام علىٰ قوله جل وعلا: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

سبق أن الله -جل وعلا- أعد الجنة لأهل التقوىٰ، والتقوىٰ هي طاعة الله

ورسوله وبعبارة أخرى: هي الإيمان بالله ورسوله، وأداء فرائضه، وترك محارمه، والوقوف عند حدوده؛ فهي جماع الدين، وهي الخلاصة بالإيمان بالله واليوم الآخر، وهي حقيقة الإسلام، والمعنى: أن الله أعدَّ الجنة لمن اتقاه بفعل أوامره، وترك نواهيه عن إخلاص له، ومحبة ورغبة، ورهبة وانقياد للشريعة، واتباع لما جاء به المصطفى ﷺ، ثم بين من أعمال المتقين إنفاقهم في السراء والضراء، وكظمهم الغيظ، وعفوهم عن الناس، وهذه من أعمالهم؛ لكمال إيمانهم وكمال تقواهم، ومن جملة أعمالهم: الإنفاق في السراء والضراء، علاوة على الزكاة وعلى الواجبات، يعني: من تقواهم لله، ومن كمال إيمانهم أنهم أنفقوا في السراء والضراء، يعني: يواسون الناس في الشدة والرخاء، ويقيمون المشاريع الخيرية النافعة في السراء والضراء، أموالهم مبذولة، ومع ذلك يكظمون الغيظ ويعفون إذا أسيء إليهم.

ومن طبيعة الناس الآخرين أن صاحب كل خير وإحسان وصاحب معروف لا بد أن يُبتلى من الناس الآخرين، كما ابتليت الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن طبيعة المتقين ومن أخلاقهم العظيمة الصبر على الأذى، والإنفاق في السراء والضراء كالرسل -عليهم الصلاة والسلام-، كل نعمة لها حاسد، كل صاحب خير له من يؤذيه ويحسده، فأهل الخير والاستقامة وأهل التقوى ينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس، ومن صفاتهم عدم الانتقام، وعدم تنفيذ الغيظ والغضب إلا ما شاء الله من ذلك، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾، هذه من أخلاقهم العظيمة؛ لأن الإنسان غير

معصوم، وكل بني آدم خطاء، فالخطأ يقع من الناس، والذنب يقع، ومن صفات المتقين البدار بالتوبة والإصلاح إذا زلت القدم، وحصلت النكبة، وأطاعوا الهوىٰ والشيطان في بعض الأمور، بادروا بالتوبة.

هكذا أهل الإيمان، هكذا أهل التقوىٰ، ليسوا يصرون ويستمرون علىٰ المعصية لا، بل متىٰ وقعت منهم الزلة بادروا بالتوبة؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾، يعني: المعصية، ذكروا الله، ذكروا عِظمه، وذكروا نعمه عليهم، وذكروا عظيم انتقامه، وذكروا أيضاً ما أعده الله لأهل المعصية والاقتراف للمنكرات، فعند ذلك يبادرون بالتوبة والإصلاح؛ ولهذا قال: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٣٥] ذكروا قبح الجريمة، وذكروا قبح عاقبتها، وذكروا عظمة الله سبحانه وتعالى، وعظيم حقه عليهم احترام جنابه سبحانه وتعالى، والحذر من غضبه، فعند ذلك يبادرون بالتوبة والندامة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [آل عمران:١٣٥]، يعني: بسبب المعاصي، ذكروا الله، وأنابوا إليه، وذكروا عظمته، فبادروا بالتوبة والاستغفار والإنابة، يعلمون ويؤمنون بأنه سبحانه هو الذي يغفر الذنوب، ليس أحد غيره يغفر الذنوب سبحانه وتعالى، هو غفار الذنوب، ليس هناك من يغفر الذنوب، ويستر الخطايا، ويثيب المحسنين ثوابًا، ويجزيهم به الجنة والنجاة من النار سواه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ ولم يقيموا علىٰ المعصية، والإصرار: الإقامة عليها، وعدم المبادرة بالتوبة، هذه حال المتقين أعمال صالحة، واجتهاد في الخير، وإنفاق في السراء والضراء، وأداء للفرائض، وترك للمحارم، وصبر علىٰ البلاء،

ويكظمون الغيظ، ويعفون، ولكن متى وقعت الزلة بادروا بالتوبة، ليسوا معصومين، مهما كانت حال الرجل من التقوى والإيمان، فقد يأخذه الشيطان ببعض الزلات، فقد يميله إلى شيء من الباطل، فالنفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله، وأسباب الشر كثيرة، فمتى وقعت الزلة بادر المؤمن بالتوبة والإصلاح، وبادر بالرجوع إلى الله، وبادر بالاستغفار، ولم يصر، ولم يقم على المعصية، بل يبادر ويسارع إلى الندم والاستغفار والعزم الصادق في ذلك، مع الإقلاع عنها، والحذر منها؛ خوفا من الله، وتعظيماً له.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، يعني: الذين هذه صفتهم، وهذه أعمالهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦].

هذا جزاؤهم على أعمالهم العظيمة الصالحة الطيبة التي منها إنفاقهم في السراء والضراء، ومنها كظمهم للغيظ، وعفوهم عن الناس مع أداء الفرائض، وترك المحارم، فجزاؤهم المغفرة والجنة والكرامة، فجدير بالمؤمن أن يكون بعد هذه الصفة من المسارعين إلى جميع الخيرات، وجدير بالمؤمن أن يحذر صفات المجرمين المصرين المقيمين على المعاصي وهم يعلمون، وجدير بالمؤمن أن يحذر ذلك، وأن يتخلق بأخلاق المتقين، من الاستقامة على طاعة الله، والثبات على الحق، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، مع المبادرة المسارعة إلى التوبة مما قد تزل به الأقدام. رزق الله الجميع التوفيق والهداية وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

[كتاب حديث المساء (ص:٦٨)]

سُورَةُ النِّسَاءِ

* سؤال: رجل كان يطوف طواف الإفاضة في زحام شديد، ولامس جسم امرأة أجنبية عنه، هل يبطل طوافه ويبدؤه من جديد قياسا على الوضوء أم لا؟

...أما قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء:٤٣]. فالصواب في تفسيرها أن المراد بها الجماع، وهكذا القراءة الأخرىٰ ﴿أو لمستم النساء﴾؛ فالمراد بها: الجماع، كما قال ابن عباس وجماعة، وليس المراد به مجرد لمس المرأة، كما يروىٰ عن ابن مسعود رضي الله عنه، بل الصواب في ذلك هو الجماع، كما يقول ابن عباس وجماعة، وبهذا يعلم أنَّ مَن مس جسمهُ جسم امرأته أي: قبلها، فوضوؤه صحيح ما لم يخرج منه شيء.

[مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن باز، ود. عبد الله الطيار، والشيخ: أحمد الباز (ص:١٣٢-١٣٣)]

* * *

* سؤال: كيف نجمع بين هاتين الآيتين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، وهل بينهما تعارض؟

الجواب: ليس بينهما تعارض؛ فالآية الأولىٰ في حق من مات علىٰ الشرك ولم يتب، فإنه لا يغفر له ومأواه النار، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]،

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

أما الآية الثانية، وهي قوله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، فهي في حق التائبين، وهكذا قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية في التائبين. والله ولي التوفيق.

[مجموع الفتاوى د. الشويعر، (٢٤/ ٢١٥)]

* * *

شرح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء:٦٤].

* **سؤال**: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٤-٦٥]، والسؤال هو: إن بعض المسلمين يأخذون بهذه الآية، ولا حرج على المسلم أن يذهب ويشدَّ الرحال إلى قبر الرسول ﷺ يسأله أن يستغفر له رسول الله وهو في قبره، فهل هذا العمل صحيح كما قال تعالى؟ وهل معنى جاءوك: جاءوك في حياتك أم في موتك؟ وهل يرتد المسلم عن الإسلام إذا لم يحكم سنة رسول الله؟ وهل الشجار على الدنيا أم على الدين؟

الجواب: هذه الآية الكريمة فيها حث الأمة على المجيء إليه إذا ظلموا أنفسهم بشيء من المعاصي، أو وقعوا فيما هو أكبر من ذلك من الشرك فلهم أن يجيئوا إليه تائبين نادمين؛ حتى يستغفر لهم ﷺ، والمراد بهذا المجيء: المجيء إليه في حياته ﷺ، وهو يدعو المنافقين وغيرهم إلى المجيء إليه، ليعلنوا توبتهم ورجوعهم إلى الله، ويطلبوا منه ﷺ أن يسأل الله أن يقبل توبتهم، وأن يصلح أحوالهم[1]؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، فطاعة الرسول إنما تكون بإذن الله؛ يعني: الإذن الكوني القدري، فمن أذن الله، وأراد هدايته اهتدى،ومن لم يأذن الله في هدايته لم يهتد، الأمر بيده سبحانه، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

أما الإذن الشرعي فقد أذن سبحانه لجميع الثقلين أن يهتدوا، وأراد ذلك منهم شرعًا، وأمرهم به، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النساء:٢٦]، ثم قال: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: تائبين نادمين، لا مجرد قول، ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، أي: دعا لهم بالمغفرة، ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا

(١) سبب نزول الآية: هو أن بعض المنافقين طلب التحاكم عند غير الرسول ﷺ، فنزلت الآية؛ لحثهم على التوبة من ذلك، والتحاكم إلى الرسول ﷺ، والاعتذار إليه مما حصل، وطلب المغفرة من الله، وطلب الاستغفار من الرسول ﷺ. (من تعليقات الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ).

رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤]، فهو حث لهم، أي: للعباد على أن يأتوا للرسول ﷺ؛ ليعلنوا عنده توبتهم وليسأل الله لهم، وليس المراد بعد وفاته ﷺ كما يظنه بعض الجهال؛ فالمجيء إليه بعد موته لهذا الغرض غير مشروع، وإنما يؤتى للسلام عليه لمن كان في المدينة، أو وصل إليه من خارجها؛ لقصد الصلاة بالمسجد، والقراءة فيه، ونحو ذلك، فإذا أتى المسجد سلَّم على الرسول ﷺ وعلى صاحبيه، لكن لا يشد الرحال من أجل زيارة القبر فقط، بل من أجل المسجد، وتكون الزيارة لقبره ﷺ، وقبر الصديق وعمر رضي الله عنهما تابعة لزيارة المسجد؛ لقوله ﷺ: «**لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**» متفق على صحته.

فالقبور لا تشد إليها الرحال، ولكن متى وصل إلى المسجد النبوي، فإنه يُشرع أن يسلم عليه ﷺ، ويسلم على صاحبيه رضي الله عنهما، لكن لا يشد الرحال من أجل الزيارة فقط للحديث المتقدم، وأما ما يتعلق بالاستغفار: فهذا يكون في حياته لا بعد وفاته، والدليل على هذا أن الصحابة لم يفعلوا ذلك، وهم أعلم الناس بالنبي ﷺ وأفقه الناس في دينه؛ ولأنه عليه الصلاة والسلام لا يملك ذلك بعد وفاته؛ كما قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[(١)].

وأما ما أخبر به ﷺ: «**أن من صلى عليه تُعرض صلاته عليه**»، فذلك شيء خاص يتعلق بالصلاة عليه، ومن صلى عليه، صلى الله عليه بها عشرًا، وقال

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، برقم (٣٠٨٤).

ﷺ: «**أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضة علي**». قيل: يا رسول الله، كيف وقد أرمت؟ أي: بليت: قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(١)، فهذا حكم خاص بالصلاة عليه، وفي الحديث الآخر عنه ﷺ أنه قال: «**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**»(٢).

فهذا شيء خاص للرسول ﷺ، وأنه يبلغ ذلك، وأما أن يأتي من ظلم نفسه ليتوب عند القبر، ويستغفر عند القبر، فهذا لا أصل له، بل هو منكر، ولا يجوز، وهو وسيلة للشرك، مثل أن يأتي فيسأله الشفاعة، أو شفاء المريض، أو النصر على الأعداء، أو نحو ذلك، أو يسأله أن يدعو له، فهذا لا يجوز؛ لأن هذا ليس من خصائصه ﷺ بعد وفاته ولا من خصائص غيره، فكل من مات لا يُدعى، ولا يُطلب منه الشفاعة؛ لا النبي ولا غيره، وأما الشفاعة فتطلب منه في حياته، فيقال: يا رسول الله، اشفع لي أن يغفر الله لي، أو أن يشفي الله مريضي، أو أن يرد غائبي، أو أن يعطني كذا وكذا، وهكذا يوم القيامة بعد البعث والنشور، فإن المؤمنين يأتون آدم؛ ليشفع لهم إلى الله حتى يقضي بينهم فيعتذر، ويحيلهم إلى نوح فيأتونه فيعتذر، ثم يحيلهم نوح إلى إبراهيم فيعتذر، فيحيلهم إبراهيم إلى موسى فيعتذر، ثم يحيلهم موسى إلى عيسى فيعتذر، عليهم جميعًا الصلاة والسلام، ثم يحيلهم عيسى إلى محمد ﷺ، فيأتونه، فيقول عليه الصلاة والسلام: «**أنا لها، أنا لها، فيتقدم فيسجد تحت**

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، برقم (١٥٥٧٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، برقم (٣٤٨٤).

العرش، ويحمد ربه بمحامد عظيمه، يفتحها الله عليه، ثم يُقال له: ارفع رأسك، وقل تُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع»[(١)].

فيشفع ﷺ في أهل الموقف حتىٰ يُقضىٰ بينهم، وهكذا يشفع في أهل الجنة حتىٰ يدخلوا الجنة؛ لأنه ﷺ موجود، أما في البرزخ بعد وفاته ﷺ فلا يسأل الشفاعة، ولا يسأل شفاء المريض، ولا ردَّ الغائب، ولا غير ذلك من الأمور، وهكذا بقية الأموات، لا يسألون شيئًا من هذه الأمور، بل يُدعىٰ لهم ويستغفر لهم إذا كانوا مسلمين، وإنما تُطلب هذه الأمور من الله سبحانه مثل أن يقول المسلم: اللهم شفع فيَّ نبيك ﷺ اللهم اشف مريضي، اللهم انصرني علىٰ عدوي ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ويقول ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] الآية، أما قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] الآية، وهي عامة علىٰ ظاهرها، فلا يجوز للمسلمين أن يخرجوا عن شريعة الله، بل يجب عليهم أن يُحكموا شرع الله في كل شيء فيما يتعلق بالعبادات، وفيما يتعلق بالمعاملات، وفي جميع الشؤون الدينية والدنيوية فهي تعم الجميع، ولأن الله سبحانه يقول: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، ويقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، برقم (٤١١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، برقم (٢٨٦).

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

فهذه الآيات عامة لجميع الشؤون التي يتنازع فيها الناس، ويختلفون فيها؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، يعني: الناس من المسلمين وغيرهم ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾، يعني: محمدًا ﷺ، وذلك بتحكيمه ﷺ حال حياته وتحكيم سنته بعد وفاته، فالتحكيم هو التحكيم لما أنزل من القرآن والسنة ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فيما تنازعوا فيه، وهذا هو الواجب عليهم؛ أن يحكموا القرآن الكريم والرسول ﷺ في حياته وبعد وفاته، باتباع سنته التي هي بيان للقرآن الكريم، وتفسير له ودلالة على معانيه.

أما قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، فمعناه: أنه يجب أن تنشرح صدورهم لحُكمه ﷺ دون حرج مما قضى بحكمه عليه الصلاة والسلام؛ لأن حكمه هو الحق الذي لا ريب فيه، وهو حكم الله ﷻ؛ فالواجب التسليم له، وانشراح الصدر بذلك، وعدم الحرج، بل عليهم أن يسلِّموا بذلك تسليمًا كاملًا، ورضى بحكم الله، واطمئنانًا إليه، هذا هو الواجب على جميع المسلمين فيما شجر بينهم من دعاوى وخصومات؛ سواء كانت متعلقة بالعبادات، أو بالأموال، أو بالأنكحة، أو الطلاق، أو بغيرها من شؤونهم.

وهذا الإيمان المنفي هو أصل الإيمان بالله ورسوله بالنسبة إلى تحكيم

الشريعة والرضا بها، والإيمان بأنه الحكم بين الناس، فلا بد من هذا، فمن زعم أنه يجوز الحكم بغيرها، أو قال: إنه يجوز أن يتحاكم الناس إلىٰ الآباء أو إلىٰ الأجداد، أو إلىٰ القوانين الوضعية التي وضعها الرجال، سواء كانت شرقية أو غربية، فمن زعم أن هذا يجوز، فإن الإيمان منتفٍ عنه، ويكون بذلك كافرًا كفرًا أكبر، فمن رأىٰ أن شرع الله لا يجب تحكيمه ولكن لو حُكِّم كان أفضل، أو رأىٰ أن القانون أفضل، أو رأىٰ أن القانون يساوي حكم الله، فهو مرتد عن الإسلام، وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يقول: إن الشرع أفضل، ولكن لا مانع من تحكيم غير الشرع.

النوع الثاني: أن يقول: إن الشرع والقانون سواء ولا فرق.

النوع الثالث: أن يقول: إن القانون أفضل وأولىٰ من الشرع، وهذا أقبح الثلاثة، وكلها كفر وردة عن الإسلام.

أما الذي يرىٰ أن الواجب تحكيم شرع الله، وأنه لا يجوز تحكيم القوانين ولا غيرها مما يخالف شرع الله، ولكنه قد يحكم بغير ما أنزل الله؛ لهوىٰ في نفسه ضد المحكوم عليه، أو لرشوته، أو لأمور سياسية، أو ما أشبه ذلك من الأسباب وهو يعلم أنه ظالم ومخطئ ومخالف للشرع، فهذا يكون ناقص الإيمان، وقد انتفىٰ في حقه كمال الإيمان الواجب، وهو بذلك يكون كافرًا كفرًا أصغر، وظالمًا ظلمًا أصغر، وفاسقًا فسقًا أصغر، كما صح معنىٰ ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وجماعة من السلف -رحمهم الله- وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن سلك سبيلهم والله المستعان.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٢٤)]

* الجمع بين قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣].

* سؤال: قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ الآية، أرجو من فضيلة الشيخ أن يذكر الجمع بين الآيتين الكريمتين؟

الجواب: ليس هناك بحمد الله بينهما اختلاف، فالآية الأولىٰ فيها بيان من الله سبحانه لعباده أن ما دون الشرك تحت مشيئته، قد يغفره فضلا منه سبحانه، وقد يعاقب من مات علىٰ معصية بقدر معصيته؛ لانتهاكه حرمات الله، ولتعاطيه ما يوجب غضب الله، وأما المشرك، فإنه لا يغفر له، بل له النار مخلدًا فيها أبدًا إذا مات علىٰ ذلك -نعوذ بالله من ذلك-.

أما الآية الثانية: ففيها الوعيد لمن قتل نفسًا بغير حق وأنه يُعذب، وأن الله يغضب عليه بذلك، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، ومعنىٰ ذلك: أن هذا هو جزاؤه إن جازاه الله سبحانه وهو مستحق لذلك، وإن عفا سبحانه فهو أهل العفو وأهل المغفرة جل وعلا، وقد يعذب بما ذكر الله مدة من الزمن في النار، ثم يخرجه الله من النار، وهذا الخلود خلود مؤقت، وليس كخلود الكفار، فإن الخلود خلودان: خلود دائم أبدًا لا ينتهي، وهذا هو خلود الكفار في النار، كما قال سبحانه في شأنهم: ﴿كَذَٰلِكَ

﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، هكذا في سورة البقرة، وقال في سورة المائدة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧].

أما العصاة؛ كقاتل النفس بغير حق، والزاني، والعاق لوالديه، وآكل الربا، وشارب المسكر إذا ماتوا على هذه المعاصي وهو مسلمون، وهكذا أشباههم تحت مشيئة الله كما قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فإن شاء -جل وعلا- عفا عنهم لأعمالهم الصالحة التي ماتوا عليها، وهي توحيده، وإخلاصهم لله، وكونهم مسلمين، أو بشفاعة من الشفعاء فيهم، مع توحيدهم وإخلاصهم.

وقد يعاقبهم سبحانه، ولا يحصل لهم عفو، فيعاقبون بإدخالهم النار وتعذيبهم فيها على قدر معاصيهم، ثم يخرجون منها، كما تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، أنه يشفع للعصاة من أمته، وأن الله يحد له حدًّا في ذلك عدة مرات، يشفع ويخرج جماعة بإذن الله ثم يعود فيشفع، ثم يعود فيشفع، ثم يعود فيشفع عليه الصلاة والسلام (أربع مرات)، وهكذا الملائكة، وهكذا المؤمنون، وهكذا الأفراط كلهم يشفعون، ويخرج الله سبحانه من النار بشفاعتهم من شاء ﷻ، ويبقى في النار بقية من العصاة من أهل التوحيد والإسلام، فيخرجهم الرب سبحانه بفضله ورحمته بدون شفاعة أحد، ولا يبقي في النار إلا من حكم عليه القرآن بالخلود الأبدي وهم الكفار.

وبهذا تعلم السائلة الجمع بين الآيتين، وما جاء في معناها من النصوص،

وأن أحاديث الوعد بالجنة لمن مات على الإسلام على عمومها إلا من أراد الله تعذيبه بمعصيته، فهو سبحانه الحكيم العدل في ذلك، يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد جل وعلا.

ومنهم من لا يعذب؛ فضلًا من الله لأسباب كثيرة؛ من أعمال صالحة، ومن شفاعة الشفعاء، وفوق ذلك رحمته وفضله ﷻ لمن بقي في النار من العصاة.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٢٧)]

* * *

* **سؤال:** قال تعالى ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١]، هل ما يصيبنا من شر قد كتبه الله لنا؟ وإذا كان الجواب بنعم، فما معنى قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]؟

الجواب: جميع ما يفعله العباد من حسنات وسيئات كله بِقَدَر كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، ومع ذلك فالحسنات من فضل الله؛ لأنه هو الذي كتبها، ووفق العباد لفعلها، فله الحمد على ذلك، وأما السيئات فهي بقدر الله، وأسبابها أفعال العباد ومعاصيهم كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

وهو سبحانه قدَّر الحسنات والسيئات، ووفق العبد لفعل الحسنات، والله يوفق العصاة لترك السيئات لحكمة بالغة وأسباب يحدثها العباد، وهو سبحانه المحمود علىٰ كل حال؛ لكمال علمه وحكمته وعدله.

[سلسلة كتاب الدعوة (١١)، الفتاوىٰ لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٣/ ٢٥)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

* **سؤال**: قال الله تعالىٰ: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ هل معنىٰ هذا أن الله أمر رسوله ﷺ بأن يحكم بكتاب الله، ولا يجتهد رأيه فيما ينزل عليه من كتاب الله؟ وهل اجتهد رسول الله ﷺ؟

الجواب: الله جل وعلا أمر رسوله ﷺ بأن يحكم بين الناس بما أنزل الله عليه، قال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩]، فكان بما أنزل الله، فإذا لم يكن هناك نص عنده اجتهد ﷺ وحكم بما عنده من الأدلة الشرعية، كما قال في الحديث الصحيح: «**إنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم يكون ألحن بالحجة من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار فليحملها أو يذرها**» متفق علىٰ صحته من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

ومعنىٰ هذا أنه قد يجتهد في الحكم حسب القواعد الشرعية؛ لأنه لم ينزل عليه فيه شيء، فمن عرف أن الحكم ليس بمطابق وأن الشهود زور، فقد أخذ قطعة من النار، فليحذر ذلك، وليتق الله في نفسه، ولو كان الرسول هو الحاكم عليه؛ لأن الحاكم ليس له إلا الظاهر من ثقة الشهود وعدالتهم، أو يمين المدعىٰ عليه، فإذا كان المدعي أحضر شهودًا، وعلم أنهم قد كذبوا،

ولو كانوا تقاة، وأن الحق ليس له، أو يعلم أنهم شهود زور، ولكن القاضي اعتبرهم عدولًا، ولأنهم عدلوا عنده وزكوا لديه، فإن هذا المال الذي يُحكم به له، أو القصاص كله باطل بالنسبة إليه؛ لعلمه ببطلانه، وهو قد تعدىٰ حدود الله وظلم، وإن حكم له القاضي، فإن القاضي ليس له إلا الظاهر؛ ولهذا قال ﷺ: «**فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا، فإنما أقطع له قطعة من النار**»[1]، والنبي ﷺ يحكم بما أنزل الله فيما أوحاه الله إليه، وما لم يكن فيه نص اجتهد فيه عليه الصلاة والسلام حتىٰ تتأسىٰ به الأمة، وهو في ذلك كله يعتبر حاكمًا بما أنزل الله؛ لكونه حكم بالقواعد الشرعية التي أمر الله أن يحكم بها، ولهذا قال للزبير بن العوام رضي الله عنه لما ادعىٰ علىٰ شخص في أرض: «**شاهداك أو يمينه**»، فقال الزبير: إذن يحلف يا رسول الله ولا يبالي، فقال له النبي ﷺ: «**ليس لك إلا ذلك**» متفق عليه.

ولما بعث معاذًا وفدًا إلىٰ اليمن قال له: «**إن عرض لك قضاء فبم تحكم؟**» قال: أحكم بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد**» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «**فإن لم تجد**» قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضربه ﷺ في صدره، وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**» رواه أحمد وجماعة بإسناد حسن.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٣٠)]

* * *

(١) صحيح البخاري، المظالم والغضب (٢٣٢٦)، صحيح مسلم، الأقضية (١٧١٣)، سنن الترمذي، الأحكام (١٣٣٩)، سنن النسائي، آداب القضاة (٥٤٢٢)، سنن أبي داود، الأقضية (٣٥٨٣)، سنن ابن ماجه، الأحكام (٢٣١٧)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٣٢٠)، موطأ مالك، الأقضية (١٤٢٤).

* تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ...﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣].

يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣].

ذكر الله في هذه الآية جملة من صفات المنافقين؛ تحذيرًا لنا من ذلك، وحثًّا على مخالفتهم. والمنافق هو الذي يتظاهر بالإسلام وهو مع الكفار، وهذا المنافق هو الذي باطنه كافر، وظاهره مع المسلمين، وهو مكذب لله ورسوله، منكر للآخرة، ملحد في دين الله، ولكنه يتظاهر بالإسلام لأسباب؛ إما لطمع في الدنيا، وإما لخوف القتل، وإما لغير ذلك.

يقول في صفاتهم جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]، هم يخادعون بإظهارهم الإسلام، ودعواهم أنهم مسلمون، وهذه مخادعة، والله خادعهم سبحانه؛ لأنه هو العالم بأحوالهم، وهو جل وعلا يخدعهم حقا منه ﷻ، حق ومدح وكمال؛ لأنه خدعهم بحق، فيملي لهم ويمهلهم سبحانه؛ حتى يظنوا أنهم ناجون وهم غير ناجين، بل هالكون، ويوم القيامة يظهر لهم بعض النور مع الناس، فيظنون أنهم ناجون، ثم يطمس نورهم، ويساقون إلى النار، فكما خادعوا خُدعوا.

ومن صفاتهم الخبيثة أنهم يخادعون المؤمنين في كل شيء، في معاملاتهم

وفي شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي كل ما يتعلق بهم من أمور يمكنهم أن يتظاهروا بغير الباطل فيخونوا المؤمنين ويغشوهم، إلى غير هذا من كل ما يمكنهم من الخيانة والخداع والمكر والظلم، فينبغي للمؤمن أن يحذر هذه الصفات، فالذي يغش المؤمنين في معاملاتهم بالكذب بشهادة الزور، وبالدعاوي الباطلة، وبكتمان الحق قد شابه أهل النفاق، نعوذ بالله، فلا ينبغي للمؤمن أن يرضى بخصال أهل النفاق وصفاتهم الذميمة، بل يجب أن يكون المؤمن صريحًا مقرًّا بالحق، معينا عليه، لا يخدع أخاه، ولا يمكر به، ولا يكتم حقه، ولا يشهد عليه بالزور، بل هو صريح مع أخيه، يأخذ الحق ويعطيه على بصيرة، وعلى بيان، وعلى نصح، لا على خيانة وخداع.

ومن صفاتهم الذميمة الأخرى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾، ليس عندهم نشاط في الصلاة؛ لأنهم لا يؤمنون بها، وليس عندهم إيمان بها، وإنما يصلونها مجاملة؛ فلهذا هم كسالى، إذا ظنوا أنهم يختفون ما صلوا؛ ولهذا أثقل الصلاة عليهم صلاة العشاء وصلاة الفجر؛ لأنها غير ظاهرة لكل الناس، وقد يمكنهم أن يختفوا، فينبغي للمؤمن أن يحذر هذه الصفة، وما أكثر المتخلقين بهذه الصفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، تجده يتخلف عنها كثيرًا بعلل باطلة مشابهة لأعداء الله المنافقين، وإذا نشط صلى في البيت.

وهذه صفات ظاهرة لأهل النفاق، نعوذ بالله، يقول ابن مسعود رضي الله عنه لما ذكر صلاة الجماعة مع الإمام قال: «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق». فيجب عليك -يا عبد الله- أن تحذر هذه الصفات الذميمة،

وأن تكون مع المسارعين إلىٰ الصلاة في الجماعة إلىٰ المساجد، ومن المحافظين عليها النشيطين في ذلك، البعيدين عن صفات أهل النفاق.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

[كتاب حديث المساء (ص:٧٢)]

* * *

* فقد سبق الكلام علىٰ قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣].

سبق الكلام علىٰ الخصلة الأولىٰ والثانية في الدرس الماضي؛ الخصلة الأولىٰ: أنهم أهل خداع ومكر وتدليس وخيانة؛ لعدم إيمانهم؛ لأنهم أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر؛ فلهذا يخادعون الله والذين آمنوا، ويخونونهم، ويهزؤون بهم، والثانية: أنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾؛ لأنهم لا إيمان لهم، ولا احتساب، وإنما يصلونها لغرض ورياء، فلهذا إذا قاموا إليها قاموا كسالىٰ، ومتىٰ أمكنهم تركوها تركها لعدم الإيمان بها وعدم رجاء ثوابها.

هكذا تكون صفات المنافقين، وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما صح عنه: «**من سرَّه أن يلقىٰ الله غدًا مسلمًا، فليحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات الخمس؛ حيث يُنادىٰ بهن، فإن الله شرع لنبيه سنن الهدىٰ، وإنهن من سنن**

الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم -وفي الرواية الأخرى لكفرتم- ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»(١)، يعني: ما يتخلف عن الجماعة في الصلاة إلا منافق معلوم النفاق، يعني: لا لعذر، ولهذا في اللفظ الآخر -أو مريض- ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادى بين الرجلين، يعني: يعدل له الرجلان حتى يقام في الصف.

الخصلة الثالثة: يُراؤون الناس، وهذه من صفاتهم -أعوذ بالله- يراؤون الناس في صلاتهم وتكون أعمالهم العبادية رياء؛ لأنهم لا إيمان لهم، ولا احتساب، ولا إخلاص؛ فلهذا ذمهم الله وعابهم وتوعدهم بالدرك الأسفل من النار، أعوذ بالله، فحقيق بالمؤمن أن يحذر صفاتهم وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون:١-٧].

هذه بعض صفات المنافقين، الرياء والسهو عن الصلاة، يعني: التثاقل والغفلة عنها، والإعراض عنها، والرياء بأعمالهم، ومنع الحق الذي عليهم، فلا ينبغي للمؤمن أن يتأثر بصفاتهم، أو يتخلق بها، بل الواجب أن يحذرها فيكون مع المخلصين ومع الناصحين، لا مع المخادعين، ويكون مع السابقين للصلوات في الجماعة، لا مع المتخلفين، ولا مع المتثاقلين،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، برقم (٦٥٤)، والإمام أحمد في المسند من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (١/ ٣٨٢ برقم ٣٦٢٣).

يراؤون الناس يقول ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسئل عنه فقال: «**الرياء**»[١]. يقول الله يوم القيامة للمرائين: «**اذهبوا إلىٰ من كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء؟**»، ويقول ﷺ: «**من سمّع، سمّع الله به، ومن راءىٰ راءىٰ الله به**»[٢]. يعني: من سمَّع في الدنيا وراءىٰ سمّع الله به يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد، وسمّع يعني: قضىٰ، أو تكلم بالحق رياء، وراءىٰ يعني: بأفعال، فالتسميع يكون بالأقوال، والمراءاة تكون بالأفعال.

ومن صفاتهم صفة رابعة: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أهل غفلة، ذكر الله عندهم قليل؛ لأنهم لا إيمان لهم، ولهذا غالب أحوالهم الغفلة، وعدم ذكر الله جل وعلا، فينبغي لك يا عبد الله أن تكون خلافهم، وأن تكثر من ذكر الله قائمًا وقاعدًا في الطريق، وفي البيت ونحو ذلك، وذكر الله يكون بقراءة القرآن، ويكون بالتسبيح والتكبير والتهليل، ويكون بلا حول ولا قوة إلا بالله، ويكون بسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم، إلىٰ غير ذلك من أنواع الذكر، فلا تكن غافلًا، تارة تستغفر الله وتدعوه تارة، تقرأ كتاب الله تارة، تقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله تارة، تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو علىٰ كل شيء قدير تارة، تقول سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، إلىٰ غير ذلك مما جاء في النصوص.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم (٢٩٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي بكر ﷺ (٥/ ٤٥).

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ هذه الصفة الخامسة، مذبذبين يعني: أهل حيرة؛ تارة مع الكفار، وتارة مع المسلمين، ما عندهم يقين، عندهم الشك والريب، فهم مع المنصورين، مع من انتصر، وإن رأوا الدائرة على المسلمين صاروا مع الكفار، وإن كان النصر للمسلمين على الكفار، صاروا مع المسلمين، فهم مع من انتصر ومع من غلب، ليس لهم هدف إلا أغراضهم الدنيوية وحاجاتهم الحاضرة الدنيوية، لا إيمان لهم ولا غرض لهم في الآخرة، نعوذ بالله، هذه حال أهل النفاق، فالواجب الحذر من هذه الصفات الذميمة، والبعد عنها، والتواصي بتركها.

رزقنا الله وإياكم العافية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

[كتاب حديث المساء (ص:٧٥)]

* * *

شرح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

* **سؤال:** لقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ما المقصود بالمنافقين والنفاق في هذه الآية الكريمة؟ وأرجوا أن تتفضلوا بإيضاح المعنى.

الجواب: المراد بالمنافقين هم: الذين يتظاهرون بالإسلام، وهم على غير الإسلام يدَّعون أنهم مسلمون، وهم في الباطن يكفرون بالله، ويكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام، وهؤلاء المنافقون سموا منافقين؛ لأنهم أظهروا

الإسلام، وأبطنوا الكفر، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾، أي: شك وريب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠]، والآيات بعدها في سورة البقرة.

هؤلاء هم المنافقون، وهم يكفرون بالله، ويكذبون رسله في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

والمعنى: أنهم مترددون بين الكفار والمسلمين؛ تارة مع الكفار إذا ظهر الكفار وانتصروا، وتارة مع المؤمنين إن ظهروا وانتصروا، فليس عندهم ثبات ولا دين مستقيم ولا إيمان ثابت، بل هم مذبذبون بين الكفر والإيمان، وبين الكفار والمسلمين، وقد صرح الله بكفرهم في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٥٤-٥٥]، هؤلاء هم المنافقون، نسأل الله العافية والسلامة.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٣٢)]

❁❁❁

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

* **سؤال:** ماحكم نكاح نساء أهل الكتاب سورة المائدة الآية ٥؟

الجواب: حكم ذلك الحل والإباحة عند جمهور أهل العلم؛ لقوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥]، والمحصنة هي الحرة العفيفة في أصح أقوال علماء التفسير.

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية ما نصه: «وقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، أي: وأحل لكم نكاح الحرائر والعفائف من النساء المؤمنات، وذكر هذا؛ توطئة لما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، فقيل: أراد المحصنات الحرائر دون الإماء. حكاه ابن جرير عن مجاهد: المحصنات: الحرائر، فيحتمل أن يكون أراد ما حكاه عنه، ويحتمل أن يكون أراد بالحرة العفيفة، كما في الرواية الأخرىٰ عنه، وهو قول الجمهور ها هنا، وهو الأشبه؛ لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية، وهي مع ذلك غير عفيفة، فيفسد حالها بالكلية، ويتحصل زوجها علىٰ ما قيل في المثل: حشف وسوء كيل.

والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا كما قال تعالىٰ

في الآية الأخرى: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء:٢٥]، ثم اختلف المفسرون والعلماء في قوله: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ هل يعم كل كتابية عفيفة سواء كانت حرة أو أمة؟ حكاه ابن جرير عن طائفة من السلف ممن فسَّر المحصنة بالعفيفة، وقيل: المراد بأهل الكتاب هنا الإسرائيليات، وهو مذهب الشافعي، وقيل: المراد بذلك الذميات دون الحربيات لقوله تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:٢٩] الآية!

وقد كان عبد الله بن عمر لا يرىٰ التزويج بالنصرانية ويقول: «لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول: إن ربها عيسىٰ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ الآية». وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب: حدثنا القاسم بن مالك -يعني المزني- حدثنا إسماعيل بن سميع، عن أبي مالك الغفاري قال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة:٢٢١]، قال: فحجز الناس عنهن حتىٰ نزلت الآية التي بعدها: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، فنكح الناس نساء أهل الكتاب، وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارىٰ، ولم يروا بذلك بأسًا؛ أخذًا بهذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ فجعلوا هذه مخصصة للتي في سورة البقرة: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها، وإلا فلا معارضة بينه وبينها؛ لأن أهل الكتاب قد انفصلوا في ذكرهم عن المشركين في

غير موضع؛ كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١]، وكقوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [آل عمران:٢٠] الآية»، انتهى المقصود من كلام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المغني ما نصه: «ليس بين أهل العلم بحمد الله اختلاف في حِل حرائر نساء أهل الكتاب، وممن روى عنه ذلك عمر وعثمان وطلحة وحذيفة وسليمان وجابر وغيرهم. قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك. وروى الخلال بإسناده أن حذيفة، وطلحة، والجارود بن المعلى، وأذينة العبدي تزوجوا نساء من أهل الكتاب، وبه قال سائر أهل العلم، وحرمته الإمامية؛ تمسكا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠]، ولنا قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وإجماع الصحابة فأما قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، فروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها نسخت بالآية التي في سورة المائدة، وكذلك ينبغي أن يكون ذلك في الآية الأخرى؛ لأنهما متقدمتان، والآية التي في المائدة متأخرة عنهما.

وقال آخرون: ليس هذا نسخًا؛ لأن لفظ المشركين بإطلاقه لا يتناول أهل الكتاب بدليل قوله سبحانه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ

مُنفَكِّينَ﴾ [البينة:١].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة:٦]، وقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢]، وقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٠٥]، وسائر القرآن يفصل بينهما، فدلَّ علىٰ أن لفظة المشركين بإطلاقها غير متناولة لأهل الكتاب، وهذا معنىٰ قول سعيد بن جبير وقتادة؛ لأن ما احتجوا به عام في كل كافرة، وأيقنا خاصة في حِل أهل الكتاب، والخاص يجب تقديمه إذا ثبت هذا، فالأولىٰ أن لا يتزوج كتابية؛ لأن عمر رضي الله عنه قال للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب: طلقوهن إلا حذيفة، فقال له عمر: طلقها، قال: تشهد أنها حرام؟ قال: هي خمرة، طلقها. قال: تشهد أنها حرام، قال: هي خمرة. قال: قد علمت أنها خمرة، ولكنها إلي حلال، فلما كان بعد طلقها، فقيل له: ألا طلقتها حين أمرك عمر؟ قال: كرهت أن يرىٰ الناس أني ركبت أمرًا لا ينبغي لي. ولأنه ربما مال إليها قلبه فتفتنه، وربما كان بينهما ولد فيميل إليها. المغني لابن قدامة (٦/ ٥٨٩)...» انتهىٰ كلام صاحب المغني رحمه الله.

والخلاصة مما ذكره الحافظ ابن كثير، وصاحب المغني -رحمة الله عليهما- أنه لا تعارض بين قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ الآية، وبين قوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية؛ لوجهين أحدهما: أن

أهل الكتاب غير داخلين في المشركين عند الإطلاق؛ لأن الله سبحانه فصل بينهم في آيات كثيرة مثل قوله ﷻ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، وقوله ﷻ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٠٥] الآية، إلى غير ذلك من الآيات المفرقة بين أهل الكتاب والمشركين، وعلى هذا الوجه لا تكون المحصنات من أهل الكتاب داخلات في المشركات، المنهي عن نكاحهن في سورة البقرة، فلا يبقى بين الآيتين تعارض، وهذا القول فيه نظر، والأقرب أن أهل الكتاب داخلون في المشركين والمشركات عند إطلاق رجالهم ونسائهم؛ لأنهم كفار مشركون بلا شك، ولهذا يمنعون من دخول المسجد الحرام؛ لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨] الآية، ولو كان أهل الكتاب لا يدخلون في إثم المشركين عند الإطلاق لم تشملهم هذه الآية، ولما ذكر سبحانه عقيدة اليهود والنصارى في سورة براءة؛ حيث قال بعد ذلك: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

فوصفهم جميعًا بالشرك؛ لأن اليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله؛ ولأنهم جميعًا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وهذا كله من أقبح الشرك، والآيات في هذا المعنى كثيرة، والوجه الثاني: أن

آية المائدة مخصصة لآية البقرة، والخاص يقضي على العام ويقدم عليه، كما هو معروف في الأصول، ومجمع عليه في الجملة وهذا هو الصواب.

وبذلك يتضح أن المحصنات من أهل الكتاب حل للمسلمين غير داخلات في المشركات المنهي عن نكاحهن عند جمهور أهل العلم، بل هو كالإجماع منهم؛ لما تقدم في كلام صاحب المغني، ولكن ترك نكاحهن والاستغناء عنهن بالمحصنات من المؤمنات أولى وأفضل؛ لما جاء في ذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه عبد الله وجماعة من السلف الصالح رضي الله عنهم؛ ولأنّ نكاح أهل الكتاب فيه خطر؛ ولا سيما في العصر الذي استحكمت فيه غربة الإسلام، وقل فيه الرجال الصالحون الفقهاء في الدين، وكثر فيه الميل إلى النساء والسمع والطاعة لهن في كل شيء إلا ما شاء الله، فيُخشى على الزوج أن تجره زوجته الكتابية إلى دينها وأخلاقها، كما يُخشى على أولادهما من ذلك، والله المستعان، فإن قيل: فما وجه الحكمة في إباحة المحصنات من أهل الكتاب للمسلمين وعدم إباحة المسلمات للرجال من أهل الكتاب؟ فالجواب عن ذلك والله أعلم أن يقال: إن المسلمين لما آمنوا بالله وبرسله، وما أنزل عليهم، ومن جملتهم موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، ومن جملة ما أنزل على الرسل التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، لما آمن المسلمون بهذا كله، أباح الله لهم نساء أهل الكتاب المحصنات؛ فضلًا منه وإكمالًا لإحسانه إليهم، ولما كفر أهل الكتاب بمحمد ﷺ وما أنزل عليه من الكتاب العظيم وهو القرآن، حرَّم الله عليهم نساء المسلمين حتى يؤمنوا بنبيه ورسوله محمد ﷺ

خاتم الأنبياء والمرسلين، فإذا آمنوا به، حلَّ لهم نساؤنا، وصار لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، والله سبحانه هو الحكم العادل البصير بأحوال عباده العليم بما يصلحهم، الحكيم في كل شيء، تعالىٰ وتقدَّس وتنزَّه عن قول الضالين والكافرين وسائر المشركين، وهناك حكمة أخرىٰ، وهي أن المرأة ضعيفة سريعة الانقياد للزوج، فلو أُبيحت المسلمة لرجال أهل الكتاب لأفضىٰ بها ذلك غالبًا إلىٰ دين زوجها، فاقتضت حكمة الله سبحانه تحريم ذلك.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢١/ ٦٤)]

* * *

كفارة اليمين بالطلاق:

* قال الله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩].

فبين الله تعالىٰ أن هذه هي كفارة اليمين، إطعام عشرة مساكين من أوسط الطعام، أو كسوتهم، أو عتق رقبة -يعني: مؤمنة- أي عتق عبد مملوك، أو أمة مملوكة، ولا يتيسر ذلك إلا عند وجود العبيد، فإن لم تجد لا طعاما ولا كسوة، ولا عتقا وكنت فقيرا عاجزا عن هذه الأشياء، فصم ثلاثة أيام عن يمينك.

[كتاب فتاوىٰ الطلاق، إعداد أ.د. عبد الله الطيار، والشيخ محمد الموسىٰ (ص:١٥٠-١٦٠)]

* * *

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ﴾ [المائدة:٩٠].

* سؤال: سائل يقول: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة:٩٠]. نعلم أن الخمر هو كل ما خامر العقل وأسكره، لكن ما معنىٰ الأنصاب والأزلام؟ أفيدونا بارك الله فيكم.

الجواب: الخمر معروف وهو كل مسكر، والأنصاب والأزلام أشياء كانت في الجاهلية، والأنصاب كانوا ينصبونها، وكانوا يذبحون عندها لأصنامهم، فأنكر الله عليهم ذلك، وأَمَرَ بإزالتها والقضاء عليها.

وأما الأزلام فكانت أشياء يستقسمون بها لحاجتهم، وهي ثلاثة علىٰ واحد؛ افعل والثاني لا تفعل، والثالث غفل ليس فيه شيء، فإذا أرادوا سفرًا أو حاجة مهمة، أجالوا هذه الأزلام، فإذا خرج افعل فعلوا، وإذا خرج لا تفعل تركوا، وإن خرج غفل أعادوا إجالة هذه الأزلام، فأبطل الله ذلك، ونهىٰ عنه ﷺ، وأرشد المسلمين إلىٰ الاستخارة الشرعية، وهي الدعاء الشرعي بعد صلاة ركعتين بدلا من هذه الأزلام.

وأما الميسر: فهو القمار المعروف وهو معاملة (يانصيب) التي يتعاطاها بعض الناس بالمخاطرة في سائر الألعاب، وهي منكر، فالميسر منكر وهو القمار، وحرمه الله ﷻ؛ لما فيه من أكل المال بالباطل.

أما الأنصاب فقد كانوا ينصبونها، ويذبح عليها المشركون، ويتقربون لأصنامهم بالذبائح، والأزلام أشياء يقسمون بها، يقال لها: السهام، وهي من

أنواع الخشب، يكتبون عليها افعل، ولا تفعل، وثالث غفل، لا يكتب عليه شيء، فإذا أرادوا أن يسافروا أو يفعلوا شيئا عندهم فيه اشتباه أجالوها، وأخرجها لهم بعضهم واحدًا واحدًا، أو هو نفسه يخرجها واحدًا واحدًا من محلها، فإن خرج افعل نفذ ما أراده، وإن خرج لا تفعل ترك، وإن خرج الغفل، أي: ليس فيه شيء أعاد إجراءها، فخلطها ثم أعاد إخراجها، فإن خرج افعل فعل وإن خرج لا تفعل ترك، وإن خرج الثالث أعادها وهكذا.

هذه سنة لهم وطريقة جاهلية، فشرع الله تعالى لعباده بدل استعمال الأزلام صلاة الاستخارة، فالمشروع للمؤمن إذا هم بعمل يشتبه عليه؛ كالزواج، أو السفر، أو ما أشبه ذلك، صلى ركعتين، ثم يستخير الله جل وعلا، ويدعو بدعاء الاستخارة المعروف الثابت عن النبي ﷺ وهو: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم...**» إلخ[1]، وهو مخرج في صحيح البخاري رحمه الله، والله ولي التوفيق.

[فتاوى نور على الدرب]

* * *

(١) صحيح البخاري الجمعة (١١١٣)، سنن الترمذي الصلاة (٤٨٠)، سنن النسائي النكاح (٣٢٥٣)، سنن أبو داود الصلاة (١٥٣٨)، سنن ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٣)، ومسند أحمد بن حنبل (٣/ ٣٤٤)

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

تفسير سورة الأنعام الآية ١٦٠:

* سؤال: هل الحسنة في مكة تضاعف مثل ما تضاعف في سائر البلاد بعشر أمثالها؟ وهل تضاعف السيئة، أم أنها كما هي في سائر البلاد تكتب سيئة واحدة؟

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠]، وهذه الآية من سورة الأنعام، وقد نزلت سور الأنعام في مكة وعلى هذا فتكون السيئة في مكة لا تُضاعف كمية، وإنما تُضاعف عقوبتها كيفية، وما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لا أبقى في بلدة يتساوى فيها حسناته وسيئاته؛ فإن هذا لا يصح عنه؛ لأن ابن عباس أفقه من أن يرى أن السيئة في مكة تُضاعف كمية كما تُضاعف الحسنة.

[مجموعة الفتاوى للشيخ ابن باز، د. عبد الله الطيار، والشيخ أحمد الباز (ص:٢١٧)]

۞۞۞

سُورَةُ الأَعْرَافِ

* تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ [الأعراف:٥٤-٥٦].

يقول الله -جل وعلا- في كتابه العظيم مُعرفًا لعباده وموضحًا لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لصفاته العظيمة يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٤-٥٦].

يبين الله -جل وعلا- أنه رب الجميع، وأنه خالق العباد، وخالق السماوات، وخالق الأرض، وخالق الشمس والقمر، كلها خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فوجب على المكلفين أن يعظموه، وأن ينقادوا لأمره، وأن يحذروا ما نهاهم عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو ربهم وخالقهم، فله الخلق والأمر جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾، يعني: إلهكم ومعبودكم سبحانه هو الله جل وعلا، فهو ربهم الخالق لهم، الرازق لهم، وهو ربهم المستحق أن يعبدوه وأن يعظموه، وينقادوا لأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويصفوه بما هو أهله من كونه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شريك له ولا شبيه له، ولا كفء له ولا ند له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، سبحانه وتعالىٰ، فله الكمال المطلق من كل الوجوه، وله الكمال في قدرته العظيمة، وعلمه الواسع، وله الكمال في حكمته ورحمته، وله الكمال في جميع صفاته، وله الكمال في علوه فوق جميع خلقه ﷻ، فله العلو المطلق، علو الذات، وعلو القدر والشرف، وعلو القهر والسلطان ﷻ فهو رب الجميع، وخالق الجميع، وهو العلي فوق جميع خلقه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استوىٰ: علا وارتفع، والاستواء هو: العلو والارتفاع علىٰ الوجه اللائق به ﷻ، فهو فوق العرش، والعرش سقف المخلوقات وأعلىٰ المخلوقات.

والله فوق العرش ﷻ قد استوىٰ عليه استواءً يليق بجلاله، لا يشابه خلقه في شيء من صفته ﷻ، وليس في حاجة إلىٰ العرش ولا غيره، بل هو علا بذاته عن كل ما سواه، والعرش وما دونه كله مفتقر إليه، كلها مفتقره إليه ﷻ وهو الممسك لها، والمقيم لها جل وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم:٢٥]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١]، يعني: ما أمسكه أحد من بعده ﷻ فهو الذي أمسك السموات، وهو الذي أقامها، وهو الذي أقام العرش، وهو الذي أقام الأرض، فكلها قامت بعلمه ﷻ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف:٥٤] يُغشي الليل النهار، والنهار الليل، وكل منهما يطلب الآخر حثيثًا، كلما ذهب هذا أتىٰ هذا صباحًا ومساء؛ حتىٰ ينتهي هذا العالم، وحتي يقضي علىٰ هذه الدنيا، ثم قال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَٱلنُّجُومَ﴾، يعني: هو خلق الشمس، وخلق النجوم: ﴿مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ مذللات بأمره سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، فله الخلق في جميع المخلوقات، وله الأمر، هو المتصرف في عباده كيف يشاء سبحانه وتعالى؛ فالقول قوله، والأمر أمره، والخلق خلقه سبحانه وتعالى.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأولياؤه ورسله وعباده الصالحون هم المباركون، جعلهم الله مباركين سبحانه وتعالى، ونفع بهم العباد، رب العالمين، ورب المخلوقات كلها، وخالقها وموجدها ورازقها، ومصرف الأشياء كيف يشاء سبحانه وتعالى، ثم قال جل وعلا: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]، يعني: اسألوه من فضله، واعبدوه بطاعة أوامره، وترك نواهيه سبحانه وتعالى؛ فإن الدعاء يُطلق على السؤال وعلى العبادة، فهو الذي يُدعى ويُسأل، وهو الذي يُرجى ويُخاف، وهو الذي يُطاع أمره ويُنتهى عن نهيه سبحانه وتعالى، ثم الواجب أن يكون ذلك عن طمع فيما عنده، وعن حذر مما عنده سبحانه وتعالى، فالعبد يرجوه ويخافه، ويتضرع إليه في جميع العبادات من صلاة وصوم وحج وجهاد وصدقة، وغير ذلك...

وكلما أسرَّ العبد العبادة التي يريد بها وجه الله سبحانه وتعالى، كان ذلك أعظم أجرًا؛ ولهذا قال خفية، فإذا دعاه خفية، وعبده خفية بالنوافل التي شرعها لعباده، كان هذا أكمل في الإخلاص؛ ولهذا شرع الله الصلاة في البيت، وهي صلاة النوافل، قال ﷺ: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»(١)؛ لأنه أقرب إلى

(١) أخرجه البخاري في كتاب الآذان، باب صلاة الليل، برقم (٧٣١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم (٧٨١)

الإخلاص، وأبعد عن الرياء؛ أما الفرائض ففي المساجد، وهكذا الصلاة التي شرع الله لها الجماعة؛ كالتراويح، وصلاة الاستسقاء، فإن هذه تقام في المساجد في الجماعات، كما تؤدىٰ صلاة العيد وصلاة الجمعة؛ لأن هذه صلاة عظيمة عامة شرع الله لها الجماعة، أما النوافل الخاصة فالأفضل أن تؤدىٰ في البيت؛ لأنها أبعد عن الرياء، وأقرب إلىٰ كمال الإخلاص.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، الاعتداء في العبادة تارة يكون بالرياء فيها، وتارة يكون بالابتداع؛ لعدم مشروعيتها، وتارة بالزيادة فيها، وتارة بالنقص فيها، فالواجب علىٰ المؤمن أن يعبد الله كما شرع، لا يزيد ولا ينقص، ولا يعتدي، بل يعبد الله بما شرع بدون زيادة ولا نقصان، ومن غير إحداث ولا بدعة، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]، الإفساد في الأرض بعد الإصلاح يكون بالمعاصي والمخالفات والبدع، والله أصلحها ببعث الأنبياء، وإقامة الشرع فيها؛ فهذا صلاحها، أما المعاصي والشرك فهو فسادها أعوذ بالله، فصلاح الأرض وصلاح أهلها يكون بطاعة الله ورسوله، وتوحيد الله والإخلاص له؛ أما فساد الأرض وفساد أهلها، فيكون بالشرك والمعاصي والمخالفات، وهذا هو فساد الأرض: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، يعني: ادعوا الله واعبدوه؛ خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه ﷻ.

هكذا المؤمن يعبد ربه طامعاً في ثوابه خائفاً من عقابه جل وعلا: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: من أحسن في عمله فهو أقرب الناس إلىٰ الرحمة، ومن أساء في عمله فهو أبعد عن الرحمة، والإحسان في العمل أن

يؤدي العبادة كما شرعها الله، بلا زيادة، وهذا هو الإحسان في العمل، أن يؤديه خالصًا كاملًا مشتملًا على الضراعة إلى الله، والخوف منه، والطمع في ثوابه، ومحبته وإخلاصه له جل وعلا، فكلما كان العمل أكمل في الإخلاص والمتابعة، والحب في الله، والطمع في ثوابه والحذر من عقابه، كان ذلك أقرب إلى قبوله، وإلى مضاعفة ثوابه؛ لأن صاحبه يكون من المحسنين، والله يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

رزقنا الله وإياكم التوفيق والهداية، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:٧٩)]

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٩٩].

*** سؤال:** ما معنى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؟

الجواب: هذه الآية العظيمة يحذر الله فيه سبحانه عباده من الأمن من مكره فيقول سبحانه: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المقصود من هذا: تحذير العباد من الأمن من مكره بالإقامة على معاصيه والتهاون بحقه، والمراد من مكر الله بهم: كونه يملي لهم، ويزيدهم من النعم والخيرات، وهم مقيمون على معاصيه وخلاف أمره، فهم جديرون بأن يؤخذوا على غفلتهم، ويعاقبوا على غرتهم؛ بسبب إقامتهم على معاصيه،

وأمنهم من عقابه وغضبه، كما قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٢]، وقال ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]، أي: آيسون من كل خير.

فالواجب على المسلمين ألا يقنطوا من رحمة الله، ولا يأمنوا من مكره وعقوبته، بل يجب على كل مسلم أن يسير إلى الله سبحانه في هذه الدنيا الدار الفانية بين الخوف والرجاء، فيذكر عظمته وشدة عقابه إذا خالف أمره، فيخافه ويخشى عقابه، ويرجو رحمته وعفوه ومغفرته، وجوده وكرمه، ويحسن به الظن، ويرجو كرمه وعفوه، والله الموفق سبحانه لا إله غيره، ولا رب سواه.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٣٣)]

۞۞۞

سُورَةُ الْأَنفَالِ

التفسير من الآية ٢ وحتى الآية ٤:

* يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤].

يجب على أهل الإيمان العمل بهذه الآيات، فيتذكرونها كلما مروا عليها في موضعها، وهذه الصفات العظيمة قد يبسطها سبحانه تارة، ويختصرها أخرى جل وعلا؛ لما في ذلك من الترغيب والتشويق، والحث على الأخذ بهذه الصفات العظيمة، وإذا تأملت هذه الصفات وجدتها تدور على أعمال القلب وأعمال الجوارح، وعلى قول اللسان، وهكذا العبادات منقسمة على هذه الجوارح الخمس: القلب واللسان وبقية الجوارح، فالقلب له أعمال، واللسان له أعمال، وبقية الجوارح لها أعمال، وفي هذه الآية يقول جلا وعلا الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فجَمَعَ أنواعًا من العبادة، ذكر الله فيها عمل القلب واللسان والجوارح جميعا، فالقلب يعمل بذكر الله؛ من محبته والشوق إليه، وخوفه ورجائه ومحبته، وتعظيم أمره ونواهيه إلى غير ذلك، واللسان يذكره أيضًا بالكلام بالتسبيح والتهليل والتحميد والاستغفار،

وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وغير ذلك من أنواع الدعاء، والصلاة على النبي ﷺ، كل ذلك من عمل اللسان وذكره، وبقية الجوارح لها أعمال، ومن أعمال القلب: وجل القلوب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ خوفًا منه، وتعظيمًا له ﷻ.

ومن عمل اللسان التلاوة، ومن عمل الأذن الاستماع، والقلب من عمله التدبر والتعقل، فالمؤمن يسمع آيات الله، ويستمع لها ويتعلق ويتدبر بقلبه، ويرجف ويوجل قلبه عند ذكر الله، والقرآن أعظم الذكر؛ فالمؤمن عند تلاوته آيات الله وعند سماعه آيات الله يحصل له الوجل والخوف، والتعظيم لله والشوق إليه، وتعظيم أمره ونهيه ﷻ، ويزداد إيمانه بما يتعاظمه من أعمال الخير، فوجل القلب يزداد به الإيمان، وتلاوة الكتاب العزيز يزداد به الإيمان، وسماع الآيات يزداد به الإيمان لمن عقل وتأمل وتدبر وانتفع، ثم قال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

وهذا أيضا من أعمال القلب، ويدخل في عمل الجوارح؛ لأن من تمام التوكل الأخذ بالأسباب؛ فالمتوكل قد شغل قلبه وشغل جوارحه، شغل قلبه بالاعتماد على الله، والإيمان بأنه مُسبب الأسباب، ومُدبر الأمور، وأن كل شيء بيده ﷻ، وشغل جوارحه بتعاطي الأسباب التي شرعها سبحانه، وأباحها لعباده، من سقي الزرع وتنقيته مما يضره، وتعهده بما يصلحه، ومن العناية بالأسباب الأخرى؛ من تجارة، أو حدادة، أو نجارة، أو خرازة، أو كتابة أو غير ذلك؛ فقلبه مشغول بالثقة بالله والاعتماد عليه والإيمان به؛ لأنه سبحانه مُسبب الأسباب، ومُدبر الأمور، وقاضي الحاجات جل وعلا،

وجوارحه كذلك مشغولة بما أباح الله وشرع من الأسباب.

وبهذا يتحقق التوكل، فليس بمتوكل من أهمل الأسباب، وليس بمتوكل من تعاطى الأسباب وضيَّع الثقة بالله والاعتماد عليه، وإنما المتوكل من جمع بينهما؛ اعتمد على الله، واعتقد أنه سبحانه مدبر الأمور، وأن كل شيء بيده، وأخذ بالأسباب التي أباحها له ربه وشرعها له ﷻ، فهذا هو المتوكل الحقيقي، فمن ترك الأسباب فهو عاجز عن عمله وليس بمتوكل.

ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا أيضًا من الأسباب والأعمال التي ينشغل بها القلب واللسان وبقية الجوارح؛ فالصلاة شاغلة البدن كله، فالقلب مشغول بها؛ تعظيما لها واستحضارا لها، وخشوعا فيها، واللسان مشغول بها من قراءة وتسبيح وغيره من أنواع الذكر والدعاء في الصلاة، والبدن كله مشغول بها ركوعًا وسجودًا وقيامًا وقعودًا؛ تعظيمًا لله وامتثالًا لأمره؛ فقد جمعت أنواع العمل، وبها يزداد الإيمان ويقوى، وهي عمود الإيمان، وعمود الإسلام، وعمود الخير، من حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وفي المسند بإسناد جيد عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما بين أصحابه فقال: «**من حافظ عليها، كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها، لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأُبيّ بن خلف**»[1] نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد رحمه الله من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص برقم (٦٢٨٨) الشاملة.

قال بعض أهل العلم: إنما يُحشر مضيع الصلاة وتارك الصلاة مع هؤلاء الزنادقة، مع هؤلاء الكفرة الذين هم من صناديد الكفرة، ومن كبارهم، ومن مقدميهم إلىٰ النار، إنما يحشر مضيع الصلاة معهم؛ لأنه إما أن يضيعها شغلًا بالرياسة وإيثارًا للرياسة، فيحشر مع فرعون والعياذ بالله، وإما أن يضيعها شغلًا بالوزارة والوظيفة، فيكون شبيهًا بهامان فيحشر معه يوم القيامة، وإما أن يضيعها من أجل المال والشهوات، فيكون شبيهًا بقارون تاجر بني إسرائيل الذي شغله ماله وأطغاه ماله حتىٰ عاند الحق، فخسف الله به وبداره الأرض، فيحشر معه يوم القيامة، وإما أن يضيعها من أجل التجارة والبيع والشراء وتعاطي أسباب الربح، فيكون شبيهًا بأبي بن خلف تاجر أهل مكة الكافر فيحشر معه إلىٰ النار، وقد مات قتيلًا يوم أحد.

وهذا المعنىٰ وجيه ظاهر، فالواجب الحذر من إضاعتها؛ فإن إضاعتها سبب لكل بلاء في الدنيا والآخرة، ولهذا يقول جل وعلا: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ويقول ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩]، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، هكذا أهل الإيمان الكُمَّل، ينفقون مما رزقهم الله زكاة وغير زكاة، ينفقون في وجوه البر وأعمال الخير، ويخرجون الزكاة، وينفقون علىٰ من تحت أيديهم من زوجات وأولاد وغير ذلك، فهم منفقون لا باخلون، بل ينفقون هذا المال في الوجوه التي يحبها الله جل وعلا، هؤلاء هم أهل الإيمان الكُمَّل.

أما ضعفاء الإيمان فدون ذلك، وكل هذه الصفات لأهل الإيمان الكُمَّل

الذين لهم الدرجات العلا، والمقام الحميد يوم القيامة؛ لأعمالهم الطيبة، وخصالهم الحميدة، واجتهادهم في الخير؛ ولهذا قال تعالى بعده: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، يعني: هم المؤمنون الكُمَّل الذين حققوا إيمانهم بالأعمال العظيمة الطيبة، والبعد عن أسباب غضب الله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٤] لهم درجات في الجنة، ورزق كريم في الجنة ومغفرة لذنوبهم، وحط لخطاياهم، وهذه هي الغاية العظيمة، والغبطة الكبيرة، والسعادة الأبدية، فينبغي لكل ذي همة عالية أن يتخلق بأخلاق هؤلاء الأخيار، ويسلك سبيلهم، ويستقيم على طريقتهم؛ حتى يحصل له ما وعدهم الله من هذا الخير العظيم.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:٨٤)]

* * *

معنى قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤].

* سؤال: يسأل هذا السائل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤].

الجواب: الآية على ظاهرها، فهو سبحانه يتصرف في عباده، فقد يوفِّق هذا ويشرح قلبه للإيمان ويهديه للإسلام، وقد يجعل في قلبه من الحرج والتثاقل عن دين الله ما يحول بينه وبين الإسلام، فهو يحول بين المرء وقلبه، وكما

قال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥] فهو سبحانه الذي يتصرف في عباده كيف يشاء، فهو يشرح قلبه للإيمان والهدى، وهذا لا يوفق لذلك.

[فتاوى نور على الدرب]

❁❁❁

سُورَةُ التَّوْبَةِ

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة:١].

* سؤال: سائل يسأل عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١].

الجواب: هذه الآية نزلت في آخر حياة النبي ﷺ، وكان الرسول ﷺ قد عهد إلىٰ بعض المشركين عهدًا معلومًا، وبعضهم بينه وبينهم عهد مطلق، وبعضهم لا عهد له، فأنزل الله سبحانه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ الآية.

فالله سبحانه أمر رسوله أن يتبرأ منهم، ومن كان له عهد فهو إلىٰ مدته، ومن كان عهده مطلقًا أو لا عهد له، جعله الله له أربعة أشهر، وبعث الصديق رضي الله عنه، وعليًا رضي الله عنه ومن معهما في عام تسع من الهجرة ينادون في الموسم: من كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلىٰ مدته، ومن لم يكن له أو له عهد مطلق فله أربعة أشهر، وبعدها يكون حربًا للرسول ﷺ إلا أن يدخلوا في الإسلام. هذا هو معنىٰ الآية عند أهل العلم.

[مجموع الفتاوىٰ د. الشويعر، (٢٤/ ٢٣٥)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة:٤].

* **سؤال**: سائل يسأل عن تفسير الآية الرابعة من سورة التوبة: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

الجواب: الذين لهم عهد، أمر الله رسوله أن يتم عهدهم لهم، ما لم يغيروا، أو ينقضوا العهد، أو يظاهروا أعداء المسلمين، فإن ظاهروهم وجب قتالهم، وإن نقضوا العهد فكذلك؛ لذلك لما ساعدت قريش بني بكر علىٰ خزاعة، انتقض عهد قريش وبني بكر، وحاربه النبي ﷺ يوم فتح مكة، وفتحها عنوة عام ثمان من الهجرة؛ لنقضهم العهد؛ لأن خزاعة كانت في حلف النبي ﷺ، وكانت بكر في حلف قريش وعهدهم، فهجدت بنو بكر خزاعة، يعني: تعدت عليهم، وأتوهم بغتة -أي: فجأة- وقاتلوهم وهم في حلف رسول الله ﷺ، فاستنجدوا بالرسول ﷺ، وطلبوا منه أن ينصرهم ووعدهم النصر، وكانت قريش قد ساعدتهم بالمال والسلاح؛ فلهذا غزاهم النبي ﷺ وفتح مكة؛ لنقضهم العهد، وكان قد عاهدهم عشر سنين، فلما نقضوا العهد بمساعدتهم بني بكر انتقض عهدهم، وغزاهم النبي ﷺ.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٣٦)]

* * *

* سؤال: يقول السائل: يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠]، ويقول تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١] فما معنى الآيتين؟ وكيف نجمع بينهما علما بأن ظاهرهما التعارض؟

الجواب: ليس هنا تعارض يا أخي، فالله جل وعلا بين لنا أن ما أصابنا هو بأسباب كسبنا، وبين أن ما يقع هو بقضائه وقدره ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ فقد سبق علمه وقدره وكتابه لكل شيء، ولكنه سبحانه علّق ما أصابنا مما يضرنا بأنه بأسباب معاصينا، وإن كانت مكتوبة ومقدرة، ولكن لنا كسب، ولنا عمل، ولنا اختيار.

فكل شيء يقع بقدر؛ سواء من الطاعات والمعاصي، فما وقع منا من معاص فهو من كسبنا ومن عملنا، ونحن مؤاخذون به إن فعلناه، ولنا عقول ومشيئة وقدرة وعمل ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠]، والآية الأخرى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء:٧٩]، فلا تنافي بين القدر وبين العمل؛ فالقدر سابق، ولله الحجة البالغة سبحانه وتعالى، والأعمال أعمالنا؛ كالزنا، وشرب الخمر، وترك الصلاة، والعقوق، وقطيعة الرحم، فهي من أعمالنا، ونحن نستحق عليها العقوبة؛ لأنه تفريطنا وتقصيرنا؛ لأن لنا اختيارًا ولنا عمل ينسب إلينا، وإن كان سبق في علم الله كتابه وتقديره. فالقدر فيما مضى

به قدره وعلمه وكتابه، ونحن مسؤولون عن أعمالنا وعن أخطائنا وعن تقصيرنا، ومؤاخذون بذلك إلا أن يعفو ربنا عنا.

وبهذا تعلم أنه لا منافاة بين الآيتين، فإحداهما تدل على أن أعمالنا من كسبنا، وأننا نستحق عليها العقوبة إذا كانت غير صالحة، وهي أعمال لنا باختيارنا، والآية الأخرى تدل على أنه قد مضى في علم الله كتابتها وتقديرها، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**» أخرجه مسلم في صحيحه.

فهو سبحانه الحكيم العليم العالم بكل شيء ﷻ، وكتب كل شيء، وفي آية أخرى يقول ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، فكتاب الله سابق، وعلمه سابق ﷻ، وقدره سابق، وأعمالنا محصاة علينا، ومنسوبة إلينا، ومكتوبة علينا، وهي من كسبنا وعملنا واختيارنا، فيجازينا على الطيب الجزاء الحسن؛ من الطاعات وأنواع الخير والصالحات، ونستحق العقاب على سيئها؛ من العقوق، والزنا، والسرقة، وسائر المعاصي والمخالفات. والله المستعان.

[فتاوى نور على الدرب]

* * *

* تفسير قوله تعالى: ﴿...وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية ٦٠، سورة التوبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠].

في ختم هذه الآية الكريمة بهذين الاسمين العظيمين تنبيه من الله سبحانه لعباده على أنه سبحانه هو العليم بأحوال عباده، ومن يستحق منهم الصدقة ومن لا يستحق، وهو الحكيم في شرعه وقدره، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وإن خفي على بعض الناس أسرار حكمته؛ ليطمئن العباد لشرعه ويسلموا لحكمه.

[كتاب أركان الإسلام للإمام ابن باز (ص:٢١٢)]

* * *

تفسير الآية ٧١ سورة التوبة:

* يقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١].

يبين سبحانه وتعالى أخلاق المؤمنين وصفاتهم العظيمة ليعلمها طالب النجاة فيأخذ بها، ويستقيم عليها، فالمؤمنون والمؤمنات متساوون فيما أوجب الله عليهم من الأخلاق والأعمال؛ ولهذا قال: بعضهم أولياء بعض، يتحابون في سبيل

الله ويناصحون ولا يغتاب بعضهم بعضًا، ولا يخونون بعضهم بعضًا، ولا يؤذي بعضهم بعضًا، ولا يشهد المؤمن على أخيه المؤمن بالزور، ولا يظلمه؛ لا في نفس، ولا في مال، ولا في عرض، بل يحب له كل خير ويكره له كل شر، هكذا الأولياء بعضهم لبعض.

فإذا عرفت من نفسك خيانة لأخيك، أو ظلمًا لأخيك، أو شهادة عليه بالزور، أو ما أشبه ذلك، فاعلم أن هذا نقص في إيمانك، وضعف في دينك، وسبب لغضب الله عليك، فاتق الله، واعرف حق أخيك وأدِّه؛ ولهذا يقول جل وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ يعني: لا غل، ولا حقد، ولا حسد، ولا تباغض، ولا تدابر، ولا خيانة، ولا عدوان على بعضهم من بعض، وهذا واجبهم؛ ولهذا يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**»(١).

هكذا المؤمنون، مثل الجسد الواحد الذي إذا اشتكت منه العين أو اشتكت الرجل أو اليد تتابع عليه التألم، فالمؤمن هكذا مع إخوانه يألم لهم، ويسر لهم، ويحب لهم الخير، ويكره لهم الشر، ويؤذيه ما يؤذيهم، ويحزنه ما يحزنهم، ومن صفاتهم أنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، لا يمنعهم ما بينهم من الصلة والمحبة والأخوة الإيمانية لا يمنعهم ذلك من

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٦).

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ أداء للواجب؛ لأن بهذا الأمر العظيم تصلح المجتمعات، ويسود الحق، وتختفي آثار الشر، أما الإهمال والإعراض، وعدم الأمر والنهي، فإن هذا وسيلة إلى ظهور الشرور، وانتشار المنكرات، واختفاء الفضائل والأعمال الصالحات، فالمؤمنون واجبهم أن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر حسب الطاقة، باليد، ثم اللسان، ثم القلب، ومن أعظم الأعمال: أن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويطيعوا الله ورسوله، هكذا المؤمن يقيم الصلاة كما أمر الله، يؤديها كما أمر الله بجميع شرائطها وأركانها وواجباتها، يؤديها المؤمن مع إخوانه في الجماعة، وتؤديها المؤمنة في بيتها، هذا هو واجب الجميع، وهكذا الزكاة تؤدى من المؤمن عن طيب نفس، وعن إخلاص، وعن صدق، تؤدى كما أمر الله، تنفق في وجوهها كما أمر الله، ثم ختم ذلك بقوله: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، فهذا وصف جامع يجمع الخير كله؛ فالمؤمنون والمؤمنات من شأنهم أن يؤدوا فرائض الله، وينتهوا عن محارم الله، ويجاهدوا أنفسهم في طاعة الله ورسوله في كل شيء. ثم قال بعد هذا سبحانه: ﴿سَيَرۡحَمُهُمُ﴾ [التوبة:٧١]: من كان بهذه الصفات فهو محل الرحمة والعطف والجود والكرم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: رحمهم بأعمالهم الطيبة، واجتهادهم في الخير، وطاعتهم لله ولرسوله، ومن رحمته لهم أنه وفقهم للعمل الصالح في الدنيا، وأدخلهم الجنة في الآخرة، وهذا من رحمته لهم؛ ولهذا قال سبحانه بعد ذلك: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢]: هذا جزاؤهم في الآخرة، وفي الدنيا، وهذا قمة الرضا من الله والتوفيق والإعانة. رزق الله الجميع التوفيق والهداية وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:٨٩)]

* * *

تفسير قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ ﴾ [التوبة:٧٦].

* سؤال: نسأل عن تفسير: الآية رقم ٧٦ إلى الآية ٧٨ من سورة التوبة. وهل ينطبق ذلك على عبد قد عاهد الله على ترك معصية ما، وأغلظ في القول بأن يسخط الله ويغضب عليه إن هو عاد إليها؟

الجواب: الآيات المشار إليها، وهي قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [التوبة:٧٦-٧٨].

هي دالة على أن من عاهد الله أن يفعل شيئًا ثم أخلف عهده، فإنه بذلك قد تخلق بأخلاق المنافقين، وأنه على خطر عظيم من أن يعاقب بالنفاق في قلبه؛ جزاء له على إخلافه الوعد وكذبه، وهو سبحانه بذلك يحذِّر عباده من أخلاق المنافقين، ويحثهم سبحانه على الصدق والوفاء بالعهود، وأوضح لهم سبحانه أنه يعلم سرهم ونجواهم، ولا يخفى عليه شأن من شأنهم، وهذا لا

يمنع التوبة، فمن تاب إلىٰ الله سبحانه توبة نصوحا تاب الله عليه من جميع الذنوب، سواء كان كُفرًا أو نفاقًا أو دونهما، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، وقال عز وجل: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وقد أجمع العلماء علىٰ أن هذه الآية في التائبين، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[(١)]، وصح أيضا عنه ﷺ أنه قال: «**إن الإسلام يجب ما قبله، وإن الهجرة تجب ما قبلها**»[(٢)]. الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تهدم ما كان قبلها.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/٢٣٧)]

* * *

تفسير الآية ١١٩ من سورة التوبة:

* يقول الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

يأمر تعالى عباده المؤمنين بأن يتقوه، يعني: في جميع الأحوال؛ لأن تقوىٰ الله

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٤٠)، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٧١٤٥)، كتاب مسند الشاميين.

أساس كل خير، وهي سبب السعادة في الدنيا والآخرة، وهي جماع الخير؛ فإن التقوىٰ تشمل أداء الواجبات، وترك المحرمات، والإخلاص لله في العمل، والوقوف عند حدوده ﷻ، هكذا التقوىٰ، ثم قال بعده: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الصدق من التقوىٰ، والكذب ضد التقوىٰ؛ فالمؤمن مأمور بالصدق في قوله وعمله، ومنهي عن الكذب في قوله وعمله؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؛ فهو تأكيد علىٰ المؤمنين بأن يلتزموا الصدق، وإن كان داخلًا في التقوىٰ، وهو من التقوىٰ، وشعبة من شعبها.

لكن ينبه الله عليه؛ لعظم شأنه، فالناس في أشد الحاجة إلىٰ الصدق في أقوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم، ومتىٰ دخل الكذب في المعاملات والأقوال والأعمال اختل أمر العلم، وفسد المجتمع، وسادت الفوضىٰ، وزالت الحقيقة، ولهذا يقول ﷻ في موضع آخر من كتابه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

هذا جزاء الصادقين في أقوالهم وأعمالهم؛ الجنة، والكرامة، والسعادة، والرضا من الله ﷻ؛ فينبغي للمؤمن أن يتحرىٰ الصدق، بل يجب عليه أن يتحرىٰ الصدق في سائر أعماله وأقواله، وأن يبتعد عن الكذب في جميع أقواله وأعماله إلا ما أذن الله فيه، وهي في ثلاثة أشياء: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث المرأة زوجها والزوج امرأته، وما سوىٰ ذلك فقد حذر الله من الكذب فيه.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»، قال: «وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[(١)].

فعليك -يا عبد الله- أن تتحرى الصدق والإخلاص في أعمالك وأقوالك، وأن تحذر الكذب في أقوالك وأعمالك فيما يتعلق بحق الله، وفيما يتعلق بحق العباد؛ لأن هذا هو طريق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، فالصلاة تحتاج إلى صدق، والزكاة تحتاج إلى صدق، والصوم يحتاج إلى صدق، والحج يحتاج إلى صدق، وهكذا بقية الأعمال، من بر الوالدين وصلة الرحم، ومن دعوة إلى الله، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وهكذا اجتناب المحرمات يحتاج إلى الصدق؛ حتى يبتعد عن المحارم وعن أسبابها ووسائلها.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:٩٢)]

❁❁❁

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧)، والبخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

سُورَةُ يُونُسَ

تفسير قوله تعالىٰ ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

* **سؤال:** يقول بعض الزملاء: من لم يدخل الإسلام يعتبر حُرًا لا يكره علىٰ الإسلام، ويستدل بقوله تعالىٰ في سورة يونس: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فما رأي سماحتكم في هذا؟

الجواب: هاتان الآيتان الكريمتان والآيات الأخرىٰ التي في معناها، بين العلماء أنها في حق من تؤخذ منهم الجزية كاليهود والنصارىٰ والمجوس، لا يكرهون، بل يخيرون بين الإسلام وبين بذل الجزية.

وقال آخرون من أهل العلم: إنها كانت في أول الأمر، ثم نسخت بأمر الله سبحانه بالقتال والجهاد، فمن أبىٰ الدخول في الإسلام، وجب جهاده مع القدرة حتىٰ يدخل في الإسلام، أو يؤدي الجزية إن كان من أهلها، فالواجب إلزام الكفار بالإسلام إذا كانوا لا يؤخذ منهم الجزية؛ لأن إسلامهم فيه سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، فإلزام الإنسان بالحق الذي فيه الهدىٰ والسعادة خير له من الباطل، كما يُلزم الإنسان بالحق الذي عليه لبني آدم ولو بالسجن أو بالضرب، فإلزام الكفار بتوحيد الله والدخول في دين الإسلام أولىٰ وأوجب؛ لأن فيه سعادتهم في العاجل والآجل إلا إذا كانوا من أهل الكتاب؛ كاليهود والنصارىٰ أو المجوس، فهذه الطوائف الثلاث جاء الشرع بأنهم يخيرون؛ فإما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يبذلوا الجزية عن يد وهم

صاغرون، وذهب بعض أهل العلم إلىٰ إلحاق غيرهم بهم في التخيير بين الإسلام والجزية، والأرجح أنه لا يلحق بهم غيرهم، بل هؤلاء الطوائف الثلاث هم الذين يخيرون؛ لأن الرسول ﷺ قاتل الكفار في الجزيرة، ولم يقبل منهم إلا الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٥]، ولم يقل: أو أدُّوا الجزية.

فاليهود والنصارىٰ والمجوس يطالَبون بالإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا أُوجب علىٰ أهل الإسلام قتالهم، إن استطاعوا ذلك، يقول ﷻ: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

ولما ثبت عن النبي ﷺ أنه أخذ الجزية من المجوس، ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم أخذوا الجزية من غير الطوائف الثلاث المذكورة، والأصل في هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٥]، وهذه الآية تسمىٰ آية السيف، وهي وأمثالها هي الناسخة للآيات التي فيها عدم الإكراه علىٰ الإسلام، والله الموفق.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٤١)]

❁❁❁

سُورَةُ هُودٍ

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦].

* سؤال: الأخ إ. ع. ز. من بانياس الساحل في سوريا يقول في سؤاله: قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وهذا يعني أنه سبحانه ألزم نفسه بإطعام كل ما يدب علىٰ هذه الأرض من إنسان أو حيوان أو حشرات إلخ، فبما نفسِّر المجاعة التي تجتاح بلدان قارة إفريقيا؟

الجواب: الآية علىٰ ظاهرها، وما يقدر الله سبحانه من الكوارث والمجاعات لا تضر إلا من تم أجله وانقطع رزقه، وأما من كان قد بقي له حياة أو رزق؛ فإن الله يسوق له رزقه من طرق كثيرة قد يعلمها وقد لا يعلمها؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ [العنكبوت:٦٠]، وقول النبي ﷺ: «لا تموت نفس حتىٰ تستكمل رزقها وأجلها»(١).

وقد يعاقب الإنسان بالفقر وحرمان الرزق لأسباب فعلها، من كسل وتعطيل للأسباب التي يقدر عليها، أو لفعله المعاصي التي نهاه الله عنها، كما قال سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]

---

(١) أخرجه الإمام مالك في (الموطأ)، كتاب الجامع، باب ماجاء في أهل القدر.

الآية، وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى:٣٠] الآية، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه**» رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة بإسناد جيد.

وقد يبتلى العبد بالفقر والمرض وغيرهما من المصائب؛ لاختبار شكره وصبره لقول الله سبحانه: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٨]، والمراد بالحسنات في هذه الآية: النِعم، وبالسيئات: المصائب، وقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير! إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وبالله التوفيق.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٤٤)]

***

تفسير سورة هود الآيات (١٠٦-١٠٨):

* سؤال: قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود:١٠٦-١٠٨]، هل يفهم من هذا أن من دخل الجنة

يخرج منها إذا شاء الله؟ وهل نسخت هاتان الآيتان بشيء من القرآن إذ أنهما وردتا في سورة مكية؟

الجواب: الآيتان ليستا منسوختين، بل محكمتان، وقوله ﷻ إلا ما شاء ربك، اختلف أهل العلم في معنى ذلك مع إجماعهم على أن نعيم الـجنة دائم أبدًا لا ينقضي، ولا يزول، ولا يخرجون منها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾؛ لإزالة بعض ما قد يتوهم بعض الناس أن هناك خروجًا منها فهم خالدون فيها أبدا؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر:٤٥-٤٦]، يعني آمنين من الموت، وآمنين من الخروج، وآمنين من الأمراض، ولهذا قال ﷻ بعد ذلك: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٧-٤٨]، فهم فيها دائمون، ولا يخرجون، ولا يموتون، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الدخان:٥١-٥٧]، فأخبر سبحانه أن أهل الجنة في مقام أمين، لا يعتريه خراب ولا يزول، وأنهم آمنون أيضًا لا خطر عليهم من موت ولا مرض ولا خروج، ولا يموتون أبدًا.

فقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ قال بعض أهل العلم: معناه: مدة إقامتهم في القبور وليسوا في الجنة، وإن كان المؤمن في روضة من رياض الجنة، لكنها ليست هي الجنة ولكنه شيء منها؛ فإنه يفتح للمؤمن وهو في قبره باب إلى الجنة يأتيه من ريحها وطيبها ونعيمها، وينقل بعد ذلك إلى الجنة فوق السموات والأرض في أعلى شيء.

وقال بعض أهل العلم ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، يعني: مدة إقامتهم في موقف القيامة للحساب والجزاء، وذلك بعد خروجهم من القبور؛ فإنهم بعد ذلك ينقلون إلى الجنة، وقال بعضهم: مجموع الأمرين مدة بقائهم في القبور، ومدة بقائهم في الموقف، ومرورهم على الصراط، وهم في كل هذه الأماكن ليسوا في الجنة، لكنهم ينقلون منها إلى الجنة، ومن هذا يعلم أن المقام مقام واضح ليس فيه شبهة ولا شك، فأهل الجنة في الجنة أبد الآباد، ولا موت ولا مرض، ولا خروج، ولا كدر، ولا حزن، ولا حيض، ولا نفاس، بل نعيم دائم وخير دائم، وهكذا أهل النار يخلدون فيها أبد الآباد، ولا يخرجون منها؛ كما قال عَزَّ وَجَلَّ في حقهم: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وأما قوله عَزَّ وَجَلَّ في حقهم: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فقيل: إن المراد بذلك إقامتهم في القبور، وقيل: مقامهم في الموقف، وهم بعد ذلك يساقون إلى النار، ويخلدون فيها أبد الآباد كما قال تعالى في حقهم في سورة البقرة: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ

عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، وقال سبحانه في سورة المائدة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧].

[سلسة كتاب الدعوة (١٠) الفتاوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٣/ ٢٤)]

۞۞۞

سُورَةُ يُوسُفَ

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

* سؤال: يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ فما معنىٰ الآية؟ وما المراد بالشرك في الآية الكريمة؟

الجواب: قد أوضح العلماء معناها كابن عباس وغيره. وإن معناها: أن المشركين إذا سئلوا عمن خلق السماوات والأرض ومن خلقهم يقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون الأصنام والأوثان، كاللات والعزىٰ ونحوهما، ويستغيثون بها، وينذرون ويذبحون لها.

فإيمانهم هذا هو: توحيد الربوبية، ويَبطل ويَفسد بشركهم بالله تعالىٰ، ولا ينفعهم، فأبوجهل وأشباهه يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وخالق السماوات والأرض، ولكن لم ينفعهم هذا الإيمان؛ لأنهم أشركوا بعبادة الأصنام والأوثان، هذا هو معنىٰ الآية عند أهل العلم.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٤٩)]

* * *

تفسير الآية ١٠٨:

* قال جل وعلا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

لا ريب أن هذه الآية دليل واضح على وجوب الإخلاص لله في الدعوة إليه ﷻ؛ لأن الدعوة إلى الله عبادة يجب أن تكون لله وحده كسائر العبادات؛ فلهذا قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، قال جل وعلا: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص:٨٧]، وهنا يقول سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف:١٠٨]، أي: قل يأيها الرسول للناس: هذه سبيلي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، وهذه سبيلي التي أنا عليها، أسير وأعمل وأوجه، أدعوا إلى الله على بصيرة، وأدعوا إلى الله، إلى عبادته وحده، والإيمان به، والاستقامة على صراطه المستقيم، والالتزام بذلك، وترك ما يخالف ذلك، هكذا شأن الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، يدعون إلى الله، يعني: إلى دينه، وإلى عبادته، وإلى الالتزام بأحكامه، وإلى ترك ما يخالف ذلك؛ ولهذا قال جل وعلا في آية النحل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ بدل ادع إلى الله؛ حيث قال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

فالدعوة إلى سبيل الله هي الدعوة إلى الله؛ لأن سبيله سبحانه هو الإخلاص والمتابعة للرسول ﷺ وهذا هو سبيله جل وعلا من قول وعمل فعلًا وتركًا؛ فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى سبيله وإلى صراطه المستقيم، لا

إلى مذهب معين، أو طريقة معينة، أو آراء معينة، أو إلى فلان أو فلان لكن الدعوة إلى الله تعني: التوجه إلى الله بالعبادة والعمل في كل شيء؛ لأنه هو إله الجميع، وهو خالقهم ومربيهم، وهو مدبر شؤونهم، وهو الخالق لهم، العالم بهم وبما يصلحهم.

فوجب على العباد أن يلتزموا بما أمرهم به، وأن يستقيموا عليه؛ لأنه ليس هناك أعلم من الله بهم، وليس هناك من يستحق العبادة سواه، فهو المستحق للعبادة؛ لكمال إحسانه، وكمال إنعامه، وكمال قدرته، وكمال أسمائه وصفاته؛ ولأنه جل وعلا العالم بما يصلح العباد، وبما يقيمهم على الطريق السوي، ويحفظ عليهم مصالحهم، ويقيهم شر أعدائهم وشر ما يضرهم؛ فليس هناك من يعلم أفضل العلم إلا رسوله، فوجب الالتزام بما يرسمه لهم، ويقيمه لهم، من الصراط المستقيم؛ ولهذا قال في آيات أخرى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، يعني: الطريق الذي رسمه لهم، وهو صراطه المستقيم؛ بالإخلاص للعبادة له جل وعلا، والإيمان به وبرسله، واتباع رسوله ﷺ فيما أمر ونهى، هذا هو سبيله وصراطه، وهذا هو الذي صار عليه أنبياؤه، وهذا هو الذي يدعو إليه كل رسول وكل نبي: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، يعني: خذوا به، والتزموه، واستقيموا عليه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣] وهي الطرق الأخرى، فالحق واحد وسبيله واحد، والباطل أنواع منوعة، وسبل مختلفة، ومن سار عليها مالت به عن الحق واستولى عليه الشيطان؛ ولهذا جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه خط خطا مستقيما وقال: «هذا سبيلي» ثم

خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله فقال: «**هذه السُبل، وعلىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣](١).

وأمر -جل وعلا- في سورة الفاتحة عباده بطلب الهداية إلىٰ سبيله وإلىٰ الصراط المستقيم ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٦-٧]، وصراطه المستقيم هو: ما شرعه لنا من الأحكام من الهدىٰ ودين الحق الذي بعث به نبيه وأرسله به ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة:٣٣] بالهدىٰ: بالعلم النافع، والأخبار الصادقة، ودين الحق: الأعمال الصالحة، والشرائع المستقيمة، والأحكام العادلة، وأخبر أيضًا في سورة الشورىٰ أن النبي يهدي إلىٰ ذلك، فقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، فوجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله، وعلىٰ كل عالم، وعلىٰ كل مسلم، وعلىٰ كل إنسان، وعلىٰ كل مكلف من جن وإنس أن يلتزم بهذا الصراط، وأن يستقيم عليه، وأن يدعو إليه؛ لأنه دين الله وصراطه، ولا يجوز لأحد من المكلفين الخروج عن ذلك أينما كان؛ من بر وبحر وجو وأرض، بل يجب عليه أن يلتزم بهذا الصراط، وأن يسير عليه، ويدعو إليه عن صدق وإخلاص ورغبة لما عند الله، وحذر من عقابه.

ولا يتم هذا إلا بالتفقه في هذا الصراط، والتعلم؛ وذلك بالعناية بكتاب الله

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٦٥)، والنسائي في الكبرى برقم (١١١٧٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٩).

وبسنة رسوله ﷺ حتى يكون متبصرًا في هذا الصراط، عالمًا به، حتى لا يدعو إلى غيره يظن أنه الصراط؛ فالجهل داء عضال. يؤدي بأهله أن يظنوا ما ليس بحق حقًّا وإلى أن يظنوا ما ليس هدى هدى، فليس كل أحد يفهم هذا الصراط ويعلمه، فوجب التعلم والتبصر والتفقه في الدين، ولا سبيل إلى هذا إلا بالتفقه في كتاب الله (القرآن العظيم)، والإقبال عليه، والاهتداء به، فقد بيَّن الله فيه صراطه المستقيم، وبين دعوة الرسل وأن كل شيء دعوا إليه هو أساس الصراط، وهو أصله، وهو توحيد الله والإخلاص له ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ﴿ وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف:٤٥].

فأصل الصراط وأساسه هو توحيد الله، والإخلاص له، وتوجه القلوب إليه، والاعتراف بحقه، وأنه سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [الحج:٦٢]، فلا بد من الإيمان بأنه هو المعبود بالحق، ولا بد من صرف العبادة إليه وحده وتخصيصه بها عز وجل، فلا يعبد معه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي معروف بالعبادة والخير، ولا غيرهم؛ كالصنم والجن والملائكة، وغير ذلك، كلهم لا يصلحون أن يُعبدوا من دون الله، كلهم عبيد لله، ومخلوقين لله، يجب أن يسيروا في طاعته سبحانه وتعالى، وأن يحذروا غضبه، ويستوي في ذلك الأنبياء والأولياء من الجن والإنس، فإن الجن فيهم أولياء، وفيهم صالحون كما قال عز وجل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا

ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن:١١]، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجن:١٤].

فلا يجوز أن يعبد مع الله غيره من جن ولا إنس، ولا صنم، ولا شجر، ولا حجر، ولا كوكب، ولا غير ذلك؛ فالعبادة حق الله وحده، وهذا الصراط هو طريق المنعَم عليه، ولهذا قال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] أهل العلم والعمل هم المنعَم عليهم الذين تفقهوا في الدين، وعرفوا دين الله، وتبصروا فيه، وعملوا به، وهذا هو صراطهم، هو صراط الله المستقيم الذي سار عليه الأنبياء، وسار عليه الصالحون بعدهم من أتباعهم كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وكما أنه لا يُعبد الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، كذلك لا يُعبد أصحابهم وأتباعهم، مثل: أتباع هود، وأتباع شعيب، وأتباع داوود وسليمان وغيرهم، وهكذا لا يُعبد أصحاب عيسىٰ وحواريوه؛ كما لا يُعبد عيسىٰ ومريم، ولا يُعبد حواريوه، كلهم عباد لله، والعبادة حق لله وحده: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧] هذا قول عيسىٰ ﷺ فيما ذكره الله عنه، قال للناس: اعبدوا الله ربي وربكم.

وهكذا أصحاب الأنبياء كالصديق رضي الله عنه، وكعمر رضي الله عنه، وكعثمان رضي الله عنه وكعلي رضي الله عنه، وكطلحة بن الزبير رضي الله عنهما، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وأبي عبيدة بن الجراح وبقية العشرة رضي الله عنهم، وهكذا غيرهم من الصحابة كابن مسعود، وابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ كلهم لا يُعبدون من دون الله، ولا يُستغاث بهم، ولا يُنذر لهم، ولا يُذبح لهم، فالعبادة حق الله وحده، وهكذا أهل بيت النبي ﷺ، وهكذا أهل بيت الأنبياء؛ كل بيوت الأنبياء وأهلوهم لا يُعبدون من دون الله، فإذا كان بيوت الأنبياء أنفسهم لا يُعبدون، فأهلوهم من باب أولى؛ فالعبادة حق الله وحده.

ولهذا قال جل وعلا في سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢]، وفي سورة لقمان: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [لقمان:٣٠] فالحق هو دين الله وهو عبادة الله وحده، ولزوم صراطه المستقيم وذلك بتخصيص العبادة لله وحده؛ من صلاة، وزكاة، وصوم، وذبح، ونذر، ودعاء واستغاثة، وطلب شفاء مريض، ورد غائب ونحوه، هذا كله لله، وإنما الأنبياء والرسل متبعون يُسلك طريقهم، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ تجب طاعته واتباعه، والسير على منهاجه، مع محبته العظيمة المحبة الصادقة التابعة لمحبة الله سبحانه المقتضية اتباعه، والسير على منهجه، والمقتضية ترك ما نهى عنه ﷺ، ولزوم طريق الله، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١].

هكذا يجب على الدعاة والعلماء أن ينبهوا الناس، وأن يبصروهم بهذا الأمر، فأساس الملة وأصلها هو توحيد الله، والإخلاص له، وتوجيه القلوب إليه، وتخصيصه بالعبادة، وهذا أصل الصراط المستقيم، ثم يلي ذلك بقية الشرائع من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وترك ما حرم الله ﷻ.

ولا تصلح هذه الفروع من الصلاة وما دونها إلا بصحة الأصل، فمتى استقام الأصل استقام العبد على توحيد الله، والإخلاص له، والسلامة من الشرك كله، واستقامت له أعماله الأخرى، ومتى فسد هذا الأصل، وصار صاحبه من المشركين بطلت أعماله؛ قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥] هذا أصل أصيل، وأساس عظيم لهذا الدين العظيم الذي بعث الله به نبيه ﷺ، وأساس عظيم للدعاة إلى الله، والعلماء والمبلغين، وأساس عظيم لكل مسلم يجب أن يلتزمه، ويسير عليه، وأن يحافظ عليه أينما كان، وفي جميع العبادات.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية والفقه في هذا الأمر العظيم وجزى الله الشيخ عبد الرحمن خيرًا، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

[كتاب حديث المساء (ص:٩٥)]

سُورَةُ الرَّعْـدِ

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١].

* سؤال: ما تفسير قول الحق -تبارك وتعالىٰ- في سورة الرعد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١]؟

الجواب: الآية الكريمة آية عظيمة تدل علىٰ أن الله -تبارك وتعالىٰ- بكمال عدله وكمال حكمته لا يغير ما بقوم من خير إلىٰ شر، ومن شر إلىٰ خير، ومن رخاء إلىٰ شدة، ومن شدة إلىٰ رخاء؛ حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم، فإذا كانوا في صلاح واستقامة، وغيروا غير الله عليهم بالعقوبات والنكبات والشدائد والجدب والقحط والتفرق، وغير هذا من أنواع العقوبات جزاءً وفاقًا؛ قال سبحانه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦]، وقد يمهلهم سبحانه، ويملي لهم، ويستدرجهم؛ لعلهم يرجعون، ثم يؤخذون علىٰ غرة، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤]، يعني: آيسون من كل خير، نعوذ بالله من عذاب الله ونقمته، وقد يؤجلون إلىٰ يوم القيامة، فيكون عذابهم أشد، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:٤٢]، المعنىٰ: أنهم يُؤجلون

ويُمهلون إلىٰ ما بعد الموت، فيكون ذلك أعظم في العقوبة وأشد نقمة.

وقد يكونون في شر وبلاء ومعاص، ثم يتوبون إلىٰ الله، ويرجعون إليه، ويندمون ويستقيمون علىٰ الطاعة، فيغير الله ما بهم من بؤس وفرقة، ومن شدة وفقر إلىٰ رخاء ونعمة، واجتماع كلمة وصلاح حال؛ بأسباب أعمالهم الطيبة، وتوبتهم إلىٰ الله ﷻ، وقد جاء في الآية الأخرىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٥٣]، فهذه الآية تبين لهم أنهم إذا كانوا في نعمة ورخاء وخير، ثم غيَّروا بالمعاصي غُير عليهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- وقد يُمهلون كما تقدم، والعكس كذلك إذا كانوا في سوء ومعاص أو كفر وضلال، ثم تابوا وندموا واستقاموا علىٰ طاعة الله، غيَّر الله حالهم من الحالة السيئة إلىٰ الحالة الحسنة، وغيَّر تفرقهم إلىٰ اجتماع ووئام، وغيَّر شدتهم إلىٰ نعمة وعافية ورخاء، وغيَّر حالهم من جدب وقحط وقلة مياه ونحو ذلك إلىٰ إنزال الغيث وإنبات الأرض، وغير ذلك من أنواع الخير.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٥٢)]

***

كيف الجمع بين قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، وبين أن القوم لا يستطيعون أن يغيّروا ما كتب لهم؟

* **سؤال**: ما هو تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ فتقول السائلة: مع أن الله هو الذي خلق الأنفس، وهو الذي يتحكم في تغييرها، فكيف يستطيع القوم أن يغيّروا ما بأنفسهم، ويغيّروا ما

كُتب عليهم؟ أرجو التفضل بالشرح الوافي حول هذا الموضوع وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: الله سبحانه هو مدبِّر الأمر، وهو مصرِّف العباد كما يشاء سبحانه وتعالى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، وهو سبحانه قد شرح لعباده الأسباب التي تقربهم منه، وتسبب رحمته، وإحسانه إليهم، ونهاهم عن الأسباب التي تسبب غضبه عليهم وبعدهم منه، وحلول العقوبات بهم، وهم مع ذلك لا يخرجون عن قدره بفعل الأسباب التي شرعها لهم، والتي نهاهم عنها؛ فالله أعطاهم عقولًا، وأعطاهم أدوات، وأعطاهم أسبابًا يستطيعون بها أن يتحكموا فيما يُريدون من جلب خير ودفع شر، وهم بذلك لا يخرجون عن مشيئة كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]، وقد سئل النبي ﷺ: قالوا: يا رسول الله إن كان ما نفعله قد كُتب علينا وفُرغ منه، ففيم العمل؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**اعملوا؛ فكلٌّ ميسر لما خلق له**»[1].

أما أهل السعادة، فيُيَسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة، فيُيَسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم تلا عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]، هكذا قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٣٠٤).

بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد:١١].

فأمره نافذ ﷻ، لكنه جل وعلا يغيّر ما بالناس إذا غيّروا، فإذا كانوا علىٰ طاعة واستقامة ثم غيّروا إلىٰ المعاصي، غيّر الله حالهم من الطمأنينة والسعادة واليسر والرخاء إلىٰ غير ذلك، وقد يُملي لهم سبحانه، ويتركهم علىٰ حالهم؛ استدراجًا، ثم يأخذهم علىٰ غرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:٤٢]، وقال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤].

فالواجب الحذر، وعلىٰ المؤمن أن يتقي الله، ويسعىٰ في الحق، وأن يستقيم عليه، وألا يحيد عنه إلىٰ الباطل، فإنه متىٰ حاد عنه إلىٰ الباطل، فقد تعرض إلىٰ غضب الله بأن يغيّر قلبه، وأن يغيّر ما به من نعمة إلىٰ ضدها من جدب وقحط وفقر وحاجة وغير ذلك، وهكذا بعد الصحة إلىٰ المرض، وهكذا بعد الأمن إلىٰ الخوف، إلىٰ غير ذلك، بأسباب الذنوب والمعاصي، وهكذا العكس، إذا كانوا في معاص وشرور وانحراف، ثم توجهوا إلىٰ الحق وتابوا إلىٰ الله، ورجعوا إليه، واستقاموا علىٰ دينه، فإن الله يغيّر ما بهم سبحانه من الخوف والفقر والاختلاف والتشاحن إلىٰ أمن وعافية واستقامة وإلىٰ رخاء وإلىٰ محبة وإلىٰ تعاون وإلىٰ تقارب؛ فضلًا منه سبحانه، وفي هذا يقول ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ

يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال:٥٣].

فالعبد عنده أسباب وعنده عمل، وعنده إرادة، وعنده مشيئة، ولكنه بذلك لا يخرج عن قدر الله ومشيئته؛ فالواجب عليه أن يستعمل ما استطاع بطاعة الله ورسوله، وأن يستقيم علىٰ ما أمره الله، وأن يحذر ما نهىٰ الله ورسوله عليه الصلاة والسلام عنه، وأن يسأل ربه العون والتوفيق، والله سبحانه هو المتفضل، وهو الموفق، وهو الهادي جل وعلا، وله الفضل، وله النعمة، وله الإحسان سبحانه وتعالى، بيده الفضل، وبيده توفيق العباد، وبه هدايتهم، وبيده إضلالهم، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء سبحانه.

الخلاصة: أن العبد له أسباب وأعمال، والله أعطاه أدوات يعرف بها الضار والنافع والخير والشر، فإذا استعمل عقله وأسبابه في الخير، جازاه الله علىٰ ذلك بالخير العظيم، وأدر عليه نعمه، وجعله في نعمة وعافية بعدما كان في سوء وشر، فإذا تاب إلىٰ الله وأناب واستقام؛ فالله جل وعلا بجوده وكرمه يغيّر حاله السيئة إلىٰ حالة حسنة، وهكذا إذا كان العبد علىٰ راحة واستقامة، ثم انحرف وحاد عن الطريق، وتابع الهوىٰ والشيطان، فالله سبحانه قد يعجله بالعقوبة، وقد يغيّر عليه سبحانه وتعالى، فينبغي له أن يحذر، وألا يغتر بأنعم الله عليه سبحانه وتعالى.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٥٦)]

* * *

* شرح قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه، أما بعد:

فقد سمعنا جميعا هذه الكلمة المباركة من صاحب الفضيلة الشيخ جعفر شيخ إدريس حول قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، وأوضح فضيلته أن الذي يظهر له من كلام المفسرين القدامىٰ أن الآية ليست علىٰ عمومها بالنسبة إلىٰ ما يوجد في الناس من الفقر والحاجة والمعاصي ونحو ذلك، وأن الله لا يرزقهم ولا يغيّر حالهم من فقرهم وحاجتهم وذلهم ونحو ذلك؛ حتىٰ يغيّروا ما بأنفسهم، وأن المراد منها عكس ذلك، وأنه لا يغيّر حالهم من الرخاء وما هم فيه من النعم إلىٰ الفقر والحاجة، إلا إذا غيّروا أنفسهم بالمعاصي والسيئات.

هذا قول له بعض الوجاهة بالنظر إلىٰ واقع الناس، ولكن علىٰ القاعدة الشرعية المعروفة أن الاعتبار بالنصوص لعموم الألفاظ، لا بخصوص الأسباب، ولا بما يقع من الناس، فالآية عامة؛ لأن الله عمَّمَ فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، ظاهره من رخاء إلىٰ شدة، أو من شدة إلىٰ رخاء: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، حتىٰ يأتوا بالأسباب؛ أسباب تغيير النعم من معاصيهم وسيئاتهم وتفرقهم وقعودهم عن الأسباب، فتزول بسبب ذلك والعكس يحدث؛ حيث يكونون في فقر وحاجة، ومعاصٍ وسيئات، ثم يغيرون بطاعة الله ﷻ، أو بتعاطي الأسباب والأخذ بالأسباب التي تدر عليهم الأرزاق بإذن الله، فيغير الله حالهم، فالأظهر في هذه الآية -والله

أعلم- هو العموم، وأن الآية عامة، وأما ما قد يقع خلاف ذلك؛ فلله فيه الحكم سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٤٤]؛ فقد يُملي الله لبعض الناس كما في الحديث الصحيح: «إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[(١)]، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:٤٢].

فقد يُملي الله تعالى للكفرة من الأمريكان والروس وغيرهم من كذا وكذا على ظلمهم وكفرهم، ويُدرُّ عليهم النعم، ويؤخر العذاب إلى يوم القيامة، وهذا نص الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:٤٢]، فقد تستمر النعم عليهم؛ زيادة في عذابهم ونكالهم يوم القيامة، ولإقامة الحجة عليهم، وهذا معنى الآية الأخرى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٤٤]: لما نسيت الأمم ما هي فيه، واتخذت أهواءها إلـهًا لها، وتابعت الكفر والمعاصي من طوائف النصارى وطوائف اليهود أو طوائف الوثنيين أو غيرهم أملي لهم: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ [الأعراف:١٨٣] فأملي لهم، وتواترت عليهم النعم، فيكون ذلك أشد في عذابهم يوم القيامة، وأعظم في

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ ﴾، برقم (٤٦٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣).

قطع حجتهم وإبلا سهم.

والذي يظهر أن الآية وما يقع خلاف ذلك هو لحكمة بالغة، اقتضتها حكمة الله وسُننه التي أوجدها في عباده ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، أما الأسباب فهي: إن استمروا على طاعة الله، واستقاموا على أمره، وأخذوا بالأسباب، أدرَّ الله عليهم النعم، وأوسع لهم الرزق، ونصرهم على الأعداء، وإن غيروا غيّر عليهم، وفيما وقع في عهد النبي -صلى الله عليهم وسلم- عبرة؛ ففي غزوة بدر جرى ما جرى مع قلة القوم؛ صبروا وجاهدوا واستقاموا، واتفقت كلمتهم، فنصرهم الله على عدوهم مع قلتهم وكثرة عدوهم وبغيه، وسلاحه الكثير، ويوم أحد لما غيروا غيّر عليهم وفيهم رسول الله أفضل الخلق، وفيهم الصحابة أفضل أولياء الله بعد الأنبياء، ولما غير الرماة موقفهم، وعصوا الرسول ﷺ جرى عليهم ما جرى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:١٥٢] الآية يعني: سُلطوا عليكم، وجرى ما جرى من القتل والجراحات والهزيمة، حتى كادوا أن يقتلوه ﷺ لولا حفظ الله له، وإنجاؤه إياه ﷻ بأسباب فعلوها هم من الفشل والتنازع وعصيان الأمر، فسلط عليهم العدو، مع أنهم أكثر من يوم بدر، فالحاصل أن الوقائع لها شأنها، وهكذا يوم الأحزاب؛ العدو كثير، والمسلمون بالنسبة إليهم قليل محصورون، فلما كان المسلمون في غاية من الاستقامة، وفي غاية من الهداية مع قلتهم كفاهم الله شر عدوهم، وأرسل على عدوهم الريح العظيمة التي

قلعت خيامهم وكفأت قدورهم، وأقلقتهم؛ حتىٰ انكشفوا عن المدينة، وردهم الله خائبين لم ينالوا خيرا مع أنهم جاؤوا بحلق شديدة، وكيد عظيم، وحاصروا المدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل، ثم بدَّدَ الله شملهم، وردهم علىٰ خسارة وذل وهوان، والأمثلة في هذا كثيرة، فإذا استمر الناس علىٰ البغي والعدوان، وأدر الله عليهم الرزق، صار ذلك حجة عليهم، وسبب لعقابهم؛ إما بعقاب مؤجل كما جرىٰ لقوم نوح وقوم صالح وقوم هود وقوم شعيب وغيرهم، وإما بالتأجيل إلىٰ يوم القيامة.

والخلاصة أن الآية عامة، وما يقع بخلاف ذلك فهو لحكمة بالغة، ولأسباب اقتضت ذلك، وليس ذلك بمخصص للآية.

ثم أيضًا يجب أن يُراعىٰ أن هناك أسبابًا غير الطاعات، فمن غير الطاعات أيضًا: تعاطي أسباب الرزق، والتأهب في إعداد القوة لعدوهم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾؛ من الزراعة، والسلاح، وطلب الرزق، وليست مجرد الطاعات التي تدور بها المعينات من الصلاة والصوم، بل هناك طاعات أخرىٰ لابد منها في مجابهة العدو، وفي قتال العدو، وفي الإعداد له، أمر الله بها في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال:٦٠]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء:٧١] فلابد من إعداد أسباب يأخذ بها المؤمنون؛ حتىٰ تكون سببًا لتغيير ما بهم من نقص وضعف، فطاعتهم لله وصلاتهم وصومهم ونحو ذلك طاعة عظيمة، وإعدادهم العدة طاعةٌ أيضًا مأمورون بها كونهم يتعلمون أنواع الصناعة؛ حتىٰ يستفيدوا منها وحتىٰ يستغنوا عن عدوهم، وحتىٰ يزول فقرهم، ويتعاطون الزراعة،

ويصلحون الأراضي، ويعدون العدد الأخرىٰ التي أمر الله بها؛ لمكافحة عدوهم، وهذه كلها من الطاعات، وكلها فروض كفاية، وقد تكون فرض عين في بعض الأحيان علىٰ حسب الحاجة إليها.

فالمقصود أنه لابدَّ أن تراعىٰ كل أنواع الطاعات؛ الطاعات البدنية المعينة لابد منها التي أوجبها الله، والطاعات الأخرىٰ التي تجب بوجود أسبابها عند عجزهم عن السلاح، يجب أن يوجد السلاح، وعند عجزهم عن الزراعة، يجب أن يوجدوها، وهكذا الأسباب الأخرىٰ التي يكون بها الإعداد والتهيؤ لعدوهم حتىٰ لا ينقض عليهم وليس عندهم ما يقابلوهم به، أو حتىٰ يهجم أو يبدؤوهم بالقتال؛ لأن عندهم من القوة ما يكفي لذلك، هذا هو الذي يظهر والله أعلم.

وفي إمكان طالب العلم أن يراجع الكتب، وأن يعتني بما قاله العلماء؛ حتىٰ يستفيد من ذلك، ويظهر له ما يطمئن إليه قلبه، أما الذي يظهر لي الآن أن الآية علىٰ عمومها، وأما قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ [الأنفال:٥٣] فلا يقتضي التخصيص، بل هذه آية مستقلة، وهذه آية مستقلة، بين في هذه أن النعم قد تزول بأسباب ما يُغيّره الناس، وقد يتقاعسون عن الأسباب، فتزول النعم، فيقع في المعاصي فتزول النعم، فالآية لها معناها، والآية الأخرىٰ لها معناها.

واسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يجزي أخانا الشيخ جعفر خيرًا علىٰ فتحه هذا الباب، وصلي اللهم وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

[كتاب حديث المساء (ص:١٠٣)]

سُورَةُ الْحِجْرِ

تفسير سورة الحجر الآيات ٤٥، ٤٨:

* قال الله جل وعلا في كتابه المبين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر:٤٥-٤٨].

في آيات كثيرة بيَّن سبحانه أنه أعد الجنة لأهل التقوى، وهم الذين اتقوا عقاب الله، واتقوا عذاب الله؛ بفعل أوامره، وترك نواهيه سبحانه وتعالى، وهؤلاء هم المتقون الذين أطاعوه بترك ما حرَّم عليهم، وأداء ما فرض عليهم سبحانه وتعالى؛ فلهذا سماهم متقين، وهم أهل الإيمان والهدى، وهم أهل الصلاح، وهم المسلمون الكُمَّل الذين حققوا إيمانهم بطاعة الله ورسوله، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله؛ ولهذا في آيات أخرى يقول جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات:٤١]، ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [القلم:٣٤]، وفي غير ذلك من الآيات الدالة على فضل أهل التقوى.

وفي هذه الآية يقول: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾، يعني: في بساتين فيها أنواع الثمار، وأنواع الخيرات، وأنهار جاريات، والعيون السائحات لنعيم أهل الجنة، ولحصول ما يسرُّهم وما ينفعهم وما تقر به أعينهم في تلك

الدار العظيمة: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ يقال لهم: ادخلوها بسلام؛ لأن الجنة هي دار السلام: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس:٢٥]، ﴿ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [الأنعام:١٢٧]، وهي الجنة دار السلام، ليس فيها أذى، ولا مرض، ولا موت، ولا كدر؛ فهي دار السلام من كل مكروه ومن كل أذى: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾: هذا وصفهم، فهم آمنون في هذه الدار، فلا موت ولا مرض، ولا كدر، ولا حزن، ولا خروج، ولا غير هذا من أنواع الأذى والمكاره، هم آمنون كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الدخان:٥١-٥٥]، هم آمنون، وفي مقام أمين؛ فالدار آمنة لا خراب ولا فساد فيها.

أيضًا هم آمنون من كل أذى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾: أهل الجنة يدخلونها وقد نُزِع ما في صدورهم من الغل يكون الناس في الدنيا وإن كانوا مؤمنين، وإن كانوا متقين، فقد تقع بينهم خصومات وأشياء تسبب بعض الغل والحزن، ولكن هذا يزول قبل دخولهم الجنة إذا مروا على الصراط، ووقفوا على قنطرة محل هناك بين الجنة وبين الصراط عند منتهى الصراط؛ قنطرة يقف عليها أهل الجنة، فيقتص لبعضهم من بعض، ويعطى كل واحد حقه من أخيه حتى لا يبقى بينهم أشياء، فيدخلونها وقد سلمت صدورهم، ونزع منها كل غل وبلاء: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر:٤٧]

يقتص هؤلاء بعضهم لبعض، فإذا هذبوا ونقوا وصفت قلوبهم، ولم يبق شيء من غل وغيره، دخلوها آمنين سالمين؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر:٤٨] وهو التعب، لا تعب النفس، ولا تعب البدن، كله منتفٍ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾: بقائهم فيها دائم، وأمنهم فيها دائم، ونعيمهم فيها دائم، وهكذا أخبر الله عنهم جل وعلا، وفي الحديث يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي منادٍ** -يعني: من عند الله- **يا أهل الجنة، إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا**». فهم في نعيم دائم، وصحة دائمة، وشباب دائم، ونعيم مستمر، فلا موت، ولا مرض، ولا كدر، ولا غير ذلك؛ ولهذا قال بعده سبحانه: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾، وقال في آخره: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

فالنعيم دائم، والصحة دائمة، والمقام أمين، والحياة مستمرة على أحسن حال، فهذه الدار ينبغي أن تطلب، وينبغي أن يسعى لها الساعون والمشمرون والأخيار، وأن يحذروا كل ما يعوقهم عن ذلك، ثم قال بعد ذلك سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠] يحذرهم سبحانه من أسباب العذاب، ويحثهم على أسباب المغفرة، من التوبة والاستغفار والدعاء.

فالإنسان يعرض له عوارض وإن كان من المتقين، وهو مأمور بسؤال الله التوبة والاستغفار؛ فالله غفور رحيم ﷻ، وكذلك مأمور بالحذر من المعاصي والشرور؛ لأن ربه شديد العقاب: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾: هذا ترغيب وترهيب، ودعوة إلى الخير، وتحذير من الشر، ودعوة إلى التوبة والاستقامة، وطلب المغفرة؛ لأن الله غفور رحيم ﷻ، وتحذير من التساهل وارتكاب المحارم، والإصرار على المعاصي؛ فإن عذاب الله شديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

[كتاب حديث المساء (ص:١٠٩)]

۞۞۞

سُورَةُ النَّحْلِ

تفسير سورة النحل الآية ٥٦:

* سؤال: يقول السائل في رسالته: يقول الله تعالىٰ يوم القيامة: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦]، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٩٣]، ولكني وجدت آية في سورة الرحمن تنفي حدوث السؤال للإنس والجن يوم القيامه، يقول المولىٰ فيها: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن:٣٩]، فكيف يمكن الجمع بين هذه الآيات التي تثبت الحساب والأخرىٰ التي تنفي السؤال؟

الجواب: أيها الأخ السائل، اعلم أن يوم القيامة له أحوال وله شؤون، وهو يوم طويل، ومقداره خمسون ألف سنة، كما قال جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ [المعارج:٤-٧].

فهو يوم طويل عظيم، وله شؤون وله أحوال، والناس فيه علىٰ أحوال، ففي وقت يُسألون، وفي وقتٍ لا يُسألون، وفي وقتٍ يَسألهم الله عن أعمالهم، كما قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] فيسألهم ويجازيهم، وتعرض عليهم صحائفهم، وفي وقت آخر من هذا اليوم

الطويل يسألون، وهكذا ليس في قوله جل وعلا عن الكفار أنهم قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣]، وفي موضع آخر؛ حيث قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢]، ولهذا نظائر، فيوم القيامة طويل عظيم، للناس فيه شؤون مع ربهم ﷻ؛ فتارة يُقرون، وتارة يجحدون، وتارة يسألون، وتارة لا يسألون، فانتبه لهذا، ولا تشك في شيء من ذلك، فكله حق، والله المستعان.

[فتاوى نور على الدرب]

* * *

تفسير سورة النحل الآية ٦٠:

* سؤال: يرد سؤال يتكرر دائمًا في المقابلات الصحفية وخلافها وهو: من هو مثلك الأعلى؟ وتختلف الإجابة باختلاف الأشخاص، هناك من يقول: محمد رسول الله ﷺ، وهناك من يقول: والدي وهكذا، ما رأي سماحتكم -حفظكم الله- في هذا السؤال؟ وما علاقته بآية سورة النحل رقم (٦٠) وهي قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أفيدونا أثابكم الله.

الجواب: المعنى يختلف فيما أشرت إليه، فإذا أريد بيان من هو الأحق بالوصف الأعلى؛ فالجواب هو الله وحده؛ لأنه سبحانه هو الذي له المثل الأعلى في كل شيء، ومعناه: الوصف الأعلى، وهو سبحانه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبيه له ولا كفء له ولا ندَّ له، وهذا المعنى هو المراد في الآيتين الكريمتين المذكورتين في سؤالك، وقد قال الله ﷻ: ﴿قُلْ

هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

[سلسلة كتاب الدعوة (١١) الفتاوىٰ لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز (٣/ ١٤)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

* سؤال: قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ علىٰ من يعود الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾؟

الجواب: يعود الضمير علىٰ المدعوين، والمعنىٰ: ادع الناس إلىٰ سبيل ربك، فالضمير في جادلهم يعني: المدعوين، سواء كانوا مسلمين أو كفارًا، ومثلها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وأهل الكتاب هم الكفرة من اليهود والنصارىٰ، فلا يجوز جدالهم إلا بالتي هي أحسن، وإلا الذين ظلموا منهم، فالظالم يُعامل بما يستحقه.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٥٧)]

* * *

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

حكم والِدَي النبي ﷺ:

* سؤال: قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وقد ورد في بعض الأحاديث أن الرسول ﷺ أخبر أن والديه في النار. والسؤال: ألم يكونا من أهل الفتره، والقرآن صريح بأنهم ناجون؟ أفيدونا أفادكم الله.

الجواب: أهل الفترة ليس في القرآن ما يدل على أنهم ناجون أو هالكون، إنما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] فالله جل وعلا من كمال عدله لا يعذب أحدًا إلا بعد بعث الرسول، فمن لم تبلغه الدعوة، فليس بمعذب حتى تقام عليه الحجة.

وأخبر سبحانه أنه لا يعذبهم إلا بعد إقامة الحجة، والحجة قد تقوم عليهم حتى يوم القيامة، كما جاء في السنة أنه تقام الحجة على أهل الفترات، ويُمتحنون يوم القيامة؛ فمن أجاب وامتثل نجا، ومن عصى دخل النار، والنبي ﷺ قال: «**إن أبي وأباك في النار**» لرجل سأله عن أبيه قال: أين أبي؟ فقال: «**في النار**» فلما رأى ما في وجهه من التغير قال: «**إن أبي وأباك في النار**»[1]؛ حتى يتسلى بذلك، وأنه ليس خاصًا بأبيه، ولعل هذين بلغتهما

(١) صحيح مسلم، الإيمان (٢٠٣)، سنن أبو داود، السنة (٤٧١٨)، ومسند أحمد بن حنبل (٣/ ١١٩).

الحجة، فلعل أبا الرجل وأبا النبي ﷺ بلغتهما الحجة.

والنبي ﷺ حينما قال: «إن أبي وأباك في النار» قاله عن علم، فهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم:١-٤]. فلولا أن عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ قد قامت عليه الحجة؛ لما قال النبي ﷺ في حقه ما قال، فلعلَّه بلغه ما يُوجب عليه الحجة من جهة دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنهم كانوا على ملة إبراهيم حتى أحدثوا ما أحدثه عمرو بن لُحي الخزاعي، وسار في الناس ما أحدثه عمرو بن لُحي من بث الأصنام ودعوتهما من دون الله، فلعل عبد الله كان قد بلغه ما يدل على أن ما عليه قريش من عبادة الأصنام باطل فتابعهم؛ فلهذا قامت عليه الحجة.

وهكذا ما جاء في الحديث من أنه ﷺ استأذن أن يستغفر لأمه فلم يؤذن له، فاستأذن أن يزورها فأذن له، فهو لم يؤذن له أن يستغفر لأمه؛ فلعله لأنه بلغها ما يقيم عليها الحجة، أو لأن أهل الجاهلية يعاملون معاملة الكفرة في أحكام الدنيا، فلا يُدعى لهم، ولا يستغفر لهم؛ لأنهم في ظاهرهم كفار، وظاهرهم مع الكفرة، فيعاملون معاملة الكفرة وأمرهم إلى الله في الآخرة. فالذي لم تقمَّ عليه الحجة في الدنيا لا يعذب حتى يُمتحن يوم القيامة؛ لأنه ﷻ قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥] فإذا علم أن أناسًا في فترة لم تبلغهم دعوة نبي؛ فإنهم يُمتحنون يوم القيامة فإن أجابوا صاروا إلى الجنة، وإن عصوا صاروا إلى النار، وهكذا الشيخ الهرِم الذي ما بلغته الدعوة، والمجانين الذين ما بلغتهم الدعوة وأشباههم، وأطفال الكفار على الصحيح يُمتحنون؛ لأنَّ

الرسول ﷺ لما سُئل عنهم قال: «اللهُ أعلم بما كانوا عاملين»[١]. فأولاد الكفار يمتحنون يوم القيامة كأهل الفترة، فإذا أجابوا جوابًا صحيحًا نجوا، وإلا صاروا مع الهالكين، فليس -بحمد اللهِ- في حق أبوي النبي ﷺ إشكال على من عرف السنَّة وقاعدة الشرع.

[فتاوى نور على الدرب]

۞۞۞

(١) صحيح البخاري، الجنائز (١٣١٧)، صحيح مسلم، القدر (٢٦٦٠)، سنن الجنائز (١٩٥١)، سنن أبو داود، السنة (٤٧١١)، مسند أحمد بن حنبل (١/ ٣٥٨).

سُورَةُ الْكَهْفِ

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الآية: ٧٩].

* سؤال: يقول السائل: ورد في سورة الكهف علىٰ لسان الرجل الصالح في قصته مع موسىٰ عليه السلام، في قوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٩-٨٢].

لاحظت أنه عند السفينة قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وعند الأبوينِ المؤمنينِ ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾، وعند ذكر قصة اليتيمينِ صاحبي الجدار ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ فما الفرق بين التعابير الثلاثة؟ وهل لذلك الرجل الصالح إرادة في الأمر مع إرادة الله؟

الجواب: الصحيح أن هذا الرجل هو الخضر صاحب موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وأنه نبي، وليس مجرد رجل صالح بل الصحيح أنه نبي، ولهذا قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، أي: عن أمر الله سبحانه وتعالى.

وجاء في القصة نفسها في الصحيح أنه قال لموسىٰ: «**إنَّك علىٰ علم من علم الله علَّمك إياه لا أعلمه وأنا علىٰ علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت**»[1].

---

(١) صحيح البخاري، تفسير القرآن (٤٤٥٠)، صحيح مسلم، الفضائل (٢٣٨٠)، سنن الترمذي، القرآن (٣١٤٩)، مسند أحمد بن حنبل (٥/ ١١٨).

فدل ذلك على أنه من الأنبياء، ولهذا قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾.

وقال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ والرسول يعلم إرادة الله حيث جاءه الوحي بذلك.

وفي قصة السفينة نسب الأمر إليه ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، هذا والله أعلم؛ لأنَّ الربَّ سبحانه يُنسب إليه الشيء الطيب، والعيب ظاهره ليس من الشيء الطيب، فنسبه إلى نفسه؛ تأدبًا مع ربه ﷻ فقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وهذا عيبٌ المراد منه أن تسلَم السفينة حتى لا يأخذها الملك؛ لأنه كان يأخذ كل سفينة صالحة سليمة، فأراد الخضر أن يعيبها؛ لتسلَم من هذا الملك إذا رآها معيبة خاربة تسلَم من شره وظلمه، فلما كان ظاهر الأمر لا يناسب ولا يليق إضافته لله، نسبه لنفسه، فقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾.

وعند ذكر الأبوينِ المؤمنينِ قال: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ كذلك لما كان أمرًا طيبًا نسبه إلى نفسه؛ لأنه مأمور من جهة الله ﷻ (أردنا)، وذكر نون الجمع؛ لأنه نبي، والنبي رجل عظيم، فناسب أن يقول (أردنا)، ولأنه عن أمر الله وعن توجيه الله، فناسب أن يُقال فيه (فأردنا)، ولأنه كان عملًا طيبًا ومناسبًا وفيه مصلحة.

ولما كان أمر اليتيمين فيه خير عظيم، وصلح لهما ومنفعة لهما، قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ فنسب الخير إليه ﷻ، وهذا من جنس قول الجن في سورة الجن، حيث قال سبحانه عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

فالشر لم يضيفوه إلى الله ﷻ، ولما جاء الرشد قالوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فنسبوا الرشد إلى الله ﷻ؛ لأنَّ الرشد خير، فنسبوه إلى الله، وأما الشر فلا ينسب إليه، كما جاء في الحديث الصحيح: «**والشر ليس إليك**»[1]، وهذا من الأدب الصالح، من أدب الجن المؤمنين، ومن أدب الخضر عليه السلام، قال في العيب: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وفي اليتيمين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ وهذا من الأدب المناسب مع الله سبحانه.

[فتاوى نور على الدرب]

* * *

يأجوج ومأجوج من بني آدم (الآية ٩٣ من سورة الكهف):

* **سؤال**: سمعنا عن قوم يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم، فما موقعهم الحالي في عالمنا المعاصر؟ وما دورهم فيه؟

الجواب: هم من بني آدم، ويخرجون في آخر الزمان، وهم في جهة الشرق، وكان الترك منهم، فتركوا دون السد، وبقي يأجوج ومأجوج وراء السد، والأتراك كانوا خارج السد. فيأجوج ومأجوج من الشعوب الشرقية (الشرق الأقصى)، وهم يخرجون في آخر الزمان من الصين الشعبية وما حولها بعد خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم ﷺ لأنهم تُركوا هناك حين

(١) صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١)، وسنن الترمذي، الدعوات (٣٤٢٢)، وسنن النسائي، الافتتاح (٨٩٧)، سنن أبو داود، الصلاة (٧٦٠)، وسنن ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٦٤)، ومسند أحمد بن حنبل (١/ ١٠٣)، وسنن الدارمي، الصلاة (١٢٣٨).

بنى ذو القرنين السد، وصاروا من ورائه من الداخل، وصار الأتراك والتتر من الخارج.

والله جل وعلا إذا شاء خروجهم على الناس، خرجوا من محلهم، وانتشروا في الأرض، وعثوا فيها فسادا، ثم يُرسل الله عليهم نغفًا في رقابهم، فيموتون موتة نفس واحدة في الحال، كما صحت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ، ويتحصَّن منهم نبي الله عيسى بن مريم ﷺ والمسلمون؛ لأنَّ خروجهم في وقت عيسى ﷺ بعد خروج الدجال.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٩/ ٣١٣)]

۞۞۞

سُورَةُ مَرْيَمَ

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١].

* سؤال: ما تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟

الجواب: قد فسر النبي ﷺ الورود في الآية بأنه: المرور على متن جهنم؛ لأن الصراط منصوب على متنها، فالمتقون يمرون وينجيهم الله من شرها، والكافرون يسقطون فيها، والعاصي على خطر من ذلك، نسأل الله العافية، قال الله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١-٧٢].

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٥٨)]

۞۞۞

سُورَةُ طَهَ

* قال الله -جل وعلا- في سورة طه: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه:٨٩].

والمعنى: أين ذهبت عقول هؤلاء حتى عبدوا صورة عجل، لا يرد إليهم قولًا، ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا، ولا يكلِّمهم ولا يهديهم سبيلا. فعلم بذلك أن الله سبحانه هو الضار والنافع الذي يسمع الدعاء، ويجيب المضطر إذا دعاه، ويتكلم إذا شاء، وأن هذه الصفات من صفات الكمال التي يجب أن يكون المعبود بحق موصوفًا بها، وبخلاف الأصنام ونحوها، فإنها لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر، ولا تجيب من دعاها، ولاترجع إليه قولا، ولا تهديه سبيلاً.

فكيف يجوز أن تعبد مع الملك الحق السميع المجيب، النافع الضار، العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء، ولا إله غيره، ولا رب سواه؟

[كتاب أركان الإسلام للإمام ابن باز (ص:١٤)]

۞۞۞

سُورَةُ الْحَجِّ

* سؤال: ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم أن هناك منافع في الحج، فما هي هذه المنافع؟

الجواب: لقد ذكر الله تبارك وتعالى هذه المنافع في قوله -جل وعلا- في سورة الحج بعدما أمر نبيه وخليله إبراهيم ببناء البيت الحرام، ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٧-٢٨].

ومن هذه المنافع ذكر بعض المفسرين -رحمهم الله تعالى- المنافع التي تحصل للحجاج: دنيوية، وأخروية، مما يشاهده ويحس به الفرد المسلم في نفسه وفي أمته.

فمن المنافع الدنيوية التي يلمسها الناس البيع والشراء، ومكاسب أصحاب الحرف التي تتعلق بالحجاج، والحركة المستمرة في وسائل النقل المختلفة، وفائدة الفقراء مما يدفع لهم من صدقات، أو يقدم من ذبائح الهدي والكفارات عن كل محظور يرتكبه المحرم، وتسويق البضائع والأنعام، إلى غير ذلك مما يلمسه كل مسلم يشارك في الحج، ومن المشاهد أن الله يهون النفقة والبذل فيه على الإنسان حتى تجود يده بما لم يجد به من

قبل في حياته العادية، علاوة على ما في الحج من التعارف فيما بين المسلمين والتعاون على مصالحهم.

أما المنافع الدينية والتي تعود بالخير الجزيل على أعمال الآخرة فمنها: التفقه في الدين، والاهتمام بشؤون المسلمين عمومًا، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله -سبحانه- والفوز بما وعد الله به الحجاج والعمار من تكفير السيئات والفوز بالجنة، وتنزل الرحمة على عباد الله في هذه المشاعر العظيمة، وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: **«ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو فيباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»**. رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها. وقال عليه الصلاة والسلام: **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»** متفق عليه.

[مجموع الفتاوى، د. عبد الله الطيار، والشيخ: أحمد الباز (٢١٧)]

❁❁❁

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

* يقول الله -جل وعلا- في كتابه المبين في صفة عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وهذه صفة الأخيار من عباد الله، وهذه صفة أولياء الله المؤمنين وهي أنهم من خشية ربهم مشفقون، يعني: أنهم دائمًا يخشون الله عز وجل، ويراقبونه، ويعظمونه، ويخشون غضبه ومقته سبحانه وتعالى؛ وما ذاك إلا لكمال علمهم بالله، وكمال تعظيمهم له، وعلمهم بحقه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ مع إشفاقهم وخشيتهم من الله أنهم يؤمنون بآيات الله المتلوة والمشاهدة، يؤمنون بآياته المتلوة كالقرآن الكريم وما قبله من الكتب النازلة من السماء، يؤمنون بأنها كلام الله، وأنه أنزلها رحمة لعباده، وإحسانًا إليهم، وتعليمًا لهم لما ينفعهم، ولما يرضى الله عنهم سبحانه وتعالى.

وأعظمها وأهمها هو القرآن الكريم، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، يقول فيه سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]،

ويقول ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥].

هكذا أهل الإيمان يؤمنون بآيات الله ويعظمونها، ويتبعون كتابه، ويعظمون ما فيه من الأوامر والنواهي، ويرجون ثواب الله ويخشون عقابه، كما أنهم يؤمنون بآيات الله المشاهدة التي يشاهدونها من سماء وأرض وجبال وأنهار وبحار وأشجار وغيرها من المخلوقات: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠-٢١].

إن نفس الإنسان من آيات الله؛ يتدبرها ويتعقلها وما أعطاه الله من عقل وسمع وبصر، وأدوات يستعين بها على حاجته، وعلى طاعة ربه إلى غير هذا مما في نفسه من الآيات، وكلها دلائل، وكلها براهين على قدرة خالقها سبحانه، وأنه رب العالمين الذي يستحق العبادة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ من صفات أهل الإيمان كمال الإخلاص، يوحدون الله، ويخلصون له، لا يشركون معه أحدًا ﷻ في عبادته، بل هم أهل إخلاص وعناية بأعمالهم، ليس فيها شركة لغيره ﷻ من صلاة وصوم ودعاء وحج وغير ذلك، كلها لله وحده ﷻ، وهكذا قراءتهم وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ودعوتهم إلى الله، إلى غير هذا من وجوه الخير، كله لله وحده لا للرياء والسمعة ولا لغرض آخر: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

هذه من أعمالهم، يعملون ما يعملون، ويعطون ما أعطوا من الطاعات

والصدقات، وهم مع ذلك خائفون وجلون مشفقون، يخشون أن تردَّ عليهم أعمالهم أو بعضها، يخشون من غضب الله؛ بسبب تقصيرهم، يخشون من الوقوع فيما حرَّم الله، وهم مع أعمالهم العظيمة واجتهادهم وطاعتهم وإخلاصهم وصدقهم هم على وجل وعلى خوف وعلى خشية، يخشون من ربهم ﷻ أن تردَّ عليهم أعمالهم بما قد يقع من تقصير وعدم قيام بالواجب، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾؛ إيمانًا منهم بأنهم إلى ربهم راجعون، وأنه مجازيهم بأعمالهم؛ فإن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وهم وجِلون مُشفقون يخشون أن تردَّ عليهم هذه الأعمال، أو يحصل عليهم فيها نقص وخلل، ويحصل ما لا تحمد عقباه؛ فلهذا يشفقون ويحذرون، ويراقبون أعمالهم، ويجتهدون في إكمالها وفي إتقانها؛ لعلها تقبل، ولعلها لا ترد، قال جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أولئك الذين هذه أعمالهم، وهذه صفاتهم: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يعني: من صفاتهم الحميدة أنهم مسارعون بالخيرات، ليسوا أهل عجز، ولا كسل، وليسوا أهل تثاقل عن طاعة الله ولكنهم أهل مسارعة وأهل مسابقة؛ ولهذا سارعوا للخيرات، وسبقوا إليها، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ من سارع إليها صادقًا سبق المتخلفين، ولكن المصيبة التخلف والتثاقل والتباطؤ وعدم المسارعة، هذه مصيبة الأكثرين؛ تباطؤوا وتثاقلوا، فسبقهم الأخيار، ونالوا الرتب العالية بحسب مسابقتهم ومسارعتهم، وسبقوا أولئك المتخلفين، وصار أولئك المتخلفون يعضون أصابع الندم؛ لما جرى من تقصير وتأخر، فعليك

يا عبدالله في دار المهلة، في دار العمل، في هذه الدار، دار الدنيا، عليك أن تعمل، وأن تسارع، وأن تثابر، وأن تحاسب نفسك؛ حتى تؤدي الأعمال كاملة موفرة كما شرعها الله. رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

[كتاب حديث المساء (ص:١١٣)]

❁❁❁

سُورَةُ النُّورِ

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥].

* **سؤال:** أريد من سماحتكم تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

الجواب: معنى هذه الآية الكريمة عند العلماء: أن الله سبحانه منورها، فجميع النور الذي في السماوات والأرض يوم القيامة كان من نوره سبحانه.

والنور نوران: نور مخلوق، وهو ما يوجد في الدنيا والآخرة، وفي الجنة وبين الناس الآن من نور القمر والشمس والنجوم، وهكذا نور الكهرباء، والنار؛ كله مخلوق، وهو من خلقه سبحانه وتعالى.

أما النور الثاني: فهو غير مخلوق، بل هو من صفاته سبحانه وتعالى. والله سبحانه وبحمده بجميع صفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق، فنور وجهه عز وجل، ونور ذاته سبحانه وتعالى كلاهما غير مخلوق، بل هما صفة من صفاته جل وعلا، وهذا النور العظيم وصف له سبحانه، وليس مخلوقا، بل هو صفة من صفاته؛ كسمعه وبصره ويده وغير ذلك من صفاته العظيمة سبحانه وتعالى، وهذا هو الحق الذي درج عليه أهل السنة والجماعة.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٥٩)]

❁❁❁

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

* قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢١-٣١].

القرآن كله هدىٰ، كله توجيه إلىٰ الخير، ينبغي للمؤمن أن يعتني بالقرآن، وأن يكثر من تلاوته أينما كان؛ لأن القرآن هو كلام الله. يقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]. ويقول ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

والرب -جل وعلا- إذا ذكر عن الكفار وعن المنافقين أخبارهم فينبغي التحذير منهم.

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾، فنحذر أن نقول مثل قولهم أو نعمل مثل عملهم.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾؛ بسبب عدم إيمانهم، وعدم إخلاصهم لله، لا يرجون لقاء الله، وما عندهم إيمان بالآخرة، ويقولون ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: هلا نزل علينا من أمر ربنا؟ ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بهذا الطلب ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ يرون الملائكة وما أُنزلتْ من العذاب ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يُبين الله -جل وعلا- أن أعمالهم باطلة؛ بسبب شركهم وكفرهم ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾؛ فالواجب على المؤمن أن يحذر صفات الكافرين والمنافقين وأعمالهم، وأن يحذر التأسي بهم في أقولهم وأعمالهم، وأن يجتهد في إخلاصه لله، والعمل بطاعة الله، والاستقامة على دين الله، والحذر من كل ما يغضبه سبحانه وتعالى، وهذا هو طريق النجاة، وهذا هو سبيل السعادة.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونعوذ بالله من مخالفة أمره وارتكاب نهيه، ونعوذ بالله من طاعة الهوى والشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم صل وسلم على نبينا محمد.

[من مسائل الشيخ عبدالعزيز السدحان على الشيخ بن باز]

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية [الفرقان:٦٨].

* سؤال: ما معنى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩]؟ وهل المقصود في الآية أن يفعل الإنسان الكبائر الثلاث ثم يخلد في النار؟ أم المقصود إذا ارتكب إحدى هذه الكبائر يخلد في النار؟ فمثلا: ارتكب جريمة القتل هل يخلد في النار أم لا؟ نرجو أن تتفضلوا بالتفسير المفصل لهذه الآية الكريمة؟

الجواب: هذه الآية العظيمة فيها التحذير من الشرك والقتل والزنا، والوعيد لأصحاب هذه الجرائم بما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ قال بعض المفسرين: إنه جُبٌّ في جهنم، وقال آخرون معنى ذلك: إنه إثم كبير عظيم، فسَّره سبحانه بقوله: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ فهذا جزاء من اقترف هذه الجرائم الثلاث؛ أنه يُضاعف له العذاب يوم القيامة، ويُخلَّد فيه مُهانًا لا مُكرمًا، وهذه الجرائم الثلاثة مختلفة في المراتب، فجريمة الشرك: هي أعظم الجرائم وأعظم الذنوب، وصاحبه مخلد في النار أبد الآباد، لا يخرج من النار أبدًا بإجماع أهل العلم، كما قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة:١٧]، وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ

يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]، وقال في حقهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٧]، والآيات في هذا كثيرة، فالمشرك إذا مات على شركه ولم يتب، فإنه مخلد في النار، والجنة عليه حرام، والمغفرة عليه حرام بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، فجعل المغفرة حراما على المشرك إذا مات على الشرك، أما ما دون الشرك فهو تحت مشيئة الله.

والخلاصة: أن المشرك إذا مات على شركه، فهو مخلد في النار أبد الآباد بإجماع أهل العلم، وذلك مثل الذي يعبد الأصنام أو الأحجار أو الأشجار أو الكواكب أو الشمس أو القمر أو الأنبياء، أو يعبد الأموات ومن يسمونهم بالأولياء، أو يستغيث بهم ويطلب منهم المدد، أو العون عند قبورهم، أو بعيدًا منها، مثل قول بعضهم: يا سيدي فلان المدد المدد، يا سيدي البدوي المدد المدد، أو يا سيدي عبد القادر أو يا سيدي رسول الله المدد المدد، الغوث الغوث، أو يا سيدي الحسين أو يا فاطمة أو يا ست زينب أو غير ذلك ممن يدعوه المشركون، وهذا كله من الشرك الأكبر -والعياذ بالله-، فإذا مات عليه صاحبه صار من أهل النار -والعياذ بالله- والخلود فيها.

أما الجريمة الثانية وهي: القتل، والثالثة وهي: الزنا؛ فهاتان الجريمتان

دون الشرك، وهما أكبر المعاصي وأخطرها إذا كان من يتعاطاهما لم يستحلهما، بل يعلم أنهما محرمتان، ولكن حمله الغضب أو الهوىٰ أو غير ذلك علىٰ الإقدام علىٰ القتل، وحمله الهوىٰ والشيطان علىٰ الزنا، وهو يعلم أن القتل بغير حق محرم، وأن الزنا محرم، فأصحاب هاتين الجريمتين متوعدون بالعقوبة المذكورة، إلا أن يعفو الله عنهم، أو مَنَّ عليهم بالتوبة النصوح قبل الموت؛ ولعظم هاتين الجريمتين، وكثرة ما يحصل بهما من الفساد قرنهما الله بجريمة الشرك في هذه الآية، وتوعد أهل هذه الجرائم الثلاث بمضاعفة العذاب والخلود فيه؛ تنفيرا منها، وتحذيرًا للعباد من عواقبها الوخيمة، ودلَّت النصوص الأخرىٰ من الكتاب والسنة علىٰ أن القتل والزنا دون الشرك في حق من لم يستحلهما وأنهما داخلان في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أما من استحلهما فهو كافر حكمه حكم الكفرة وهو الخلود في العذاب يوم القيامة. نسأل الله العافية والسلامة.

أما من تاب من أهل هذه الجرائم الثلاث وغيرها توبة نصوحًا؛ فإن الله يغفر له، ويبدل سيئاته حسنات إذا أتبع التوبة بالإيمان والعمل الصالح، كما قال سبحانه بعدما ذكر هذه الجرائم الثلاث وعقوبة أصحابها: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

فالله سبحانه يغفر لأهل المعاصي التي دون الشرك إذا شاء ذلك، أو يعذبهم في النار علىٰ قدر معاصيهم، ثم يخرجهم منها بشفاعة الشفعاء؛ كشفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأفراد والمؤمنين ويبقىٰ في النار أقوام

من أهل التوحيد، لا تنالهم الشفاعة من أحد، فيخرجهم الله تعالى برحمته؛ لأنهم ماتوا على التوحيد والإيمان، ولكن لهم أعمال خبيثة ومعاص دخلوا بها النار، فإذا طهروا منها، ومضت المدة التي كتب الله عليهم، أخرجوا من النار برحمة من الله عز وجل، ويلقون في نهر يقال له: (نهرالحياة) من أنهار الجنة، ينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم أدخلهم الله الجنة، وبهذا يعلم أن العاصي كالقاتل والزاني لا يخلد في النار خلود الكفار، بل له خلود خاص على حسب جريمته لا خلود الكفار.

وخلود الشرك خلود دائم ليس له منه محيص، وليس له نهاية، كما قال تعالى في سورة البقرة في حق المشركين: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٦-٣٧]، أما من دخل النار من العصاة فإنهم يخرجون منها إذا تمت المدة التي كتب الله عليهم؛ إما بشفاعة الشفعاء، وإما برحمة الله تعالى من دون شفاعة أحد، كما جاء ذلك في أحاديث الشفاعة المتواترة عن رسول الله ﷺ، فإن فيها أنه يبقى في النار أقوام لم يخرجوا بشفاعة الشفعاء، فيخرجهم سبحانه منها بدون شفاعة أحد؛ لكونهم ماتوا على التوحيد، وخلود من يخلد من العصاة في النار خلود مؤقت له نهاية، والعرب تسمي الإقامة الطويلة خلود، كما قال بعض الشعراء يصف قومًا:

«أقاموا فأخلدوا...»، أي: طولوا الإقامة، فلا يخلد في النار الخلود الدائم إلا أهلها وهم الكفرة، فتطبق عليهم، ولا يخرجون منها كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد:١٩-٢٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة:٨-٩].

نسأل الله العافية والسلامة.

[مجموع الفتاوى د. الشويعر، (٢٤/ ٢٦٥)]

۞۞۞

سُورَةُ النَّـمَلِ

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٨٢][١].

* سؤال: يقول السائل: يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢]. ما تفسير هذه الآية الكريمة جزاكم الله خيرًا؟

الجواب: جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنها دابة تخرج في آخر الزمان عند طلوع الشمس من مغربها؛ قبلها بقليل أو بعدها بقليل، والله أعلم بمكثها في الأرض، ولكنها تخرج في آخر الزمان، وتكلم الناس، كما قال الله ﷻ، وأما تفاصيل أخبارها فليس في تفصيل أخبارها أحاديث صحيحة فيما أعلم.

[فتاوىٰ نور علىٰ الدرب]

❁❁❁

---

(١) نور على الدرب.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

تفسير الآية ١٦٩:

* يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

يحرض سبحانه عباده على الجهاد في سبيله؛ وهذا يشمل جهاد الكفار، وجهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الفساق؛ لأنه جل وعلا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾، ولم يذكر المجاهدين، بل أطلق اللفظ عمومًا، فدل ذلك على أن من جاهد في سبيله لأعدائه بالجهاد الشرعي، وهكذا من جاهد نفسه في طاعة الله حتى تستقيم، وجاهد شيطانه حتى يسلم من مكائده ونزعاته، وجاهد العصاة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتوجيه إلى الخير والدعوة إلى الحق، فإنه قد سعى في خلاصه ونجاته، وأن الله سبحانه يهديه سبل الخير وطرق الخير؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾، المفعول محذوف، فما قال: أنفسهم، ولا قال الكفار، بل أطلق المعنى: جاهدوا الكفار، وجاهدوا الأنفس، وجاهدوا الشيطان، وجاهدوا الفساق بالطرق الشرعية: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾، وهذه الهداية من الله تشمل دلالتهم على الخير، وإرشادهم إليه، وتوفيقهم للأخذ به والثبات عليه، والهداية الكاملة تشمل دلالة العبد على الخير وتوفيقه للأخذ والرضا به، والعمل به؛

ولهذا قال ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

فمن جاهد نفسه لله، وجاهد عدوه الشيطان، وجاهد عدوه الكافر حسب طاقته، وجاهد العصاة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتوجه إلى الخير، فهو على طريق نجاة، وعلى سبيل سعادة، والله وعده سبحانه بأن يهديه سبله، يعني: أن يهديه إلى طرق الخير، وأعمال الخير حتى يوفق للثبات على الصراط المستقيم بأسباب أعماله الصالحة، وجهاده الطيب لنفسه وشيطانه ولأعدائه، ولإخوانه المسلمين الذين وقعوا في بعض المحارم، ثم قال بعده: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فدل على أن المجاهد في سبيله، والدعاة إليه بالمعروف والناهين عن المنكر الصادقين في ذلك أنهم من المحسنين، والله مع المحسنين، فيقول سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، ويقول في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

فعليك يا عبد الله أن تجاهد هذه النفس في الله ﷻ؛ حتى تستقيم، وحتى تلزم الحق، وعليك أن تجاهد شيطانك؛ حتى تسلم من مكائده ونزعاته ودعوته الباطلة، وعليك أن تكون مع المجاهدين في سبيله بجهاد أعدائه إذا استطعت ذلك، وعليك أن تكون مع الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

المجاهدين في سبيله في إظهار الحق، وإخفاء الباطل، والردع عن الفساد في الأرض، عليك أن تكون معهم حسب طاقتك كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة:٧١]، وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ويقول النبي ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

وبهذا الجهاد من كل مؤمن تستقيم أحوال الناس؛ فردًا وجماعة، وتأمن البلاد، ويصلح المجتمع، وتظهر الفضائل في الأرض، وتختفي الرذائل، وبالإهمال والإضاعة وعدم الجهاد يكثر الشر، ويقل الخير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:١٢٠)]

۞۞۞

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان برقم (٤٩).

سُورَةُ الرُّومِ

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم:١-٢].

* سؤال: ما تفسير هذه الآيات الكريمات التي منها قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ أرجو من فضيلة الشيخ تفسير هذه الآيات الكريمة، ومن الروم المذكورون فيها؟

الجواب: الروم: هم النصارىٰ المعروفون، وكانت بينهم وبين الفرس سجالات؛ تارة يدال علىٰ هؤلاء، وتارة يدال علىٰ هؤلاء، وأخبر الله تبارك وتعالى أنهم غلبوا، غلبتهم الفرس: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فوقع ذلك فغلبت الروم الفرس، وكان ذلك في أول مبعث النبي ﷺ حين كان الرسول ﷺ في مكة، وكان ذلك من الآيات الدلائل علىٰ صدقه ﷺ، وأنه رسول الله حقًا؛ لوقوع الأمر، كما أخبر الله في كتابه العظيم.

فالله -جل وعلا- هو العالم بالمغيبات، ويخبر نبيه بما شاء سبحانه وتعالى، كما أخبره عن الكثير مما يكون في آخر الزمان، كما أخبره بما مضىٰ من الزمان؛ من أخبار عاد، وثمود، وقوم نوح، وفرعون وغيرهم، وكما أخبره أيضًا عليه الصلاة والسلام عما يكون يوم القيامة، ومن حال أهل الجنة وأهل النار إلىٰ غير ذلك، فهذا من جملة الأخبار الغيبية التي أخبر بها القرآن ووقعت كما أخبر، وكان ذلك علامة

صدق الرسول محمد ﷺ، وقد فرح المسلمون بذلك؛ لأن الروم أقرب إلى المسلمين من الفرس؛ لأنهم أهل كتاب، والفرس عباد أوثان؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٦٧)]

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم:٢٧].

* **سؤال:** قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:٢٧]، هل المثل يعني الشبيه؟

الجواب: يعني المثل: الوصف الأعلى من كل الوجوه، فهو سبحانه الموصوف بالكمال المطلق من كل الوجوه، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]. والله ولي التوفيق.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٦٨)]

* * *

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم:٣١].

* **سؤال:** يسأل السائل عن معنى هذه الآية: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الروم:٣١-٣٢]؟

الجواب: يبين تعالى في الآية أن من صفات المشركين تفريق الدين، وأن يكونوا شيعًا؛ كل شيعة لها رأي، ولها كلام، ولها أنصار، وهكذا يكون المشركون، وهكذا الكفار، يتفرقون، وكل طائفة لها رئيس ولها متبوع، تغضب لغضبه، وترضى لرضاه، ليس همهم الدين وليس تعلقهم بالدين.

أما المسلمون فهم يجتمعون على كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهدفهم هو اتباع الكتاب والسنة، فهم مجتمعون على ذلك ومعتصمون بحبل الله. أما غيرهم من الكفار فهم أحزاب وشيع، والله عَزَّ وَجَلَّ يحذرنا أن نكون مثلهم، ويأمرنا أن نقيم الصلاة، وأن نستقيم على دين الله، وأن نجتمع على الحق، ولا نتشبه بأعداء الله المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وهكذا أصحاب البدع شابهوا المشركين؛ حرفوا دينهم وكانوا شيعًا! هذا معتزلي، وهذا جهمي، وهذا مرجئ، وهذا شيعي، إلى غير ذلك.

فالتفرق في الدين هو مخالفة لما أمر الله به من الاعتصام بحبل الله، والاستقامة على دين الله، وعدم التنازع والفشل.

[فتاوى نور على الدرب]

۞۞۞

سُورَةُ الأَحْزَابِ

تفسير الآية ٥٣:

* سؤال: كثر الحديث لدى البعض عن الحجاب، وعن حجاب المرأة العاملة في المستشفيات، نأمل من سماحتكم بيان صفة الحجاب الشرعي الذي يجب، وخاصة في مثل هذا الحجاب.

الجواب: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ المراد بذلك: أزواج النبي ﷺ والنساء غيرهن كذلك في الحكم، وبين سبحانه أن التحجب أطهر لقلوب الرجال والنساء، وأبعد عن الفتنة، وقال سبحانه في سورة النور: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور:٣١] الآية، والوجه من أعظم الزينة، والشعر كذلك واليد كذلك، ويمكن أن تحجب المرأة وجهها بالنقاب، وهو الذي تبدو منه العينان أو أحدهما، ويكون الوجه مستورًا؛ لأنها تحتاج لبروز عينها لمعرفة الطريق، ويمكنها أن تحتجب بحجاب غير النقاب كالخمار لا يمنعها من النظر إلى طريقها، لكن تخفي زينتها وتستر رأسها، وجميع بدنها، وعلى المرأة أن تجتنب استعمال الطيب عند خروجها للسوق أو المسجد أو محل العمل إن كانت موظفة؛ لأن ذلك من أسباب الفتنة.

[سلسلة كتاب الدعوة (١٠) الفتاوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله (٣/ ٢٣٧)]

تفسير الآيات ٧٠، ٧١:

يقول الله -جل وعلا- في كتابه المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

كثيرًا ما يأمر الله عباده المؤمنين بتقواه؛ لأنها جماع الخير، ولأنها تشمل أداء فرائض الله، وترك محارم الله، والوقوف عند حدود الله، فمن اتقى الله، تمت له السعادة، وفاز بالنعيم المقيم، والخير الكثير، والعاقبة الحميدة، ولهذا قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: الزموها، واستقيموا عليها؛ لأن المؤمن من شأنه أنه متقٍ لله، والمعنى: الأمر بلزوم التقوى، والاستقامة عليها، والصبر عليها، حتى يموت عليها، ثم قال: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾، يعني: احفظوا الألسنة عن الخطأ والزلل؛ حتى لا تقول إلا قولًا سديدًا، والقول السديد هو الصواب، وهو من التقوى، ومن شعب التقوى حفظ اللسان وصيانته عما لا ينبغي؛ ولهذا خصه الله بالذكر؛ لعظمة خطره، فقال: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾، وقال في آية أخرى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

فاللسان خطره كبير، فالواجب على كل مؤمن أن يحفظه، وأن يصونه إلا مما ينفعه، ومما ينفعه القول السديد وهو القول الصواب؛ من ذكر الله، وتحميده، وتسبيحه، واستغفاره، والدعوة إليه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير هذا من الحقوق والأمور المشروعة التي يشرع للمؤمن أن

يتكلم بها، وبذلك يفوز بالخير العظيم، ويسلم من شر كثير.

فإن لم يتكلم بالخير فليسكت؛ ولهذا قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(١)؛ لأنه إذا صمت سلم، فإن تكلم فله أو عليه، فعليه أن يحذر أن يكون كلامه عليه لا له، ثم بين ﷻ أن من جزاء ذلك ومن ثواب ذلك أن الله -جل وعلا- يصلح للعبد العمل إذا اتقاه، وحفظ لسانه، وأصلح عمله، وغفر ذنبه، وهذه نعمة عظيمة، وفائدة كبيرة لمن اتقى ربه، وحفظ لسانه أن الله يصلح له عمله، ويغفر له ذنبه، ثم قال جل وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١]، وهذه هي التقوى، وهي طاعة الله ورسوله في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والمشاهد والمغيب، وفي جميع الأحوال، ومن التقوى حفظ اللسان والجوارح عن محارم الله، واستعمالها في طاعة الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:١٢٣)]

۞۞۞

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره برقم (٦٠١٩)، ومسلم في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها برقم (٤٨).

سُورَةُ فَاطِرٍ

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

* **سؤال**: أرجو تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾؟

الجواب: هذه الآية عظيمة، وهي تدل علىٰ أن العلماء -وهم العلماء بالله وبدينه وبكتابه العظيم وسنة رسوله الكريم- هم أكمل الناس خشية لله، وأكملهم تقوىٰ لله وطاعة له سبحانه، وعلىٰ رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فمعنىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ﴾، أي: الخشية الكاملة من عباده العلماء، وهم الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وعظيم حقه تبارك وتعالى، وتبصروا في شريعته، وآمنوا بما عنده من النعيم لمن اتقاه، وما عنده من العذاب لمن عصاه وخالف أمره، فهم لكمال علمهم بالله، وكمال معرفتهم بالحق كانوا أشد الناس خشية لله، وأكثر الناس خوفًا من الله وتعظيمًا له تبارك وتعالى، وليس معنىٰ الآية: أنه لا يخشىٰ الله إلا العلماء؛ فإن كل مسلم ومسلمة، وكل مؤمن ومؤمنة يخشىٰ الله عز وجل ويخافه سبحانه، لكن الخوف متفاوت.

ليسوا علىٰ حدٍ سواء، فكلما كان المؤمن أعلم بالله، وأفقه في دينه، كان خوفه من الله أكثر، وخشيته أكمل، وهكذا المؤمنة كلما كانت أعلم بالله، وأعلم بصفاته، وعظيم حقه، كان خوفها من الله أعظم، وكانت خشيتها لله

أكمل من غيرها، وكلما قل العلم، وقلت البصيرة، قل الخوف من الله، وقلت الخشية له سبحانه، فالناس متفاوتون في هذا حتى العلماء متفاوتون، فكلما كان العالم أعلم بالله، وكلما كان العالم أقوم بحقه وبدينه، وأعلم بأسمائه وصفاته، كانت خشيته لله أكمل ممن دونه في هذه الصفات، وكلما نقص العلم نقصت الخشية لله، ولكن جميع المؤمنين والمؤمنات كلهم يخشون الله تعالى على حسب علمهم ودرجاتهم في الإيمان؛ ولهذا يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة:٧-٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، فهم مأجورون على خشيتهم لله، وإن كانوا غير علماء وكانوا من العامة، لكن كمال الخشية للعلماء؛ لكمال بصيرتهم وكمال علمهم بالله، فتكون خشيتهم لله أعظم وبهذا يتضح معنى الآية، ويزول ما يتوهم بعض الناس من الإشكال في معناها، والله ولي التوفيق.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٧٠)]

❁❁❁

سُورَةُ يس

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس:٣٨] الآية.

* سؤال: ما تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس:٣٨-٤٠].

الجواب: هذه الآية الكريمة فسَّرها الرسول ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه وهو قوله: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ ذكر النبي ﷺ لأبي ذر قال: «**يا أبا ذر، أتدري ما مستقرها؟**» فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**مستقرها: أنها تسجد تحت عرش ربها عز وجل ذاهبة وآيبة**»[1]، بأمره سبحانه وهو سجودٌ الله أعلم بكيفيته سبحانه وتعالى.

وهذه المخلوقات كلها تسجد لله وتسبح له -جل وعلا-، تسبيحًا وسجودًا يعلمه سبحانه، وإن كنا لا نعلمه ولا نفقهه، كما قال عز وجل: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٤]، وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الخلق) باب: صفة الشمس والقمر (٢٩٦٠).

وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج:١٨]، وهذا السجود يليق به، ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، ومن هذا قوله تعالىٰ في سورة الرعد: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩﴾ [الرعد:١٥]، فالشمس تجري كما أمرها الله، تطلع من المشرق، وتغيب من المغرب إلىٰ آخر الزمان، فإذا قرب قيام الساعة طلعت من مغربها، وذلك من أشراط الساعة العظمىٰ، كما تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ فإذا انتهىٰ هذا العالم، وقامت القيامة كورت، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١]، فتكور ويذهب نورها، وتطرح هي والقمر في جهنم؛ لأنهما قد ذهبت الحاجة إليهما بزوال هذه الدنيا.

والمقصود أنها تجري لمستقر لها ذاهبة وآيبة، ومستقرها سجودها تحت عرش الرحمن في سيرها طالعة وغاربة، كما تقدم ذكر ذلك في الحديث الصحيح، ذلك بتقدير العزيز العليم، وهو الذي قدر ﷻ لها ذلك.

العزيز، ومعناه: المنيع الجناب الغالب لكل شيء، العليم بأحوال خلقه ﷻ. والله ولي التوفيق.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٧٣)]

۞۞۞

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

تفسير من الآية ١٧١ إلى ١٨٢:

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات:١٧١-١٨٢].

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وبعد:

يقول جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ القرآن كله هدى، وكله توجيه إلى الخير، كله بشارة ونذارة وترغيب وترهيب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، فجدير بأهل الإيمان، وجدير بأهل الإسلام، وجدير بكل مؤمن ومؤمنة أن يُعنى بالقرآن، وأن يكثر من تلاوته بالتدبر والتعقل؛ حتى يعرف أحكام الله، وحتى يعرف صفات أهل الجنة، وصفات أهل النار، وحتى يعلم

أعمال هؤلاء، وأعمال هؤلاء، فيأخذ بأعمال أهل الجنة، ويتخلق بأخلاقهم، ويحذر أعمال أهل النار، ويحذر صفاتهم، يقول تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥].

لهذا؛ فنصيحتي لكل مسلم ولكل مسلمة: العناية بالقرآن مع أحاديث الرسول ﷺ جملة، والقرآن فيه الهدىٰ والنور، والسنة فيها الهدىٰ والنور، والله جعل كتابه صراطًا مستقيمًا، وجعله نورًا وهداية، وجعله نذارة وبشارة، وجعله فلاحًا للناس، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، فعليك يا عبد الله بالتدبر والتعقل لهذا الكتاب، وأكثر من تلاوته عن ظهر قلب، أو من المصحف؛ لقصد وجه الله، ولقصد طلب الآخرة؛ لتعرف أحكام الله، ولتعرف أسباب النجاة، ولتعرف أسباب الهلاك؛ حتىٰ تأخذ بأسباب النجاة، وتبتعد عن أسباب الهلاك، ومن هذا قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ سبق وعده لهم كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥١-٥٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤٠-٤١]، وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، وعلىٰ رأس المؤمنين الرسل، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن

نَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]، وفي هذه الآية من سورة الصافات ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾، يعني: وعدنا ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ يعني النصر الأعظم ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: جند الله هم المؤمنون، جند الله هم أهل الإيمان، والتقوى، وهم أتباع الرسل ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

فعليك -يا عبد الله- التخلق بأخلاق المؤمنين، والاتصاف بأوصاف أتباع الرسل؛ حتى تكون من هؤلاء الموعودين بالنجاة في الدنيا والآخرة ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني: عن الكفار ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بئس الصباح! نعوذ بالله إذا نزل بهم العذاب، فالواجب على المؤمن أن يحذر عذاب الله، وألا يستعجل، بل يحذر ويبتعد، ويأخذ بأسباب النجاة، ويحذر أسباب الهلاك، فهذا هو طريق النجاة، وهذا هو سبيل المؤمنين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المؤمنين، ونعوذ بالله من الظالمين والمغضوب عليهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

[من مسائل الشيخ عبدالعزيز السدحان]

❁❁❁

سُورَةُ الزُّمَرِ

* سؤال: ما تفسير قوله ﷻ: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ...﴾ [الزمر:٦٨]، ومن هو المستثنى هنا؟

الجواب: قال بعض أهل العلم: إنهم الملائكة، وقال بعضهم: إنهم الشهداء، والله ﷻ أعلم بمراده.

[سلسلة كتاب الدعوة (١٠)، الفتاوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الجزء الثالث (ص:١٣)]

* * *

* (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣].

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم وفقه الله لكل خير آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

يا أخي، كتابكم الكريم المؤرخ في ٢/ ١/ ١٣٨٨هـ وصل، وصلكم الله بهداه، وما تضمنه من الإشارة إلى تضعيف قول من قال: إن الواو في قوله تعالى في سورة الزمر في حق أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ هي واو الثمانية كان معلومًا، وأفيد فضيلتكم أن ما ذكرتموه هو الصواب، وقد نبهت على ذلك حين كلامي على الآية، وذكرت أن العلامة ابن القيم رحمه الله ضعَّف

هذا القول، كما ضعفه العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ورجحا جميعًا أنها واو العطف، ولكن لعل فضيلتكم لم ينتبه لهذا الشيء، والأمر واضح جداً، وليس للقول بأَنَّه واو الثمانية وجه، لا من جهة الشرع، ولا من جهة اللغة. وأما قول بعض المفسرين كصاحب روح المعاني إنها واو الحال، فليس بجيد، والصواب ما تقدم، وهو أنها واو العطف، والجواب محذوف بعد قوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]، وتقديره -والله أعلم-: فرحوا بذلك وسُرُّوا به، وقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلخ.

وقد بسط العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الكلام في هذا الأمر في كتابه: (حادي الأرواح) عند كلامه على أبواب الجنة، وإليكم نسخة من الكتاب المذكور للاطلاع عليه، وإني لأشكر فضيلتكم على تنبيهكم واهتمامكم بالعلم، والأخذ بالراجح في مواطن الخلاف، زادني الله وإياكم وسائر الإخوان من العلم النافع، والعمل الصالح، إنه جواد كريم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (١/ ٤٢٩)]

❁❁❁

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

* قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

أخبر سبحانه عن خليله إبراهيم أنه تبرأ من معبودات قومه، إلا الله وحده، وهو معنىٰ قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فدل ذلك علىٰ أنهم يعبدون الله، ويعبدون غيره؛ فلهذا تبرأ من معبوداتهم كلها سوىٰ الذي فطره، وهو الله وحده، فإنه سبحانه هو المستحق للعبادة؛ لكونه خالق الجميع ورازقهم.

ومعنىٰ فطرني، أي: خلقني علىٰ غير مثال سبق، ومن كان بهذه المثابة فهو يستحق أن يعبد دون كل ما سواه، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، فبين ﷻ أنه أوحىٰ إلىٰ جميع الرسل قبل خاتمهم نبينا محمد ﷺ أنه لا إله غيره يستحق العبادة، وأنه أمرهم بعبادته وحده، ودل ذلك علىٰ أن جميع الآلهة المعبودة من دون الله من أنبياء وأولياء وأصنام وأشجار وجن وملائكة وغير ذلك كلها معبودة بالباطل.

ومما يوضح هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢]، وقوله ﷻ عن المشركين لما دعاهم نبينا محمد ﷺ إلىٰ أن يقولوا: لا إله إلا الله أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ

إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥]، فدل ذلك على أنهم عرفوا أن كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله تبطل ما هم عليه من الشرك، وتدل على أن آلهتهم باطلة.

[كتاب أركان الإسلام للإمام ابن باز (ص:١٠١)]

❁❁❁

سُورَةُ الدُّخَانِ

تفسير الآيات ٥١-٥٧:

* يقول الله جل وعلى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان:٥١-٥٧].

يبين الله -جل وعلا- في هذه الآيات الكريمات مآل المتقين ومصيرهم، وما لهم عند الله من الكرامة العظيمة والخير الكثير، تشويقًا لهذا الخير العظيم، وترغيبًا للعباد في عمل ما شرع الله -جل وعلا- والبعد عما حرم الله؛ ليستحقوا هذه الكرامة.

فإن التقوى كلمة جامعة تجمع الخير كله، والمتقون هم الذين ابتعدوا عن محارم الله وأدوا فرائضه، ووقفوا عند حدوده عن رغبة وإيمان وصدق؛ فلهذا وعدهم الله بهذا الخير العظيم، وذكر أعمالهم في مواضع كثيرة من كتابه المبين، يبين فضلهم، ويحث المكلفين على التخلق بأخلاقهم، والسير على منهاجهم، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ

ءَامِنِينَ﴾ [الحجر:٤٥-٤٦]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم:٣٤]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٢]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣١-٣٤].

وفي مواضع أخرىٰ غير ذلك يبين مصيرهم العظيم، وثوابهم الجزيل، وما أعد لهم من الكرامة ﷻ؛ لقيامهم بحقه، واتقائهم محارمه، وبعدهم عن أسباب غضبه ﷻ؛ فلهذا يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾؛ فالجنة مقام أمين، لا موت، ولا خراب، ولا عداء، ولا غير ذلك من الأذىٰ، فهو مقام أمين من كل أذىٰ، فأهل الجنة في نعيم، وفي أمان، وفي خير وصلاح، وفي نعمة دائمة، وصحة دائمة، وسلامة من كل الأكدار والأحزان: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾، فهم في خير عظيم.

فينبغي للمؤمن أن ينافس في هذه الخيرات وهذه الصفات العظيمة، ثم بين صفة اللباس فقال: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾، يعني: أنواع الحرير العظيم الذي لا يشبه حرير الدنيا، بل هو خير من ذلك وإنما شابه في الأسماء، فعليك يا عبد الله أن تعنىٰ بهذا الأمر العظيم: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾، يعني: مع زوجاتهم من الدنيا، فالمتقون لهم زوجات من الدنيا وزوجات من الحور، ولهم فيها ما يدعون وما يشتهون، وذلك من فضله سبحانه وإحسانه إليهم جل وعلا ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ

ءَامِنِينَ ﴾: يدعون بكل ما يشتهون ويطلبون مع الأمان، لا يخشون تألمًا، ولا مرضًا، ولا عواقب وخيمة مهما أكلوا، ومهما شربوا، ومهما تنعموا، بخلاف أهل الدنيا، فقد تضرهم بعض الأكلات، وقد تسبب لهم أمراضا.

أمَّا أولئك الأخيار في دار النعيم، فمهما أكلوا ومهما شربوا فلا تعب ولا مشقة: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾، يعني: آمنين من كل سوء؛ من مرض، أو تخمة، أو كدر، أو ألم، أو مغص، أو غير هذا، فليس هناك شيء من التعب، ثم بعد ذلك كمل الأمر بقوله: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ ﴾؛ فهي حياة مستمرة أبد الآباد، ليس فيها موت، ولا مرض، ولا كدر، ولا حزن، ولا أذى، ثم أكد هذا بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ التي صارت في الدنيا هذه عامتهم لكن في الجنة لا موت، وفي النار لا موت، فأهل النار مخلدون فيها أبد الآباد: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه:٧٤].

ويقول سبحانه: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:٣٦]، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:١٣] بل في عذاب مستمر، لا حياة مريحة ولا موت مريح، بل في العذاب والنكال، أما أهل الجنة ففي حياة النعيم والسعادة والخير الكثير، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ثم قال: ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، يعني: مع هذه النعمة العظيمة لا عذاب، بل سلموا من العذاب في قبورهم وفي آخرتهم، فهم في نعيم في القبر، وفي نعيم في الآخرة ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾، فهذا من كرمه ﷻ: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان:٥٧].

فجدير بكل عاقل وبكل مكلف أن يعمل؛ لعله ينجو، ولعله يفوز بهذا الخير العظيم؛ وذلك بطاعة الله، والاستقامة على أمر الله، والتواصي بحق الله، والحذر من أسباب غضب الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[كتاب حديث المساء (ص:١٢٥)]

سُورَةُ الْفَتْحِ

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠].

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلىٰ حضرة الأخ المكرم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

* فأشير إلىٰ استفتائك المقيد بإدارة البحوث العلمية والإفتاء برقم ٣١٣٧ في ١١/ ٧/ ١٤٠٨هـ الذي نصه: لقد كنا في حلقة تفسير في مسجد بمنطقة الصليبية في الكويت، وقد تعرض إمام المسجد إلىٰ تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، فقال: قيل معناها: منة الله عليهم، وقيل: قوة الله معهم، وقيل: الله عليم بحالهم، ونياتهم. فتكلم أحد الشباب من إخواننا في الله بعد الدرس، وقال: تفسيرك هذا ليس من عقيدة أهل السنة والجماعة، بل هو من كلام الأشاعرة، فغضب الإمام، وقال: إن هذا موجود في كتاب الماوردي، وابن كثير، فرد الشاب وقال: ليس هذا في ابن كثير، وإنما هو عند الماوردي الأشعري، فلما رأىٰ العامة الشيخ غضبان، غضبوا له، ورمىٰ بعضهم الشاب بكلمة: (أنت مسيحي)، (وأنت بوذي)، وكادوا أن يضربوه لولا أن بعضهم حماه، والله يعلم أن الشاب هذا لم يتكلم إلا غَيْرة علىٰ عقيدة المسلمين، ومن باب أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فأشار أن يقضي فضيلتكم بينهم، فوافق العوام علىٰ ذلك فأفيدونا، ونحن بانتظار ردكم

وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

الجواب: وأفيدك أن ما نعتقده في إثبات صفة اليد لله تبارك وتعالىٰ وغيرها في الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه العزيز، أو صفة وصفه بها رسوله محمد ﷺ في سنته المطهرة هو إثباتها لله -تبارك وتعالىٰ- إثباتًا حقيقيًا علىٰ ما يليق بجلال الله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

نؤمن بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نكيف، ولا نمثل صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه تعالى.

فكما أن له سبحانه ذاتًا حقيقية لا تشبه ذوات خلقه، فكذلك له صفات حقيقية لا تشبه صفات خلقه، ولا يلزم من إثبات الصفة للخالق سبحانه مشابهتها لصفة المخلوق، وهذا هو مذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار علىٰ نهجهم في القرون الثلاثة المفضلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف إلىٰ يومنا هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: حكىٰ غير واحد إجماع السلف أن صفات الباري -جل وعلا- تجري علىٰ ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذىٰ حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فنقول: إن لله سبحانه يدًا وعينًا، ولا نقول: إن معنىٰ اليد القدرة، ومعنىٰ السمع العلم، ثم استدل رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ

إثبات صفة اليد لله سبحانه من القرآن بقول الله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، وقال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

ثم قال رحمه الله تعالى: فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصتين به، ذاتيتين له كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السموات بيده اليمنى، وأن يديه مبسوطتان، ومعنى بسطهما: بذل الجود وسعة العطاء؛ لأن الإعطاء والجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدها، وتركه يكون ضما لليد إلى العنق، كما قال تعال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩]، وصار من الحقائق العرفيه أنه إذا قيل: وهو مبسوط اليد، فهم يد حقيقة.

قال -رحمه الله تعالى-: «إن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأن استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد لا أصل له في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تحصى؛ فلا يجوز أن

يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية».

ثم استدل -رحمه الله تعالى- على إثبات صفة اليد لله سبحانه من السنة بقوله ﷺ: «**المقسطون عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**». رواه مسلم، وقوله ﷺ: «**يمين الله ملأى لا يغيضها النفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ** خلق السماوات والأرض؛ فإنه لم يغض ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض إلى يوم القيامه» رواه مسلم، وفي الصحيح أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**وتكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده، كما يتكفؤ أحدكم خبزته في سفره**»[(١)]. وفي الصحيح أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما يحكي رسول الله ﷺ قال: «**يأخذ الرب عز وجل سماواته وأرضه بيديه، وجعل يقبض يديه ويبسطها، ويقول أنا الرحمن. حتى نظرت إلى المنبر يتحرك أسفل منه حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ**»[(٢)].

وفي رواية أنه قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال: «**يقول الله: أنا الجبار**»[(٣)]، وفي الصحيح أيضًا عن أبي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، برقم (٦٠٣٩)، ومسلم في كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة، برقم (٥٠٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٤٩٩٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما برقم (٥١٥٧).

هريرة ﵁ قال: قال: رسول الله ﷺ: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**»(١). وفي حديث صحيح: «**إن الله لما خلق آدم قال له: ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت، قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته**»(٢). وفي الصحيح: «**أن الله كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي**»(٣). وفي الصحيح: «**أنه لما تحاج آدم وموسىٰ قال آدم: يا موسىٰ، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، وقد قال موسىٰ: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه**»(٤). وفي حديث آخر أنه قال سبحانه: «**وعزتي وجلالي، لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان**»(٥). وفي حديث آخر في السنن: «**لما خلق الله آدم، ومسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيده الأخرىٰ فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون**».

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، برقم (٦٠٣٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٤٩٩٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المعوذتين، برقم (٣٢٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، برقم (٦٨٥٥)، ومسلم في كتاب التوبة، في سعة رحمة الله تعالى، برقم (٤٩٣٩).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٤٧٩٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فهذه الأحاديث وغيرها نصوص قاطعة لا تقبل التأويل، وقد تلقتها الأمة بالقبول والتصديق. ثم قال -رحمه الله تعالىٰ-: فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة بذكر اليد، وأن الله تعالىٰ خلق بيده، وأن يديه مبسوطتان، وأن الملك بيده، وفي الحديث ما لا يحصىٰ؟ ثم إن رسول الله ﷺ وأولي الأمر لا يبينون للناس إن هذا الكلام لا يراد به حقيقته ولا ظاهره؛ حتىٰ ينشأ جهم بن صفوان بعد انقراض عهد الصحابة، فيبين للناس ما نزل إليهم علىٰ نبيهم، ويتبعه عليه بشر بن غياث ومن سلكوا سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق، وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا ﷺ كل شيء حتىٰ (الخرأة) ويقول: «**ما تركت من شيء يقربكم إلىٰ الجنة إلا وقد حدثتكم به، وتركتكم علىٰ المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**» أخرجه ابن ماجه، ثم يترك الكتاب المنزل عليه وسنته الغراء مملوءة، مما يزعم الخصم أن ظاهره تشبيه وتجسيم، وأنه اعتقاد ظاهره ضلال، وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه، وكيف يجوز للسلف أن يقولوا: أمروها كما جاءت؟ مع أن معناها المجازي هو المراد وهو شيء لا يفهمه العرب حتىٰ يكون أبناء الفرس والروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار» ا.هـ.

ومما ذكرنا يتضح للجميع أن ما ذكره الشاب هو الصواب. ونسأل الله أن يهدي الجميع لإصابة الحق في القول والعمل؛ إنه سميع مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٨٢)]

۞۞۞

سُورَةُ الْحُجْرَاتِ

* يقول الله جل وعلا في كتابه المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

في هذه الآية الكريمة يوجه الله عباده إلىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويحذرهم من الأخلاق الذميمة التي تسبب الشحناء والعداوة بين المسلمين والبغضاء والفتن؛ فإن السخرية والاستهزاء واللمز والتنابز بالألقاب، كل هذه الصفات ذميمة وكلها تجر إلىٰ الشحناء والعداوة والبغضاء والاختلاف بين الناس، وربما أفضت إلىٰ القتال، وربما أفضت هذه الأفعال الذميمة إلىٰ التقاتل بين المسلمين؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ خاطبهم بالإيمان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لأن الإيمان يحفزهم إلىٰ الخير، والهدىٰ يذكرهم بإيمانهم أن يمنعهم من معاصي الله جل وعلا.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأعرها سمعك؛ فإنه خير تؤمر به أو شر تنهىٰ عنه»(١)، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ يعني: لا يسخر رجال من

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٩٨٥).

رجال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾، يعني: عسى أن يكون أولئك المسخور منهم خيرًا من الساخر وأفضل ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ يعني: عسى أن يكون أولئك المسخور بهنَّ خيرًا من أولئك الساخرات، فقد يسخر المفضول من الفاضل؛ ليستر نقصه، ويُعمي نقصه عن الناس، وهو محرم من المفضول والفاضل جميعًا، ليس لأحد منهم أن يسخر من أخيه ويستهزئ بأخيه، فإن كان الله أعطاه فضلًا، فليحمد الله على ما أعطاه من غنى، أو حسن خلق، أو نحو ذلك، فليحمد الله؛ أما أن يسخر بالناس لفقر أو دمامة أو غير ذلك من الأسباب، فهذا لا يجوز له، بل الواجب حمد الله على ما أعطاه من الفضل، وحمد الله على ما عافاك به من الشر، وهكذا اللمز: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾، يعني: لا يلمز بعضكم بعضًا؛ لأن نفس الإنسان كنفس أخيه المؤمن، فهي شيء واحد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ مثل قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]، يعني: لا يقتل بعضكم بعضًا، وهكذا لا يلمز بعضكم بعضًا، فأنتم شيء واحد، واللمز: العيب كونه يعيبه بشيء؛ بعمى، أو بعرج، أو قلة سمع، أو قلة فقه، أو غير هذا من الأمور، يلمزه بها ويعيبه بها.

ومعلوم أن هذا يثير الشحناء، ويسبب الاختلاف، فلا يليق بالمؤمن، والله يقول جل وعلا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١] اللمز والهمز بالفعل، والقول كله ممنوع لا بعينه ولا بإشارته ولا بكلامه، ويجب ترك ذلك كله، وهكذا قول: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات:١١] التنابز: التداعي بالألقاب؛

كأن تقول: يا حمار، يا فاجر، يا كلب، لا بل يدعوه بأسمائه الحسنى: يا أبا زيد، يا محمد، يا فلان يا أبا فلان، يدعوه بأسمائه الحسنة وبكنياه الحسنة، ولهذا قال بعده: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾.

معنى هذا: أن هذه الأعمال تجعلك فاسقا بعد إيمانك: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ كيف ترضى لنفسك أن تكون فاسقا بعد ما كنت مؤمنا بأعمالك الخبيثة وإساءتك إلى إخوانك؟ فإن هذه الإساءات، وهذه التصرفات تجعلك فاسقًا، فيجب عليك الحذر، والبعد عن أسباب الفسق، وعن أسباب غضب الله جل وعلا، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، فهذا يدل على أن الذي يصر على المعاصي ظالم، ومن أصر على المعاصي فإنه يسمى ظالمًا؛ ظالم لنفسه، وعليه التوبة إلى الله من ذلك ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ يعني: من معاصيه وسيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

فالواجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه، وأن يتقي الله في أقواله وأعماله، وأن يحذر إيذاء إخوانه بألقاب، أو بلمز، أو بسخرية، أو بغير ذلك، فكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

وفق الله الجميع، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:١٢٩)]

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

* يقول الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٥-١٩].

فيبذلون طاقتهم في كل ما يرضي الله تعالى، وفي ما يسمى بالإحسان من قول طيب، وعمل صالح، وهكذا يكون المحسنون، ثم أخبر عن صفاتهم فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، يعني: أن تهجدهم كثير، ونومهم قليل في الليل؛ لأن الليل محل تواطؤ القلب مع اللسان، وكمال الإخلاص، وفراغ القلب، وإقباله على الله جل وعلا، وبعده عن الشواغل النهارية.

وهم مع تقواهم لله، وقيامهم بأمره، كانوا أهل تهجد، وأهل تعبد بالليل، ووقوف بين يدي الله يرجونه ويسألونه، كما قال عنهم في آية أخرى، وسماهم عباد الرحمن؛ حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٤]، ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، يعني: مع الصلاة استغفار وتوبة، لا يمنُّون بأعمالهم، ولا يعجبون بها، ولا يعتمدون عليها، بل على عفو الله سبحانه وتعالى ومغفرته وإحسانه، وهكذا يكون المؤمن؛ يعمل ويجتهد ويخاف، ودائمًا يسأل الله العفو والمسامحة والمغفرة عما يحصل من التقصير؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ومع التهجد والتقوى استغفار وتوبة،

وحذر وطلب للعفو: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾، ومع العبادات العظيمة، ومع الاستغفار والتوبة، ومع الإحسان إلىٰ عباد الله، جعلوا في أموالهم حقًّا للسائل والمحروم.

قال جمع من أهل العلم: هذا الحق غير الزكاة، ومع ذلك عينوا حقًّا في أموالهم يبذلونه في وجوه الخير غير الزكاة للسائلين والمحرومين. والمحرومون هم الفقراء والمحاويج الذين حرموا المال، إما من أساس حالهم، وإما بسبب جوائح اجتاحت أموالهم من حرق أو غرق أو سرقة أو غير ذلك؛ فالمحروم هو الذي حرم المال من أساس خلقته وعاش فقيرًا، أو لأسباب طرأت عليه، اجتاحت ماله فصار فقيرًا، فأهل الإحسان وأهل الخير يجعلون في أموالهم نصيبًا معلومًا لهم، ينفقونه علىٰ هؤلاء السائلين والمحرومين، علاوة علىٰ الزكاة.

فيؤدون الزكوات، ومع هذا ينفقون نفقات أخرىٰ غير الزكاة في وجوه البر والإحسان، فينبغي للمؤمن أن يتخلق بأخلاق هؤلاء، وأن يكون له نصيب من صفاتهم الحميدة؛ حتىٰ يلحق بهم، وحتىٰ يحشر معهم يوم القيامة إلىٰ دار الكرامة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.

[كتاب حديث المساء (ص:١٣٢)]

۞۞۞

سُورَةُ النَّجْمِ

قصة الغرانيق سورة النجم الآية ١٩-٢٠:

* سؤال: ورد في تفسير الجلالين في سبب نزول الآية (٥٢) من سورة الحج: أن الرسول ﷺ وهو يقرأ سورة النجم ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، أن الشيطان ألقى على لسانه تلك الغرانيق العلى، فهل هناك ما يدل على صحة هذه القصة من أحاديث الرسول ﷺ؟ أم هي من الإسرائيليات؟ أفيدونا أفادكم الله.

الجواب: ليس في إلقاء هذه الألفاظ شيء من قراءته ﷺ، وليس بذلك حديث صحيح يعتمد عليه فيما أعلم، ولكنها رواية عن النبي ﷺ في أحاديث مرسلة، كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير في تفسير آية الحج، ولكن إلقاء الشيطان في قراءته ﷺ في آيات النجم وهي قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ الآيات، شيء ثابت بنص الآية في سورة الحج، وهي قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج:٥٢]، فقوله سبحانه: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: تلا، وقوله سبحانه: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾، أي: في تلاوته: إن الله سبحانه ينسخ ذلك الذي ألقاه الشيطان،

ويوضح بطلانه في آيات أخرى، ويحكم آياته ابتلاءً وامتحانًا، كما قال سبحانه بعد هذا: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٥٣] الآيات.

فالواجب على كل مسلم أن يحذر ما يلقيه الشيطان من الشبه على ألسنة أهل الحق وغيرهم، وأن يلزم الحق الواضح الأدلة، وأن يفسر المشتبه بالمحكم؛ حتى لا تبقى عليه شبهة، كما قال الله سبحانه في أول سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

وصح عن النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أنه قال: «**إذا رأيت من يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**» متفق على صحته.

والله ولي التوفيق.

[مجموع الفتاوى د. الشويعر، (٢٤/ ٢٨٤)]

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢].

* **سؤال**: ما هو المراد بكلمة: ﴿ٱللَّمَمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ الآية؟

الجواب: إن علماء التفسير -يرحمهم الله- اختلفوا في تفسير ذلك، وذكروا

أقوالًا في معناه، وأحسنها قولان: أحدهما: أن المراد به ما يلم به الإنسان من صغائر الذنوب كالنظرة والاستماع لبعض ما لا يجوز من محقرات الذنوب وصغائرها ونحو ذلك.

وهذا ما رُوي عن ابن عباس ﷺ وجماعة من السلف، واحتجوا على ذلك بقوله سبحانه في سورة النساء: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، قالوا: فالمراد بالسيئات المذكورة في هذه الآية هي صغائر الذنوب، وهي اللمم؛ لأن كل إنسان يصعب عليه التحرز من ذلك، فمن رحمة الله سبحانه أن وعد المؤمنين بغفران ذلك لهم إذا اجتنبوا الكبائر، ولم يصروا على الصغائر، وأحسن ما قيل في تحديد الكبائر هي المعاصي التي فيها حد في الدنيا؛ كالسرقة والزنا، والقذف، وشرب المسكر، أو فيها وعيد في الآخرة بغضب من الله أو لعنة أو نار؛ كالربا، والغيبة، والنميمة، وعقوق الوالدين.

ومما يدل على غفران الصغائر، واجتناب الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر قول النبي ﷺ: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، فهو مدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، وزنا الأذن الاستماع، وزنا اليد البطش، وزنا الرجل الخطا،النفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»[1]. ومن الأدلة على وجود الحذر من الصغائر والكبائر جميعا،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، برقم (٥٧٧٤)، ومسلم في كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا، برقم (٤٨٠١).

وعدم الإصرار عليها قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦].

القول الثاني: إن المراد باللمم هو ما يلم به الإنسان من المعاصي، ثم يتوب إلى الله من ذلك، كما في الآية السابقه، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [آل عمرن:١٣] الآية، فقوله ﷻ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، وما جاء في معنى ذلك من الآيات الكريمات.

وقول النبي ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»(١)، ولأن كل إنسان معرض للخطأ، والتوبة النصوح يمحو الله بها الذنوب، وهي المشتملة على الندم على ما وقع من المعصية والإقلاع منها، والعزيمة الصادقة على ألا يعود إليها؛ خوفًا من الله سبحانه، وتعظيمًا له ورجاء مغفرته.

ومن تمام التوبة إذا كانت المعصية تتعلق بحق الآدميين؛ كالسرقة، والغصب، والقذف، والضرب، والسب، والغيبة، ونحو ذلك، أن يعطيهم حقوقهم أو يستحلهم منها إلا إذا كانت المعصية غيبة، وهي الكلام في العرض، ولم يتيسر استحلال صاحبها حذرًا من وقوع شر أكثر، فإنه يكفي في ذلك أن يدعو له بظهر الغيب، وأن يذكره بما يعلم من صفاته الطيبة وأعماله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين برقم (١٢٥٧٦).

الحسنة في الأماكن التي اغتابه فيها، ولا حاجة إلى إخباره بغيبته إذا كان يخشى الوقوع في شر أكثر.

وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، وأن يحفظنا وإياكم من كل سوء، وأن يمن علينا جميعا بالاستقامة على دينه، والسلامة من أسباب غضبه، والتوبة إليه سبحانه من جميع ما يخالف شرعه، إنه جواد كريم.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٨٨)]

۞۞۞

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

تفسير قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩].

* **سؤال**: سائل يسأل عن تفسير قول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ هل هذان البحران في الدنيا أم في الآخرة؟

الجواب: هذان البحران في الدنيا، فالبحار تختلط، ثم إذا أراد الله تمييزها تميز هذا من هذا على هذا، فالأنهر تجري على حالها حلوة، والبحار على حالها مالحة، وبينهما برزخ لا يبغي هذا على هذا، وينفصل هذا عن هذا.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٨٩)]

❁❁❁

سُورَةُ الْحَدِيدِ

تفسير قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣].

* **سؤال**: ما رأي سماحتكم فيمن قال في اسم الله الظاهر: أي الظاهر في كل شيء، هل يدخل في القول بالحلول أم لا؟

الجواب: هذا باطل؛ لأنه خلاف ما فسر به النبي ﷺ الآية الكريمة؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، فاقض عني الدين وأغنني من الفقر**»، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

فالظاهر معناها: العلي فوق جميع الخلق، ولكن آياته ودلائل وجوده وملكه وعلمه موجودة في كل شيء، وأنه رب العالمين، وخالقهم ورازقهم، فأنت أيها الإنسان الذي أعطاك الله السمع والبصر والعقل، وأعطاك هذا البدن والأدوات التي تبطش بها، وتمشي بها من جملة الآيات الدالة على أنه رب العالمين، وهكذا السماء والأرض والليل والنهار والمعادن والحيوانات وكل شيء، كلها آيات تدل على وجوده وقدرته وحكمته، وأنه المستحق للعبادة، كما قال الشاعر:

فواعجبا كيف يُعصى الإله — أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء لـــه آيـــة — تدل على أنـــه واحـــد

والله يقول -جل وعلا-: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، ثم قال بعدها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]، فأوضح سبحانه في هذه الآية أنواعًا من مخلوقاته الدالة على أنه سبحانه هو الإله الحق الذي لا تجوز العبادة لغيره ﷻ، فكل شيء له فيه آية ودليل على أنه رب العالمين، وأنه موجود، وأنه الخلاق، وأنه الرزاق، وأنه المستحق لأن يعبد ﷻ، أما معنى الظاهر فهو العالي فوق جميع الخلق، كما تقدم في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٢٩١)]

* * *

تفسير الآية ٧:

* يقول الله جل وعلا في كتابه المبين: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧].

يأمر الله سبحانه عباده المؤمنين بالإيمان به وبرسوله ﷺ، يعني: بالثبات على الإيمان، والاستقامة عليه، وهو يشمل أداء الفرائض، وترك المحارم والوقوف عند حدود الله، والغيرة لله ﷻ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كل هذا داخل في قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ لأن الإيمان قول

وعمل وعقيدة، يدخل فيه كل ما أمر الله ورسوله، وترك كل ما نهى الله عنه ورسوله، ثم قال: ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ فالنفقة من جملة الإيمان، ولكنه خصها بالذكر؛ لعظم شأنها، وللتنبيه على عظم فائدتها والحاجة إليها، ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؛ فالله استخلف العباد على هذه الأموال وساقها إليهم؛ ابتلاء وامتحانًا، فمن أدى حقها، وأنفقها في مرضاته التي أمر بها فاز بكل خير، وسلم من عهدتها، وجوزي عليها بالجزاء الحسن، ومن أنفقها في غير وجهها استحق العقاب عليها.

فأنت أيها المؤمن خليفة في هذا المال، مأمور مؤتمن، فليس لك أن تنفقه إلا على الوجه الذي شرعه الله لك ﷻ وأباحه لك، فقد شرع الله لك في هذا المال أن تنفقه في وجوه البر والإحسان، وأن تعين به على طاعة الله، وأن تواسي به الفقير والمسكين؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، فأعاد لفظ الإيمان؛ لأن النفقة والصدقة والإحسان، وسائر الأعمال الصالحة إنما تنفع أهلها مع الإيمان، أما من دون إيمان، فإنها تكون هباءً منثورًا لا قيمة لها، من أنفق عن إيمان بالله، وتوحيد له، وإخلاص له، ورغبة فيما عنده، نفقة اتقائه جُوزي عليه بالجزاء الحسن، ومن كانت نفقته على غير إيمان لم ينفعه ذلك، ولم تكن نفقة صالحة، ولم يجز عليها بالجزاء الحسن، والله يقول جل وعلا: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠]، فما قدمه العبد من عمل صالح من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك، وجد ثوابه عند ربه جل وعلا، ويقول ﷻ:

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

فجمع لك أيها المؤمن بين الجزاءين، الجزاء العظيم في الآخرة بالجنة والسعادة ومضاعفة الأجور، وفي الدنيا بالخلف، يخلف عليك ما أنفقت: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧]، وكان نبينا ﷺ أجود الناس بأنواع الجود؛ بماله ونفسه وكلامه ودعوته، وغير هذا من وجوه التصرف، وكان أجود ما يكون في رمضان ﷺ، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فكان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة عليه الصلاة والسلام، وجوده يتضاعف، كما أن جود الله يتضاعف، فجود الله جل وعلا على عباده يتضاعف، فجوده في رمضان، وفي أوقات الحاجة، وعلى عباده المؤمنين، وفي جهاد أعداء الله يتضاعف، وهكذا جود نبيه ﷺ يتضاعف في أوقات متعددة، هكذا ينبغي لأهل الإيمان أن يتضاعف جودهم وإنفاقهم، وأن يزداد في أوقات الفضائل كرمضان، فيه الفقير والمسكين، وفيه المعطل عن الأسباب، وفيه من ضعفت أسبابه في هذا الشهر الكريم، فهو في حاجة إلى الإنفاق والإحسان والمساعدة من الزكاة وغيرها.

وكان رسول الله ﷺ يدارسه جبريل القرآن كل سنة في رمضان، في كل سنة ختمة، وفي السنة الأخيرة عرضه عليه مرتين عليه الصلاة والسلام، فدل ذلك على شرعية المدارسة للقرآن، وأن المدارسة من أفضل القربات، وأنها من عمل نبينا عليه الصلاة والسلام مع جبريل عليه الصلاة والسلام، وأنه في الليل أفضل؛ اقتداءً به عليه الصلاة والسلام.

ولا شك أن المدارسة للقرآن من أسباب التوفيق لكل خير، فإنه كتاب

عظيم يدعو إلىٰ الجود والإنفاق والإحسان، ويدعو إلىٰ كل ما أمر الله به ورسوله، ويدعو إلىٰ مضاعفة الجهود في الخير، ويدعو إلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعو إلىٰ برِّ الوالدين وصلة الأرحام، وإكرام الجار، ويدعو إلىٰ كل ما فيه سعادة العبد في الدنيا والآخرة؛ فالمدارسة لكتاب الله، والعناية بكتاب الله، والإقبال عليه في هذا الشهر الكريم مما يعين علىٰ كل خير، ولا سيما مع التدبر والتعقل، والإقبال عليه، وطلب الاستفادة، وهكذا مع المدارسة والمذاكرة، فإن الإنسان يضم إلىٰ عمله عِلمًا، وفهمًا إلىٰ فهمه، ويتعاون مع أخيه في المدارسة والمذاكرة، وهذا شهر عظيم، أيامه محدودة، ثم ينتهي وأنت لا تدري: هل تكمله أم لا تكمله، ولا تدري هل تدركه مرة أخرىٰ أم لا.

فالجدير بالعاقل، والجدير بصاحب الهمة العالية أن يغتنم الفرصة، وأن لا يؤخر شيئا من الجهد الطيب والعمل الصالح إلىٰ وقت آخر، ويسارع به اليوم، وينافس فيه اليوم، ويجتهد قبل انصرام هذا الشهر العظيم، وكلما أمكنه أن يقدم من الخير لا يتأخر ولا يسوف، فهو لا يدري هل يدرك ما أراد أم لا، فليبادر بالخير الذي تحضره أسبابه، ويستطيع إنفاذه، فليبادر به؛ اغتنامًا لفضله ومصلحته، واغتنامًا لأجله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

[كتاب حديث المساء (ص: ١٤١)]

❁❁❁

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

تفسير الآية ٧:

* قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

معناها: أنه مطلع سبحانه على جميع عباده، أينما كانوا يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله من الملائكة الكرام والكاتبين أيضا مع ذلك يكتبون ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له، والمراد بالمعية المذكورة في هذه الآية عند أهل السنة والجماعة: معية علمه ﷻ، فهو معهم بعلمه، ولكن سمعه أيضا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو ﷻ مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء مع أنه سبحانه فوق جميع الخلق قد استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، ولا يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ثم ينبئهم يوم القيامة بجميع الأعمال التي عملوها في الدنيا؛ لأنه سبحانه بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط، عالم الغيب لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

[مجموع الفتاوى د. الشويعر، (٢٤/ ٢٠٤)]

۞۞۞

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

تفسير الآية ٩:

* قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

في هذه الآية الكريمة، يوجه عز وجل أمره إلى عباده المؤمنين، وينهاهم سبحانه أن يلتهوا ويشتغلوا عن ذكر الله بأموالهم وأولادهم، ويبين سبحانه وتعالى أن من فَعل ذلك فقد خسر، يقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، وهذا واقع في كثير من الآيات في كتاب الله عز وجل؛ حيث يوجه سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى أن يلزموا مقتضى الإيمان، ومقتضى الإيمان الامتثال للأوامر والانتهاء عن النواهي، والوقوف عند الحدود التي حدها المولى سبحانه؛ هكذا يكون المؤمن، وهكذا يكون الإيمان الذي أوجبه الله عليه؛ فإن إيمانه بالله ورسوله يقتضي منه فعل الواجب، وترك المحظور، والوقوف عند الحدود التي حدها ربنا عز وجل، وبذلك يستقيم أمر الإيمان، ويحصل لصاحبه الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ﴾، المعنى: حققوا الإيمان والزموه واستقيموا عليه؛ حتى تدعوا ما حرم الله عليكم، وتلتزموا بما أوجب الله عليكم.

هكذا يكون المؤمن؛ إيمانه يُوجب له الوقوف عند حدود الله، ويوجب له أداء فرائض الله، ويوجب عليه ترك محارم الله، هكذا يكون المؤمن؛ ولهذا يقول في آيات كثيرات ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٢٧٨]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الحج:١].

فهو سبحانه يأمرهم بلزوم التقوىٰ التي هي أداء الفرائض وترك المحارم والوقوف عند الحدود، وفي هذه الآية يقول جل وعلا: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ فهذا جزء من التقوىٰ، فمن التقوىٰ أن يدع المؤمن ما يشغله عن طاعة الله ورسوله؛ من أهل ومال وولد وغير ذلك، حتىٰ لو تعارض أمر الله ورسوله مع هوىٰ نفسه ومع هوىٰ ولده وعلىٰ حظ ماله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٩] والمراد بالذكر هنا: ما شرعه الله لنا من الطاعات من الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك، فكل هذا ذكر لله.

وفسَّر جمع من المفسرين ذكر الله هنا بالصلاة، والأمر عام، فإن الصلاة جزء من ذكر الله والمنهي عنه أن يشتغل المؤمن بماله أو بأولاده، أو بشيء آخر عما أوجب الله عليه من صلاة وغيرها، ثم قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يعني: يشتغل بماله أو بولده عن حق الله: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ والخسران إذا أطلق عمَّ الدنيا والآخرة، نعوذ بالله، فمن شَغله ماله أو شَغله ولده أو شَغلته نفسه الأمارة بالسوء عن أداء ما أوجب الله، أو أوقعه ذلك في محارم الله، فقد خسر، فإن كان كفرًا وضلالًا وخروجا من الإسلام، صارت

الخسارة كاملة، نعوذ بالله، وصارت الخسارة كاملة، والنهاية إلى النار، أعوذ بالله، والخلود فيها، نسأل الله العافية، وإن كان الواقع من الشغل أوقعه في المعاصي دون الكفر بالله، صارت الخسارة عظيمة، ولكنها دون الخسارة الكبرى التي هي الكفر، نسأل الله العافية، فعلى المؤمن أن يحذر الخسارتين؛ أن يحذر الخسارة الكبرى والصغرى، وأن يبتعد عن كل ما يغضب الله عز وجل، حتى يسلم من الخسارة، وحتى يفوز بالربح الكامل، وذلك بطاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله.

رزق الله الجميع الهداية والتوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[كتاب حديث المساء (ص:١٤٥)]

۞۞۞

سُورَةُ التَّغَابُنِ

تفسير من الآية ١ إلىٰ الآية ١٠:

* كلمة وعظية لسماحته في مخيمه بمنىٰ في ١١/ ١٢/ ١٤٠٧هـ.

بعد تلاوة سورة التغابن قال:

أما بعد: فقد سمعنا جميعًا هذه السورة العظيمة؛ سورة التغابن، وقوله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١]، إلىٰ آخر هذه السورة العظيمة، وكل سور القرآن عظيمة، بين الله فيها سبحانه أن الخلائق تسبحه جل وعلا، كما بين في سور كثيرة وآيات كثيرة ذلك، فقال في سورة الصف: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الصف:١]، وقال في سورة التغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال في سورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١]، وقال في سورة بني إسرائيل -سورة الإسراء-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]، وهذا يدل علىٰ أنه جل وعلا يسبحه كل شيء؛ لكمال ملكه، وكمال إحسانه سبحانه وتعالى، وهو الخلاق العليم، وهو الرزاق العليم، والمالك لكل

شيء، وهو المحسن لعباده جل وعلا؛ ولهذا قال سبحانه في سورة التغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من جامد ومتحرك، جميع ما في السموات والأرض، ثم قال: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لا تفقهون وهو يعلمه سبحانه وتعالى؛ فالملائكة والطيور وجميع الحيوانات وجميع المخلوقات تسبحه سبحانه تسبيحًا يعلمه سبحانه وتعالى، وإن كنا لا نعلم أكثره، فجدير بنا أيها العقلاء، وجدير ببني آدم الذين وهبهم الله العقل، وأرسل إليهم الرسل، جدير بهم أن يسبحوا الله، وأن يقدسوه وينزهوه عن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى، وأن يشهدوا له بأنه سبحانه له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا، وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه مستحق لأن يعبد دون كل ما سواه، فهو المالك لكل شيء، وهو القادر علىٰ كل شيء، وهو الخلاق العليم الذي خلق الخلق من عدم وغذاهم بالنعم، وخلق الثقلين ليعبدوه، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل الكتب فضلًا منه وإحسانًا.

ثم قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن:٢]، فقد سبق في علمه أن أمة بني آدم، وهكذا الجن ينقسمون إلىٰ كافر ومؤمن لحكمة بالغة، فهذا يعصي ويكفر ويتعدىٰ الحدود، وهذا يطيعه ويتبع شريعته وينقاد لأمره، والله بما تعملون بصير: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن:٣]، خلق السموات والأرض بالحق، ما خلقها عبثًا ولا سدىٰ، بل خلقها لحكمة عظيمة،

وصوركم فأحسن صوركم، صوركم عقلاء تمشون على أقدامكم، وما جعلكم كالبهائم تمشون على أربع، جعلكم تمشون على قدمين رافعي الرؤوس مستقيمي البدن، وجعل لكم في الوجه العينين والأنف والفم واللسان، وجعلكم تنطقون وتعبرون عن حاجتكم لا كالبهائم، هذه من نعمه العظيمة وإليه المصير، فهو خلقكم في هذه الدار، وصوركم وأحسن صوركم، وعلمكم وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لحكمة بالغة؛ لتعبدوه وتعظموه، وتستقيموا على أمره، وتنتهوا عن نهيه ﷻ، فالواجب على العاقل المكلَّف التنبه لهذا الأمر، وأن يعد العدة للقاء ربه، فهو لم يخلق عبثا، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، يعني: مُهملًا معطلًا لا يُؤمر ولا يُنهى، كلا بل خُلق لأمر عظيم، وأُمر بأمر عظيم، وأُرسلت له الرسل وأُنزلت الكتب، حتى يعلم حق الله وحق عباده، وحتى يؤدي ما عليه من حق الله ولعباده، فهولن يهمل، قال سبحانه مُنكرًا على من ظن ذلك: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦]، فحاشا الله ﷻ أن يكون خلقهم عبثًا، بل خُلقوا لأمر عظيم، خلق هذين الثقلين لأمر عظيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١]، هم مخلوقون لأمر عظيم بينه الله في كتابه، وبينه رسوله عليه الصلاة والسلام، وهذا الأمر العظيم: أن يعبدوه ويطيعوه، ويقفوا عند الحدود، ثم قال: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ إليه المرجع،

ليس لأحد الفرار منه ﷻ، بل إليه ترجع الأمور، وإليه يصير الناس، وإليه الجزاء والحكم فيه ﷻ بعدله، فريق في الجنة وفريق في السعير.

ثم قال ﷻ: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن:٤]، يعلم ما في السموات من دقيقه وجليِّه، من ملك وغيره، ويعلم ما في الأرض وطبقاتها وما تحتها وما فيها، ولا يخفى عليه خافية ﷻ، ويعلم ما تسرون في قلوبكم وما تعلنونه للناس، ولا يخفى عليه خافية جل وعلا، إنه عليم بذات الصدور ﷻ، فيا أخي، إذا كنت تؤمن بهذا؛ فإياك أن تضمر ما يضر إخوانك أو يضرك، فاحرص على أن تكون سريرتك طيبة، تحب الله ورسوله، وتحب إخوانك المؤمنين، وتنصح لله ولعباده، لا تُضمر سوءًا لنفسك، بل حاسب نفسك وجاهدها لله، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﷻ.

فالواجب على العاقل من ذكر وأنثى أن يحذر كوامن هذه النفوس، وما تسره من خبث وشر، وأن يحذرها ما حذره الله منه، وأن يضمر الخير لنفسه، وإيصال الخير إليهم، وعلى دفع الشر عنهم هكذا المؤمن، وهو يعلم السر وأخفى.

ثم يقول جل وعلا: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التغابن:٥]، ألم تأتكم الأخبار عن الماضين وما جرى عليهم لما غيروا أو بدلوا، وما أصابهم من العقوبات، وقد جاءتكم الأنباء الواضحة في القرآن أصدق الكلام: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء:١٢٢]، سبحانه: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]، وهو أحسن القصص وأصدق القصص، وهو أحسن

الحديث: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣]، يعني: يشبه بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا؛ فقد نبأنا عمن مضى من الأمم، نبأنا عن آدم وما جرى عليه مع إبليس عدو الله، وما حصل له من الكرامة بإسجاد الملائكة، وأن الله خلقه ونفخ فيه من روحه، وأخبرنا عما أصاب غيره من الأمم كما أصاب قوم هود، وقوم صالح، وقوم نوح، وقوم شعيب، وقوم لوط، وفرعون وقومه؛ لذلك أخبرنا، لماذا؟ للعبر ولنعتبر، ولقد ذاقوا وبال أمرهم، وذاقوا شر أمرهم، ولهم عذاب أليم، يعني: ذلك الذي فعلوه من الضر ذاقوا وباله في الدنيا قبل الآخرة، وعذاب الآخرة أكبر: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾، أي: خبر من قبلكم: ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن:٥-٦].

هذه حالهم لما كفروا وعاندوا، أصابهم العقاب المعجل، فأصابهم ما أصابهم، وأخذهم بالريح العقيم حتى هلكوا، قوم صالح أخذتهم الصيحة، فأصبحوا في دارهم جاثمين، وقوم لوط أصابهم ما أصابهم من الخسف وقلب مدائنهم عليهم، وأمطرهم ما أمطرهم من الحجارة، وهذا من العذاب المعجل غير عذاب الآخرة، وهي النار، نسأل الله العافية، وقوم شعيب أصابهم ما أصابهم من الرجفة حتى هلكوا، وهكذا فرعون أصابه وقومه ما أصابهم من الغرق، وكل هذا عبر وعقوبات: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت:٤٠]، هكذا كل واحد أخذ بذنبه، وعجلوا بالعقوبات، وآخرون أمهلوا وأنذروا، وعقوبة الله في الآخرة أشد.

ثم بين سبحانه بعض كفرهم، فقال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧]. هكذا الكفرة كذبوا بالبعث والنشور، وقالوا: لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، ولا جزاء ولا عقاب، وليس هناك حياة أخرىٰ، إنما هي هذه الدنيا، فمنهم من عاجله الله بالعقوبة، ومنهم من أمهل إلىٰ يوم القيامة، ورد الله عليهم بقوله: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ قل يا محمد، يا رسول الله: بلىٰ وربي، حلف بربه لهم ﷺ، وأمر بأن يحلف لهم معظمًا ربه: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ لتخبرن بما عملتم ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ وهو لا بد منه، كل ينبأ بما قدَّم وأخر، وكل إنسان يعطىٰ جزاءه، فالعاقل يعد العدة لهذا اليوم، فلا يتساهل ويعلم أنه ميت وأنه مجازىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [التغابن:٨]، فيؤمرون بالإيمان بالله ورسوله، والإيمان بالله؛ لأنَّه ربهم وإلههم الحق، المستحق للعبادة، لا يُدعىٰ سواه، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُنذر إلا له، ولا يُذبح إلا له، كل العبادات له سبحانه كما قال جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فآمنوا بالله ورسوله -محمد عليه الصلاة والسلام- وأنه رسول الله حقًا، بعثه الله للناس كافة من جن وإنس، من تبعه وانقاد لشرعه وصدقه فهو السعيد الناجي، ومن حاد عن ذلك فهو الهالك الشقي: ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا﴾ المراد: ما بعثه الله من النور، وهو القرآن العظيم والسنة المطهرة،

والنور: ما بعثه الله من الهدىٰ والعلم النافع الذي جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة، هذا هو النور، من أخذ هذا النور واستضاء به واتبعه فهو السعيد، ومن حاد عن هذا النور فهو الهالك -نعوذ بالله من ذلك-.

ثم ذكرهم بيوم القيامة فقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]، هذا يوم الجمع يوم القيامة يبعث الله فيه الأولين والآخرين، ثم قال في سورة الواقعة: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠]، كلهم مجموعون أولهم وآخرهم جِنهم وإنسهم: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ هذا يوم التغابن، وهو يوم القيامة، حين تُغبن في سيارة أو في أرض أو في عمارة بمائة ألف أو بمليون أو أكثر أو أقل، هذا غبن، لكنه يسير بالنسبة إلىٰ غبن يوم القيامة، وصار إلىٰ النار، نعوذ بالله من هذا المصير، هذا هو الغبن: أن ترىٰ خادمك وجارك وابن عمك إلىٰ الجنة، وأنت تساق إلىٰ النار، هذا هو الغبن نعوذ بالله، وأن ترىٰ أناسا تحقرهم في الدنيا، وتراهم فقراء في الدنيا ضعفاء، وتراهم إلىٰ الجنة وإلىٰ الكرامة والمنازل العالية، وأنت وأشباهك تساق إلىٰ النار؛ لاستكبارك وعصيانك، هذا هو الغبن العظيم، هذا هو الخسران الكبير: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾، أهل النار يغبنون أهل الجنة إلىٰ ما فازوا به من النعيم العظيم والخير الكريم: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ هذا اليوم العظيم، هذا يوم التغابن، ثم فصل ذلك سبحانه ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن:٩]، هذه حالة السعداء ممن آمن بالله واليوم الآخر، وعمل الصالحات، فله الجنة، وأنجاه من النار، وهو السعيد: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

ثم يقول -جل وعلا- في جزاء المعاندين المكذبين بآيات الله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن:١٠]، ينبغي للعاقل أن يتنبه لهذا اليوم ويعد له العدة، بماذا؟ بطاعة الله ورسوله، وتوحيد الله والإخلاص له، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، والبراءة من الكفر وأهله، وإقامة أمر الله، وترك ما نهى الله عنه، والمحافظة على الصلوات كما أمر الله، وأداء الزكاة كما أمر الله، وصوم رمضان كما أمر الله، والحج كما أمر الله، والجهاد كما أمر الله، وصدق الحديث، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وترك ما حرم الله.

وعليك أن تجتهد في أداء ما أوجب الله، والبعد عما حرم الله، هذا هو الطريق، وهذا هو الصراط المستقيم، وهذا هو سبيل الله الذي أنت تسأله أن يهديك إليه في قراءتك الفاتحة تقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هذا هو الصراط المستقيم، الصراط المستقيم هو: دين الإسلام، وهو طاعة الله ورسوله والانقياد لأمر الله تعالى، وترك ما نهى الله عنه، هذا هو الصراط المستقيم الذي قال الله فيه جل وعلا: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من الرسل وأتباعهم، أنعم الله عليهم فهداهم ووفقهم، فعلموا

وعملوا، علموا الحق وصدقوا به، وعملوا بذلك، وانقادوا إلى أمر الله، هؤلاء هم الذين أنعم الله عليهم، الذين عرفوا الحق في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وانقادوا له، ووالوا عليه، وعادوا عليه، وأحبوا فيه، وأبغضوا فيه حتى ماتوا عليه، هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم، وهو الصراط الذي قال الله فيه في حق محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢]، وهو الذي قال فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، السُّبل: ما خالف الصراط من البدع والمعاصي والمخالفات، فأنت مأمور باتباع صراط الله وسبيله، وهو دينه الذي بعث الله به نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وتوحيده والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، والموالاة في ذلك، والمناصحة في ذلك، والمعاداة في ذلك، والبغضاء في ذلك، هكذا المؤمن في هذه الدار حتى يلقى ربه، وهذا هو الصراط المستقيم.

أسأل الله -بأسمائه الحسنى وصفاته العلى- أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وهذا من منافع الحج: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ أن تشهد نصيحة تنصح بها، أو موعظة توعظ بها، أو كلمة تنفعك هذه هي المنافع؛ ليشهدوا منافع لهم بأن يسمع المؤمن كلمة تنفعه، أو موعظة توجه إليه، أو نصيحة توجه إليه في منى، أو في مزدلفة، أو في عرفات، أو في المسجد الحرام، أو في أي مكان، ثم يبلغها غيره، هذه هي المنافع العظيمة، وأنتم منصرفون من هذا المكان بعد مدة يسيرة.

فاتقوا الله في أنفسكم وحاسبوها، ولا ترجعوا إلىٰ المعاصي بعد الحج الذي من الله عليكم به، فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، فاحرص -يا أخي- علىٰ أن لا ترجع إلىٰ الخبائث بعدما طهرك الله منها، واحرص علىٰ أن تستمر علىٰ التوبة والعمل الصالح أينما كنت في بلادك وغير بلادك، واحرص أن تقطع العهد الذي أنت عاهدت عليه الله، وأن تستقيم علىٰ دينه، وأن تدع ما نهاك عنه، وأن تقف عند حدوده حتىٰ تلقاه، ولا تقل أنا شاب سوف أتوب، كم من شاب أخذه الموت قبل أن يشيب، وكم من زارع أصابه الهلاك قبل أن يحصد زرعه، فالموت يأتي بغتة، والعمل الصالح ينفعك في الدنيا والآخرة، ولو عِشت ألف عام وأنت في طاعة الله فأنت علىٰ خير، ولا تغتر بالشباب والقوة والمال، احذر، وأعدَّ العدة؛ شابًا، أو كهلًا، أو شيخًا حتىٰ تلقىٰ ربك، فاحذر أسباب الهلاك، واسأل ربك التوفيق والإعانة؛ فهو سبحانه الهادي والموفق جل وعلا، فاضرع إليه أن يهديك، وأن يثبتك، وأن يعينك علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

وهذا اليوم يُسمىٰ يوم القر، وذلك أن الحجاج قارون في منىٰ ليس فيه نفير، هذا هو أول أيام منىٰ، هذا اليوم الحادي عشر وأول أيام منىٰ، وهو يوم القر، وغدًا يوم النفر، يوم الخميس غدًا، وهو يوم النفر الأول لمن تعجل يوم الثاني عشر وهو يوم الخميس في هذه السنة إذا زالت الشمس ورمىٰ الجمرات الثلاث.

وللحاج التعجل إذا شاء فيتعجل إلىٰ مكة، ويطوف الوداع ويسافر، وله البقاء في مكة إذا أراد ما يشاء من الأيام، ثم يودع البيت ويسافر، فيقال له: يوم

النفر الأول، وهو اليوم الثاني عشر وهو غدا يوم الخميس، ويوم الجمعة هو النفر الثاني، وهو الثالث عشر، يقال له: النفر الثاني لمن استكمل الإقامة في منى، والنبي ﷺ استكملها، وأقام اليوم الثالث عشر ﷺ ثم نفر، والأمر بحمد الله واسع، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ يعني: هذه الثلاثة، يعني: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة:٢٠٣]، قال النبي ﷺ: «**أيام منى ثلاثة؛ من تعجل في يومين، فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه**»، فبعض الناس يغلط، ويظن أن يوم العيد منها، لا ليس يوم العيد منها فأولها هذا اليوم الحادي عشر، وثانيها غدا يوم الخميس وهو النفر الأول، وثالثها يوم الجمعة وهو النفر الثاني، وليس لأحد أن ينفر إلا بعد طواف الوداع.

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت**». قال ابن عباس رضي الله عنهما: وأمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض، فالمرأة الحائض أو النفساء ليس عليها وداع إذا كانت طافت طواف الإفاضة، طواف الحج يوم العيد أو بعده، فليس عليها طواف الوداع إذا كانت عند السفر حائضا أو نفساء، أما غير ذلك فعليه الوداع إن استطاع ماشيًا أو راكبًا أو محمولًا.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وتقبل الله من الجميع حجهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/٣٠٧)]

* تفسير قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾ [التغابن:٧].

كلمة ألقاها سماحته في ١١/ ١٢/ ١٤١٥.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد سمعنا جميعا قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧]؛ حيث إن الكفار، كفار العرب وغيرهم إلا من رحم الله ينكرون البعث والنشور؛ لأنها حياة منتهية، ويرون أن من مات مات، فلا عودة، ولا بعث ولا نشور، هكذا قال لهم شيطانهم، وقد بين الله جل وعلا أنه لابد من البعث والنشور والجزاء والحساب؛ ولهذا قال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾ زعموا: أي كذبوا ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ يبعثون وينبئون بأعمالهم خيرها وشرها، هكذا أخبر الله في كتابه العظيم أنه لابد من البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣].

فلابد من البعث والنشور والجزاء والحساب والجنة والنار؛ ولهذا فإن أصول الإيمان: الإيمان بالأركان الستة التي هي أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر يوم القيامة، والبعث، والنشور، والجنة والنار، والجزاء والحساب، ثم قال جل وعلا: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الغابن:٨]، فآمنوا بالله ورسوله أي: آمنوا بالله ربًا ومعبودًا بالحق، وهو الخلاق العليم، المالك لكل شيء، المدبر لكل شيء، القاهر فوق عباده، المستحق أن يعبد دون كل ما سواه، ورسوله محمد ﷺ وسائر

الرسل جميعًا، الرسول: مفرد يعم الرسل، وبالأخص خاتمهم وإمامهم، وأفضلهم محمد ﷺ، فلابد من الإيمان بالله وجميع الرسل والأنبياء، وبكل ما أخبر الله به رسوله.

ثم قال: ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ الذي أنزل الله على شريعته التي جاء بها نبيه محمد ﷺ وهي: نور، من عرفها عرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وصار كالبصير بين العميان، يرى الأشياء على ما هي عليه، فهي نور جعلها الله للعباد، يعرفون بها ما يرضيه وما يسخطه، وما أعده لأوليائه، وما أعده لأعدائه، وما سيقع يوم القيامة، نور كما قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء:١٣٦]، فالإيمان بالله والرسول، والإيمان بالكتاب المنزل وهو القرآن، وفيه أمر بطاعة الله ورسوله، فلابد من هذا النور، لابد من الإيمان بهذا النور، والأخذ به والتفقه من هذا النور، وهو: ما أنزل من كتابه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ حتى تعرف مواضع الرضا والغضب، وتعرف الشرائع التي شرعها الله والأوامر، وحتى تعرف الأشياء التي نهى عنها، فالأوامر وامتثالها تحصل النجاة، وبترك النواهي والمعاصي كذلك، هذا هو النور، أن تكون على بصيرة وبينة، تعرف هذا وهذا، تعرف الأوامر فتأتي بها وتؤديها، وتعرف النواهي فتحذرها وتجتنبها، فهذا هو المقصود مع الإيمان والتصديق بذلك، هذا هو الواجب على جميع الجن والإنس أن يعرفوا أوامر الله فيمتثلوها، وأن يعرفوا نواهيه فيجتنبوها؛ وذلك بالتفقه في الدين

بالتعلم، وبالعناية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبسؤال أهل الذكر.

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» أخرجه البخاري. ويقول ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقا إلى الجنة**» متفق عليه. ويقول: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والنور كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منه أجادب أمسكت الماء** -يعني: **مواضع مطمئنة أمسكت الماء**-، **فنفع الله بها الناس فشربوا، وسقوا، وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ**» -وهذه هي حال الناس- أخرجه مسلم.

فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به. هذه هي أقسام الناس مثل الأرض؛ أرض طيبة، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وهم: أهل العلم والإيمان والتعليم والتوجيه والإرشاد، وطائفة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وهم: حملة العلم، فحملوه للناس حتى استفادوا منه وفجروا ينابيعه للناس، حفظوه وفقهوا غيرهم عن طريق أهل العلم الذين نقلوه عنهم وأخذوه عنهم، فهم حفظة استفادوا وأفادوا، وأهل العلم والفقه في الدين وأهل التبصر استخرجوا ما فيه من العلوم، استخرجوا ما فيه من الأحكام والفوائد، ونشروها بين الناس مثل إذا أخذوا الماء فشربوا وسقوا وزرعوا، وغالب الخلق مثل القيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، هذا حال أكثر الخلق، لا خير فيهم لا علم ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ

ﭐلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وقوله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ:٢٠].

فاحذر أن تكون من الأكثرين المعرضين الضالين، واحرص أن تكون من القليل الناجي، من المؤمنين الصادقين المصدقين المتفقهين في الدين المتعلمين، وهذا كتاب الله بين أيدينا بحمد الله، أقبل عليه، أكثر من تلاوته، يقول سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، ويقول: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، ويقول: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [إبراهيم:٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

تأملوا هذا القرآن، وكل واحد يجب أن يكون له عناية به في الليل أو في النهار أو فيهما جميعًا، به يقرأ ما تيسر ويتدبر ويتعقل، ويحث أهله وأولاده وإخوانه وجيرانه على كثرة القراءة والتدبر والتعقل، وهكذا سنة الرسول ﷺ التي حفظها العلماء ونقلوها إلينا مثل: الصحيحين والسنن الأربع في المنتقى، وفي بلوغ المرام، وفي عمدة الحديث، ورياض الصالحين، وفي غيرها من كتب الحديث التي نقل فيها أهل العلم هذه الأحاديث وصححوها.

فالمؤمن يستفيد منها، يقرأ ويستفيد ويسأل: وهذا اليوم هو يوم القر الأول من أيام التشريق، وغدًا هو يوم النفر الأول، ويوم السبت هو يوم النفر الثاني، وبعض الناس قد يخلط، يحسب أن هذا اليوم هو النفر الأول، يوم العيد لا يعد من الأيام الثلاثة، يوم العيد مستقل وحده، ومحل أعمال الحج أيام التشريق التي أولها: اليوم الحادي عشر، وثانيها: الثاني عشر، وثالثها: الثالث عشر، وهي المراد في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣]، هذه هي الأيام المعدودات، فمن تعجل في يومين، يعني: يوم الجمعة في الجمعة في هذه السنة، فلا إثم عليه، ومن تأخر يعني: يوم السبت، فلا إثم عليه، وهذه الأيام المعدودات أيام التشريق، وهي التي يصومها من عجز عن الهدي، هدي التمتع، يجوز له صومها.

أما غيره فلا يصومها، هي أيام عيد، أيام أكل وشرب، قال النبي ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ﷻ**». وكان يبعث من ينادي في الناس ويعلمهم: أن هذه الأيام أيام أكل وشرب، وليست أيام صيام إلا لمن فقد الهدي، ولمن عجز عن الهدي، أولها هذا اليوم، والنفر الأول غدًا يوم الجمعة إذا رمى الجمار بعد الزوال، وأحب أن ينفر إلى مكة ليقيم فيها أياماً، أو إلى بلاده، فلينفر قبل غروب الشمس من يمر بمكة، ويطوف طواف الوداع إن كان طاف طواف الإفاضة أو يطوف طواف الإفاضة، وينوي الوداع معه، ثم ينفر بعده إذا أحب، أو يقيم في مكة ما شاء الله، ثم إذا عزم على السفر طاف طواف الوداع، والنفر الثاني يوم السبت يوم الثالث عشر.

فإذا غابت الشمس انتهت أيام التشريق، وانتهت أيام الرمي، ولو جلس في

منىٰ فليس عليه رمي، لو جلس في الرابع عشر في منىٰ ما عليه رمي، انتهت أيام الرمي بغروب الشمس، وهذه الأيام هي أيام تكبير أيضا مطلق ومقيد في أدبار الصلوات وفي بقية الأوقات يكبر في الضحىٰ وفي الظهر وفي الليل.

كان عمر رضي الله عنه في هذه الأيام يكبر في مخيمه، فيسمعه الناس، فترتج منىٰ تكبيرًا في أسواقهم وفي طرقاتهم، يذكر الناس رضي الله عنه وهذه هي أيام الذبح مثل الضحايا والهدايا في هذه الأيام الأربعة، هذا الصحيح من أقوال العلماء: أربعة أيام، يوم العيد وثلاثة أيام بعده، كلها أيام ذبح إلىٰ غروب الشمس من يوم الثالث عشر وذبح الهدايا والضحايا، الضحايا في جميع الدنيا في البر والبحر، في القرىٰ والأمصار والهدي هو: هدي التمتع والقران في هذه الأيام في مكة، ومن فاتته الأيام، ولم يذبح هديه؛ إما عاجزًا أو لم يحصل الدراهم إلا بعد الحج، أو ضل هديه ووجده فيما بعد، أو اقترض واشترىٰ، فإنه يذبح ولو بعد الأيام، كالقضاء إذا فاتت الأيام، ثم تيسر له الهدي يذبحه، ولو كان قد صام الثلاثة يذبحه بعد الثلاثة، ويسقط عنه صيام السبعة، ولو تيسر له ذبيحة يوم أربعة عشر أو خمسة عشر يذبحها، ويأكل ويطعم، ويسقط عنه صيام السبعة إن كان قد صام الثلاثة، وإن كان ما صام الثلاثة سقطت عنه العشرة كلها، إذا تيسر الذبح في الرابع عشر، أو في الخامس عشر، أو في السادس عشر، أو في السابع عشر، أو بعده يذبحه في الحرم، ويأكل ويُطعم.

وهذا اليوم يوم رمي إلىٰ آخر الليل، يبدأ بعد الزوال قبل الصلاة أفضل إن تيسر، وإلا بعد الصلاة وبعد العصر، وبعد المغرب، وبعد العشاء إلىٰ آخر الليل كله، رمي عن هذا اليوم يوم الحادي عشر، وغدا كله رمي بعد الزوال

إلى آخر الليل عن اليوم الثاني عشر، ويوم السبت يرمي بعد الزوال إلى غروب الشمس.

وفق الله الجميع، وثبت الجميع على الهدى، وتقبل منا ومنكم، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٠٧)]

❁❁❁

سُورَةُ الْقَلَمِ

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم:٤٢].

* **سؤال**: طالب يسأل ويقول: ما هو الحق في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؟

الجواب: الرسول ﷺ فسرها بأن المراد: يوم يجيء الرب يوم القيامة، ويكشف لعباده المؤمنين عن ساقه، وهي العلامة التي بينه وبينهم سبحانه وتعالى، فإذا كشف عن ساقه عرفوه وتبعوه. وإن كانت الحرب يقال لها: كشفت عن ساق إذا اشتدت، وهذا معنى معروف لغويًا قاله أئمة اللغة.

ولكن في الآية الكريمة يجب أن يفسر بما جاء في الحديث الشريف، وهو كشف الرب عن ساقه سبحانه وتعالى، وهذه من الصفات التي تليق بجلال الله وعظمته، لا يشابهه فيها أحد جل وعلا، وهكذا سائر الصفات كالوجه واليدين والقدم والعين، وغير ذلك من الصفات الثابتة بالنصوص، ومن ذلك الغضب والمحبة والكراهية، وسائر ما وصف به نفسه سبحانه في الكتاب العزيز، وفيما أخبر به عنه النبي ﷺ، وكلها صفات حق، وكلها تليق بالله جل وعلا، لا يشابهه فيها أحد سبحانه وبحمده، كما قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ

ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم من أئمة العلم والهدى.. والله الموفق.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣١٨)]

***

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢].

* **سؤال:** قرأت في تفسير الصابوني قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، فأوَّله وقال: في الحديث يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة، ولما رجعت إلى صحيح البخاري وجدت الحديث يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة**» فقد حذف الصابوني الجزء الأول من الحديث، فهل يجوز له ذلك؟ وماذا يُسمى هذا العمل ولا سيما إذا كان متعمدا؟

الجواب: على كل حال: هذا خطأ وغلط، والواجب عليه وعلى غيره بيان الحق؛ فالحديث: «**يكشف عن ساقه**»: العلماء اختلفوا في الآية عن المراد بكلمة ساقه، قال بعضهم: عن شدة، ولكن جاء الحديث الصحيح فسر الآية بما لا يجوز معه خلاف الحديث، والمعنى: يكشف عن ساقه، والله جل وعلا يُوصف بذلك على الوجه اللائق به ﷻ كما يوصف بالوجه واليد والقدم والأصابع والعين، كذلك يوصف بالساق على الوجه اللائق به ﷻ، ولا يشابه الخلق في شيء من صفاته، ولا يجوز للعالم أن يخفي الحق أو يتأول الباطل، والله المستعان.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٢٠)]

سُورَةُ الْجِنِّ

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

* سؤال: أرجو أن تتفضلوا بالإجابة عما يلي: ما الفرق بين الآيات الكريمة الآتية في الآية الخامسة عشرة من سورة الجن، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وفي الآية الثامنة من سورة الممتحنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ وفي الآية الثانية والأربعين من سورة المائدة: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾؟

الجواب: القسط الذي أمر الله بالحكم به هو العدل، والمقسطون هم أهل العدل في حكمهم، وفي أهليهم، وفيما ولاهم الله عليه، وأقسط، أي: عدل في الحكم، وأدى الحق ولم يجر، أما القاسط فهو الجائر الظالم، يقال: قسط يقسط قسطًا فهو قاسط؛ إذا جار وظلم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الجائرين المتعدين لحدود الله، وهم الذين توعدهم الله بأن يكونوا حطبًا لجهنم، وأما المقسطون بالميم من أقسطوا من الرباعي فهؤلاء هم: أهل العدل الموفقون المهديون الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم، وفيمن ولاهم الله عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾،

يعني: يحب أهل العدل والاستقامة والإنصاف؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[١].

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٢١)]

۞۞۞

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الإمارة) باب: فضيلة الإمام العادل برقم (٣٤٠٦).

جُزْءُ عَمَّ

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ ...﴾ الآيات [النازعات:٤٠-٤١].

* **سؤال**: أرجو تفسير قوله تعالىٰ من سورة النازعات: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾، وما هي الأمور التي تنهىٰ النفس عن الهوىٰ؟ وهل يكون عمل المرأة من هذه الأمور التي يجب نهي النفس عنها حالة عدم احتياجها للعمل ماديًا؟

الجواب: هذه الآية آية عظيمة ومعناها واضح، وقبلها يقول تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ الآية، أي: خاف القيام بين يدي الله؛ فلهذا نهىٰ نفسه عن هواها المحرم، أي: نهاها عن المعاصي التي تهواها النفس، وهذا هو الذي له الجنة والكرامة، فإن النفس قد تميل إلىٰ الزنا والخمر والربا، وإلىٰ أشياء أخرىٰ مما حرم الله، وتهوىٰ ذلك لأسباب، فإذا وفق الله المؤمن والمؤمنة لمحاربة هذا الهوىٰ ومخالفته، وعدم الانصياع إليه، صار هذا من أسباب دخول الجنة، وعمل المرأة لا بأس به إذا كان مباحًا أو مشروعًا، ولا يترتب عليه شيء من المعاصي؛ كالخلوة بالرجل الأجنبي، أو عصيان الزوج، أو نحو ذلك مما حرم الله عليها.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/٣٢٣)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلىٰ:١٩].

* **سؤال:** المعروف أن الكتب السماوية المنزلة هي أربعة: التوراة، الزبور، الإنجيل، القرآن، فماذا عن صحف إبراهيم وموسىٰ التي جاء ذكرها في القرآن الكريم الآيتين رقم ١٨، ١٩ من سورة الأعلىٰ؟ أرجو إعطائي نبذة وتعريفًا عن هذه الصحف المطهرة.

الجواب: قد أخبر الله -سبحانه- أنه أرسل رسله بالبينات والزبر، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل:٤٣-٤٤]. الآية من سورة النحل، والزبر: هي الكتب، وقال سبحانه في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥] الآية، ونصَّ سبحانه علىٰ صحف إبراهيم وموسىٰ في سورة سبح اسم ربك الأعلىٰ، وبين سبحانه من هذه الكتب والصحف: التوراة المنزلة علىٰ موسىٰ، والزبور المنزل علىٰ داود، والإنجيل المنزل علىٰ عيسىٰ، والقرآن المنزل علىٰ محمد ﷺ وليس للعباد من العلم إلا ما علمهم الله إياه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ.

والله ولي التوفيق.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٢٤)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحىٰ:٥].

* **سؤال:** فسروا لنا قول الحق ﷻ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

الجواب: جاء في الأحاديث الصحيحة أن الله وعد رسوله ﷺ أن يرضيه في أمته، ومن ذلك أنه يأذن له بالشفاعة فيشفع لهم في دخول الجنة، ويشفع لكثير منهم دخل النار أن يخرج منها، وهذا مما أعطاه الله له ﷺ لأهل الموقف حتىٰ يقضي بينهم، وهو المقام المحمود الذي وعده الله به.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٢٥)]

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ:١١].

* **سؤال:** قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فإذا كان الإنسان لديه القدرة علىٰ العيش في رغد، فهل تنطبق عليه هذه الآية الكريمة؟ وما معنىٰ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾؟

الجواب: معنىٰ الآية: أن الله أمر النبي ﷺ أن يتحدث بنعم الله، فيشكر الله قولًا كما يشكره عملًا؛ فالتحدث بالنعم أن يقول المسلم: إننا بخير والحمد لله، وعندنا خير كثير، وعندنا نعم كثيرة نشكر الله علىٰ ذلك، لا يقول: نحن ضعفاء، ليس عندنا شيء، لا بل يشكر الله ويتحدث بنعمه، ويقر بالخير الذي أعطاه الله، لا يتحدث بالتقتير كأن يقول: ليس عندنا مال، ولا لباس، ولا كذا، ولا كذا، لكن يتحدث بنعم الله، ويشكر ربه ﷻ والله سبحانه إذا أنعم علىٰ عبده نعمة يحب أن يرىٰ أثرها عليه في ملابسه، وفي أكله وفي شربه، فلا

يكون في مظهر الفقراء، والله قد أعطاه المال ووسع عليه، ولا تكون ملابسه ولا مأكله كالفقراء، بل يظهر نعم الله في مأكله ومشربه وملبسه، ولكن لا يفهم من هذا الزيادة التي فيه الغلو، وفيها الإسراف والتبذير.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٢٦)]

* * *

* يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

في هذه السورة العظيمة بين الله صفات الخاسرين، وصفات الرابحين في أقصر وأيسر عبارة وأبينها، وأقسم على هذا تَعَالَى وهو الصادق، وإن لم يقسم جل وعلا فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، والعصر هو الزمان، وهو محل أعمال بني آدم من صالح وطالح، ويقال لليل والنهار العصران، فالله يقسم بالزمان على أن جميع بني الإنسان في خسران: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾، وهؤلاء هم الرابحون، وهم السعداء، وأما ما سوى ذلك من بني الإنسان من بني آدم خاسرون في أيامهم ولياليهم وأعمالهم، إلا من تخلق بهذه الصفات الأربع، واستقام عليها، فهو الرابح السعيد، وهي: الإيمان بالله ورسوله إيمانًا صادقًا، يتضمن توحيده، والإخلاص له تَعَالَى، والإيمان برسله -عليهم الصلاة والسلام- وعلى رأسهم خاتمهم نبينا محمد ﷺ ثم تحقيق هذا الإيمان بالعمل الصالح؛ لأن الإيمان يقتضي العمل؛ ولهذا قال: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، يعني: حققوا إيمانهم، وصدقوا إيمانهم، بالعمل

بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، هذا هو العمل الصالح، يعني: عملوا ما شرع الله لهم، فأدوا فرائضه، وتركوا محارمه، وكفوا عن كل ما نهاهم عنه ﷻ.

ثم أمر ثالث: التواصي بالحق فيما بينهم والتناصح والتعاون على الخير، ثم أمر رابع هو الصبر على ذلك التواصي بالصبر على هذه الأمور، فهؤلاء هم الرابحون الذين وحدوا الله، وآمنوا بأنه ربهم وإلههم الحق، وأخلصوا له بالعبادة، وصدقوا رسوله ﷺ وآمنوا بما جاءهم من الهدى، وصدقوا أخبار الله وأخبار رسوله عليه الصلاة والسلام، ثم عملوا، فقال: ﴿وَعَمِلُواْ﴾، فأدوا فرائضه سبحانه، وكفوا عن محارمه، وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، ثم بين بعد ذلك كمال ذلك فقال: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ هذه الصفات الأربع، وهي الأصول الأربع هي أساس السعادة، وأساس الربح والنجاه: إيمان صادق وعمل صالح، وتناصح وتواصٍ بالحق، وتعاون على البر والتقوى وتواصٍ بالصبر على ذلك في الشدة والرخاء وفي جميع الأحوال، وعلى حسب قيام العبد.

وبهذه الأمور الأربعة يكون فلاحه وتكون نجاته، ويكون أيضاً ربحه، وكلما نقص منه شيئا حصل له من الخسران قدر ذلك، فالرابح الكامل هو الذي استوفاها بكمالها وحقق إيمانه، وكمل إيمانه، وجاهد نفسه لله حتى أدى الواجب، وترك المحرم، ونصح لإخوانه، وتواصى معهم بالحق والصبر عليه، ومن قصر في شيء من هذا صار له من الخسران بعد ذلك.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

[كتاب حديث المساء (ص:١٤٨)]

تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ...﴾ [الماعون:٤].

* **سؤال**: أرجو تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٤-٧]؟

الجواب: الآية الكريمة المذكورة على ظاهرها، والويل إشارة إلى العذاب، والله سبحانه يتوعد المصلين الموصوفين بهذه الصفات التي ذكرها عز وجل وهي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ السهو عن الصلاة: هو الغفلة عنها والتهاون بشأنها، وليس المراد تركها؛ لأن الترك كفر أكبر، وإن لم يجحد وجوبها في أصح قولي العلماء. نسأل الله العافية.

أما التساهل عنها: فهو التهاون ببعض ما أوجب الله فيها؛ كالتأخر عن أدائها في الجماعة في أصح قولي العلماء، وهذا فيه الوعيد المذكور.

أما من تركها عمدًا، فإنه يكون كافرًا كفرًا أكبر، وإن لم يجحد وجوبها في أصح قولي العلماء كما تقدم؛ لقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(١).

«**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». خرجه الإمام مسلم في صحيحه. فهذان الحديثان وما جاء بمعناهما حجة قائمة، وبرهان ساطع على كفر تارك الصلاة، وإن لم يجحد وجوبها.

(١) أخرجه أحمد في باقي مسند الأنصار، من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه، برقم (٢١٨٥٩).

أما إن جحد وجوبها، فإنه يكفر بإجماع العلماء ولو صلى، أما السهو فيها فليس هو المراد في هذه الآية، وليس فيه الوعيد المذكور؛ لأنه ليس في مقدور الإنسان السلامة منه، وقد سها النبي ﷺ في الصلاة غير مرة، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وهكذا غيره من الناس يقع منه السهو من باب أولى، ومن السهو عنها الرياء فيها كفعل المنافقين.

فالواجب أن يصلي المؤمن لله وحده، يريد وجهه الكريم، ويريد الثواب عنده ﷻ؛ لعلمه بأن الله فرض عليه الصلوات الخمس فيؤديها؛ إخلاصًا لله وتعظيمًا له، وطلبًا لمرضاته ﷻ، وحذرًا من عقابه.

ومن صفات المصلين الموعودين بالويل: أنهم يمنعون الماعون، والماعون فُسر بالزكاة، وأنهم يمنعون الزكاة؛ لأن الزكاة قرينة الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة:٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، وقال آخرون من أهل العلم: إنه العارية، وهي التي يحتاج إليها الناس ويضطرون إليها.

وفُسر بالدلو لجلب الماء، وبالقدر للطبخ، ولكن منع الزكاة أعظم وأكبر.

فينبغي للمسلم أن يكون حريصًا على أداء ما أوجب الله عليه، وعلى مساعدة إخوانه عند الحاجة للعارية؛ لأنها تنفعهم أيضًا ولا تضرهم.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٢٩)]

* * *

الفصل الثاني

تَفْسِيرُ سَمَاحَةِ الشَّيْخ عَبْدِ الْعَزِيز بْنِ بَازٍ مَعَ اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالإِفْتَاءِ

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

* **سؤال:** من سورة الفاتحة قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦-٧]. أريد معرفة معنى الصراط المستقيم، ومن الذي أنعم الله عليهم بهذا الصراط؟ وما معنى آمين؟

الجواب: معنى الصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وقيل: هو القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: هو النبي ﷺ، والكل حق فإن من اتبع النبي ﷺ فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن.

والذين أنعم الله عليهم، قال ابن كثير في تفسيره: قال الضحاك عن ابن عباس: «صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين، وذلك نظير ما قال ربنا تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩].

ومعنى آمين: اللهم استجب.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٥) من الفتوى رقم (٦٣٠٤٩)]

- عضو: عبدالله بن قعود.
- عضو: عبدالله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبدالرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبدالعزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

* **سؤال:** قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

كيف عرفت الملائكة أن هذا الخليفة سيفسد في الأرض، ولا يعلم الغيب إلا الله؟

الجواب: لعل الملائكة عرفت أن هذا الخليفة سيفسد في الأرض، ويسفك الدماء إما بعلم خاص من الله، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية، فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال كالفخار، أو فهموه من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم من المحارم والمآثر، وقيل: إنهم علموا ذلك من أعمال الخلق الذين كانوا في الأرض قبل آدم.

وبالله التوفيق. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٦) من الفتوىٰ رقم (٥١٦٧)]

- عضو: عبدالله بن قعود.
- عضو: عبدالله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبدالرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبدالعزيز بن عبد الله بن باز.

***

* **سؤال:** عندي مشكلة في تفسير آية قرآنية وهي: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٤١]، أرجو من فضيلتكم التشرف بشرحها بتفصيل.

الجواب: قال ابن كثير ﷺ في بيان تفسير هذه الآية المسؤول عنها: يقول: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها، فإنها قليلة فانية، وقال أيضًا: وفي (سنن أبي داود)، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ(١): «**من تعلم علمًا مما يبتغىٰ به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة**»(٢).

فأما تعليم العلم بأجرة، فإن كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة، ولا يجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله، فإن لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب، فهو كما لو لم يتعين، وإذا لم يتعين عليه، فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء، كما في (صحيح البخاري) عن أبي سعيد في قصة اللديغ: «**إن أحق ما اتخذتم عليه أجرًا كتاب الله**»، وقوله ﷺ في قصة المخطوبة: «**زوجتكها بما معك من القرآن**»(٣).

فأما حديث عبادة بن الصامت أنه علَّم رجلًا من أهل الصفة شيئًا من القرآن فأهدىٰ له قوسًا، فسأل رسول الله ﷺ فقال: «**إن أحببت أن تطوق**

---

(١) ابن كثير في تفسيره (١/ ١٥٢)، ط. الأرقم.

(٢) أبو داود برقم (٣٦٦٤)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٣٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) أحمد (٥/ ٣٣٦)، والبخاري [فتح الباري] برقم (٥١٤٩)، ومسلم (١٤٢٥) من حديث سهل بن سعد.

بقوس من النار فاقبله»[١] رواه أبو داود، وروىٰ مثله عن أبي بن كعب مرفوعًا. فإن صح إسناده فتركه محمول عند كثير من العلماء -منهم أبو عمر بن عبد البر- علىٰ أنه لما علمه لله لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس، فأما إذا كان من أوَّل الأمر علىٰ التعليم بالأجرة فإنه يصح، كما في حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة، والله أعلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) الفتوىٰ رقم (٦٤٥٠)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* * *

* سؤال: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون علىٰ أستاههم، فبدلوا وقالوا: حطة حبة في شعرة»**[٢] (صحيح البخاري) المجلد الثاني باب: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البقرة:٥٨] الآية.

(ص:٦٤٣)، قال محمد حفظ الرحمن في تصنيفه قصص القرآن (٢/ ١٧): يفهم من رواية البخاري: أن بني إسرائيل يزحفون علىٰ أستاههم، ولكن ليس

---

(١) أحمد (٥/ ٣٢٤)، وأبو داود برقم (٣٤١٧)، والحاكم في [المستدرك] (٣/ ٣٥٦).

(٢) أحمد (٢/ ٣١٨)، والبخاري [فتح الباري] برقم (٤٤٧٩)، ومسلم برقم (٣٠١٥)، والطبري في التفسير برقم (١٠١٩).

هذا مشي المتكبرين مروجًا ومعقولًا في العالم، بل شبههم هكذا أضحوكة للناس، فالتفسير الصحيح لعبد الله بن مسعود أنه قال: «إن بني إسرائيل يمشون مرحًا وتبخترًا رافعًا برؤوسهم حين دخلوا البلد، ويزحفون على أستاههم، ويميلون بصدورهم يمينا وشمالًا كما يمشي المتكبرين» كذا في (قصص القرآن) لمحمد حفظ الرحمن.

فماذا ترى في هذا الباب؟ أتفسير البخاري حق، أم تفسير عبد الله بن مسعود؟ فصل فيه القول بالقرآن والسنة، وجزاكم الله عنا وعن جميع المسلمين جزاء حسنا.

الجواب: أمر الله تعالى بني إسرائيل أن يدخلوا باب بيت المقدس خاشعين شكرًا له تعالى، وأن يقولوا: يا ربنا حط عنا ذنوبنا حطا أي: اغفر لنا ذنوبنا مغفرة، ووعدهم سبحانه إن هم امتثلوا أمره أن يغفر لهم خطاياهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، لكنهم لم يمتثلوا أمره، بل بدلوا ما أمروا به من القول والعمل، فدخلوا يزحفون على أستاههم قائلين: حبة في شعرة أو في شعيرة؛ تلاعبًا منهم بأمر الله تعالى، وسخرية واستهزاء وتبديلًا لتشريعه سبحانه قولًا وعملًا، بدلًا من طاعته والخضوع لأوامره شكرًا لنعمته، فأنزل على الذين ظلموا منهم بأسه وأذاقهم عذابه، جزاءً وفاقًا بتبديلهم وتحريفهم شرعه وتمردهم عليه كما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ تفسيرًا للآيتين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٨-٥٩]، وتفسيرها بما

جاء في الحديث هو الصحيح؛ لأنه عن النبي المعصوم ﷺ، وعملهم -مع كونه سخرية واستهزاء- متضمن للتمرد على الله، والاستكبار عن طاعته، وبهذا يعلم خطأ تفسير الآية بمجرد الكبر والخيلاء.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٦٨٨٩)]

▪ عضو: عبد الله بن قعود. ▪ عضو: عبد الله بن غديان.

▪ نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.

▪ الرئيس: عبد العزيز بن بن عبد الله بن باز.

* * *

* **سؤال**: لقد بدأت قراءة (تفسير ابن كثير) الذي استقرضته من صديق لي، أقرأ التفسير لسورة البقرة الآية ٦٠ أولًا، ثم أجب عن هذا السؤال.

السؤال: هل انفجار الماء إلى (اثنتي عشر عينًا) كان أثناء رحيل بني إسرائيل في التيه أربعين (٤٠) عامًا أو بعد فتح بيت المقدس؛ لأنه غير واضح في التفسير، أحدث أثناء رحيلهم قبل فتح بيت المقدس أم بعد ذلك، أم هو كان حجرًا طوريًا يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠]، أمر الله تعالى رسوله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام حين استسقاه أن يضرب بعصاه

الحجر، فلما ضربه انفجرت منه اثنتا عشرة عينا على عدد الأسباط؛ توسعة عليهم حتى لا يتزاحموا ولا يتناحروا على الماء، فكان ذلك من الله معجزة لموسى ﷺ، ورحمة منه بموسى، ومن معه من بني إسرائيل، وهذا هو مكان الحجة والتأييد، وموضع النعمة والعبرة، ولم يخبرنا -سبحانه- عن سائر أحوال الحجر وتفصيلها، ولو كان في ذكر ذلك خير لنا لبينه الحكيم العليم، وما كان ربك نسيًا، ولم يثبت في تفصيل أحواله حديث عن النبي ﷺ فيما نعلم، ولو كان فيه خير لأوحى به اللطيف الخبير إلى رسوله ﷺ ليبلغه للناس؛ رحمة بهم.

وقد نقل ابن كثير، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن ضرب موسى الحجر بعصاه كان في التيه، فصار اثنتا عشرة عينا من ماء، لكل سبط منهم عينا يشرب منها»، ونقل عن مجاهد نحوه[1].

وبالجملة فالخير للمسلم الاستغناء بما أنزله الله تعالى، أو ثبت في السنة، ولا يخوض فيما لم يثبت فيه نص من ذلك عن النبي ﷺ.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوى رقم (٥٥٦٦)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

(١) راجع [تفسير ابن كثير] (١/ ١٨١)، ط. الأرقم.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

* سؤال: ما تفسير هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:٦]؟

الجواب: بعد أن وصف نفسه سبحانه بأنه لا إله إلا هو الحي الذي لا يموت، وأنه القيوم بشؤون عباده، فلا وجود لهم، ولا استقامة لأحوالهم إلا به مع غناه عنهم، وأنه العليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أقام الدليل على ذلك بأنه وحده الذي يخلق الناس في أرحام أمهاتهم كيف يشاء، على صور شتى وأحوال مختلفة من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد، لا إله إلا هو، له العزة وكمال القوة والغلبة، وله الحكمة البالغة في كل ما شرعه وخلقه، وقضى به وقدره، ومن ذلك خلقه لعيسى، وتقديره سبحانه أن تحمل به أمه بلا أب، وأن يكون آية للناس على كمال علم الله وقدرته وبالغ حكمته، كما خلق آدم من تراب، وقال له: كن فكان كما أراد الله، فلا حق لهما من العبادة بل هو حق لرب العالمين، وحده لا شريك له، لا إله إلا هو القوي الذي لا يغلبه ولا يعجزه شيء، الحكيم في تدبيره وفي خلقه وتشريعه. ففيها الرد على النصارى القائلين بأن عيسى ﷺ هو ابن الله؛ لأن الله هو الذي صوره في رحم أمه مريم، فكيف يكون ابنًا له أو

إلهاً معه؟ تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمي والإفتاء (س:٢) من الفتوىٰ رقم (١٥٤٢)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ▪ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* * *

* **سؤال:** المباهلة التي حصلت بين الرسول ﷺ والنصارىٰ في عهده والتي وردت في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١]، إلىٰ آخر الآية الكريمة، هل هي خاصة بالنبي ﷺ؟

وإن لم تكن كذلك، فهل هي خاصة مع النصارىٰ؟

الجواب: ليس المباهلة خاصة بالرسول ﷺ مع النصارىٰ، بل حكمها عام له ولأمته مع النصارىٰ وغيرهم؛ لأن الأصل في التشريع العموم، وإن كان الذي وقع منها في زمنه ﷺ في طلبه المباهلة من نصارىٰ نجران[1]، فهذه جزئيه تطبيقية لمعنىٰ الآية لا تدل علىٰ حصر الحكم فيها.

---

(١) قصة المباهلة مع نصارى نجران ذكرها الطبري في تفسيره، برقم (٧١٦١)، والبيهقي في التلائد (٥/ ٣٨٥).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية الإفتاء (س: ٤) من الفتوى رقم (٦٢٣٨)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* * *

* سؤال: هل الآيتان التاليتان: الثانية منها ناسخة للأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]. وقوله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦]؟

الجواب: اختلف المفسرون من الصحابة وغيرهم في الآية الأولى: هل هي محكمة أو منسوخة؟ فابن عباس ومن وافقه يقولون: إنها محكمة، ويفسرون ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ بأن يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقومون بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم.

وذهب سعيد بن جبير، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم، والسدي، وغيرهم إلى أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ والأظهر: أنه لا نسخ في الآية، وأن تقوى الله حق تقاته يراد بها ما دلت عليه الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية الإفتاء فتوى رقم (٢٥٣٧)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبدالله بن باز.

* * *

* **سؤال:** ما هو تفسير (الملائكة المسومين) الذين ورد ذكرهم في الآية (١٢٥) من سورة آل عمران؟

الجواب: تكلم ابن جرير وابن كثير وغيرهما من المفسرين على المراد بالملائكة المسومين، فذكر ابن جرير قراءتين في (مسومين): فتح الواو وكسرها، واختار قراءة الكسر، وهذا نص اختياره، قال: «أولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر (الواو)؛ لتظاهر الأخبار عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل التأويل منهم، ومن التابعين بعدهم بأن الملائكة هي التي سومت أنفسها، من غير إضافة تسويمها إلى الله ﷻ أو إلى غيره من خلقه...» انتهى المقصود.

وبعد أن ذكر ابن جرير جملة من الأقوال التي تبين العلامات التي صارت مميزة لهم قال: قال أبو جعفر: فهذه الأخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: «**تسوموا فإن الملائكة قد تسومت**»، وقول أبي أسيد: خرجت الملائكة في عمائم صفر طرحوها بين أكتافهم، وقول من قال منهم (مسومين): معلمين، ينبئ جميع ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك، وأن التسويم كان من الملائكة بأنفسها على نحو ما قلنا في ذلك فيما مضى. انتهى.

هذا، وننصحك بالرجوع إلىٰ كلام ابن جرير وابن كثير وغيرهما علىٰ الآيتين لمزيد من الفائدة. وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية الإفتاء (س:٤) من الفتوىٰ رقم (٦١٥٠)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- عضو: عبد الله بن قعود.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* * *

* **سؤال:** قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران:١٧٠]، ما تفسير هذه الآية الكريمة؟

الجواب: قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم، ولا يحزنون علىٰ ما تركوه وراءهم، نسأل الله الجنة». وقال محمد بن إسحاق: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾، أي: ويسرون بلحوق من خلفهم من إخوانهم علىٰ ما مضوا عليه من جهادهم؛ ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم. قال السدي: يؤتىٰ الشهيد بكتاب فيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغائبهم إذا قدم.

قال سعيد بن جبير: «لما دخلوا الجنة، ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء، قالوا: يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة، فإذا شهدوا القتال باشروها بأنفسهم حتىٰ يستشهدوا، فيصيبوا ما أصبنا من

الخير، فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم -أي: ربهم-: أني قد أنزلت علىٰ نبيكم وأخبرته بأمركم، وما أنتم فيه، فاستبشروا بذلك، فذلك قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ الآية»[(١)].

وقد ثبت في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة، وقنت رسول الله ﷺ يدعو علىٰ الذين قتلوهم ويلعنهم وقال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتىٰ رفع: (أن بلغو عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)[(٢)].

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوىٰ رقم (٧٩٢٩)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراء، باب أداء، برقم (٢٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، برقم (٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراء، باب أداء، برقم (٢٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، برقم (٩٤).

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

* سؤال: ما المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥] الآية؟

الجواب: قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥]، أمر الله سبحانه المؤمنين بالتقوىٰ وبطلب الوسيلة إليه، والقرب منه سبحانه بفعل الطاعات، وبجهاد الكفار لإعلاء كلمة الله؛ رجاء أن يفوزوا عند الله.

يقول الخازن في تفسيره رحمه الله: ومجامع التكليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما؛ أحد النوعين: ترك المنهيات، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، والثاني: التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالطاعات، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ والوسيلة فَعِيلة من وسل إليه؛ إذا تقرب منه وإليه، وقيل معنىٰ الوسيلة: المحبة، أي: تحببوا إلىٰ الله عز وجل، وبهذا تعلم المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، وهو التقرب إليه بما شرع من الطاعات؛ كالصلاة، والصوم، والصدقة، وأنواع الذكر وغير ذلك.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* سؤال: أرجو التكرم بشرح الآيات من الآية ١١٥إلى ١١٩ من سورة المائدة، وهل هذا السؤال عندما وجه إلى عيسى ﷺ من الله ﷻ كان أثناء حياته؟ وهل هو الذي أجابه في الحال؟ أم أن السؤال مؤجل إلى يوم القيامة؟ عليه أرجو التكرم بشرح هذه الآيات الكريمة والرد لي كتابيا.

الجواب:

أولًا: اختلف المفسرون في الوقت الذي يوجه فيه هذا السؤال إلى عيسى ﵇: فذهب ابن جرير ومن وافقه من المفسرين إلى أنه في الدنيا، وكان ذلك حين رفعه إلى السماء، واحتج له بمعنيين: أحدهما: أن الكلام بلفظ الماضي. والثاني: قوله ﴿تُعَذِّبْهُمْ﴾ و﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

القول الثاني: أن هذا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم قائلًا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من الله: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦]، وهذا القول قال به ابن كثير ومن وافقه من المفسرين.

وعلى التفسيرين يترتب معنى قوله سبحانه عن عيسى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:١١٧] الآية. فعلى القول بأن هذا السؤال وقع في الدنيا يكون المعنى: فلما قبضتني يعني: بالرفع إلى السماء، وعلى القول الثاني يكون المعنى: فلما توفيتني بالموت. ثانيًا: أما تفسير الآيات فقد ذكره ابن جرير وابن كثير وغيرهما من المفسرين، فيمكنكم الرجوع إلى ذلك.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٢٢٩٠)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

سُورَةُ الأَنْعَامِ

* **سؤال**: من هو أبو سيدنا إبراهيم عليه السلام؟ لأني سمعت بعض العلماء يقولون: إن آزر ليس أبا إبراهيم الذي أنجبه، بل هو أخو أبيه، وقد جاءت الحجة في القرآن والحديث الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**خرجت من كابر إلى كابر، ولم يمسسني من سفاح الجاهلية**» وبذلك قالوا: إن آزر ليس أبا إبراهيم؛ لأن إبراهيم من أجداد الرسول، فكيف يكون أبوه كافرًا؛ ولهذا قالوا: لم يكن آزر أبا إبراهيم، وأما أنا وبعض إخواني الطلاب سمعنا أيضًا من عالم آخر يقول: إن آزر هو أبو إبراهيم الذي أنجبه، وقال: إن في القرآن آية تدل على ذلك وهي واضحة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ [الأنعام:٧٤]؛ ولذلك أرجو منكم بيانا واضحًا لتطمئن قلوبنا؟

الجواب: إن الحق هو ما ذكره العالم الثاني، من أن آزر هو أبو إبراهيم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام:٧٤]، وهذا نص قطعي صريح لا يحتاج إلى اجتهاد، ورجَّح ذلك الإمام ابن جرير وابن كثير.

أما الحديث فذكر السيوطي في: (الجامع الصغير) عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، ومن لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء**» رواه الطبري في (الأوسط) وابن عدي، وقال الهيثمي: فيه محمد بن جعفر صحح له الحاكم،

وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات.

فالحديث يفيد طهارة سلسلة نسبه ﷺ فقط، ولم يتعرض للكفر والإسلام في آبائه، ولا يلزم من كفر آزر أن يكون نكاحه سفاحًا، وعلىٰ فرض صحة الحديث المذكور لا يلزم من كون آزر كافرًا أن يكون نكاحه سفاحًا.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوىٰ رقم (٦٦١٢)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* * *

* سؤال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٦]، ما معنىٰ هذه الآيات؟

الجواب: قال ابن جرير ﷺ في تفسيره: يقول جل ذكره: وحرمنا علىٰ اليهود كل ذي ظفر، وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع؛ كالإبل والنعام والإوز والبط، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ أخبر سبحانه أنه حرم علىٰ اليهود من البقر والغنم شحومهما إلا ما استثناه منهما مما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، فكل شحم سوىٰ ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم فإنه كان محرما عليهم.

أما قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ فإنه يعني: إلا شحوم الجنب، وما علق بالظهر، فإنها لم تحرم عليهم.

وقوله: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ جمع حاوية: وهي ما تحوىٰ من البطن، فاجتمع واستدار، وهي المباعر، وقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وإلا ما اختلط بعظم، فهو أيضا حلال.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١٠) من الفتوىٰ رقم (٦٢٩٣)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

***

* **سؤال:** ما تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]؟

الجواب: ذكر الله تعالىٰ أصول الإسلام في الآيتين اللتين قبل هذه الآية فقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ

فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٢]، ثم أمر سبحانه باتباع هذه الأصول في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ ونهى عن اتباع السبل، أي: الطرق المخالفة لسبيله فيضلون عن سواء السبيل.

وقد شرح رسول الله ﷺ هذه الآية، فيما رواه الإمام أحمد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**»، وخط عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السُّبل ليس منه سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1]، وقال الحاكم: صحيح ولم يخرجاه، رواه النسائي، والترمذي عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، وقال الترمذي حسن غريب.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوى (٤٩٣٣)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

(١) مسند أحمد بن حنبل (١/ ٤٦٥).

سُورَةُ التَّوْبَةِ

* **سؤال:** ورد في سورة التوبة قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [التوبة:٣] الآية، أطلب منكم تفسير الآية الكريمة، وبيان إعرابها عند النحويين أفتونا مأجورين.

الجواب: يقول تعالىٰ: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ أي: إعلام وإنذار إلىٰ الناس، ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ الذي هو: يوم النحر، وأفضل أيام المناسك، وأظهرها وأكبرها، وتؤدىٰ فيه كثير من مناسك الحج من رمي جمرة العقبة، والنحر والحلق وطواف الإفاضة، وما يتبع ذلك من ذكر وتكبير ونحو ذلك.

وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: أَعْلِم الناس وأنذرهم يا محمد، أن الله بريء من المشركين، وأن رسوله كذلك بريء منهم، فرسوله في الآية: مرفوع قطعًا ونقلًا عن القراءة بالعطف علىٰ الضمير المستتر في بريء، وتقديره (هو) يعود علىٰ الله سبحانه.

وهذا هو معنىٰ ما قاله ابن كثير[1] عن الآية وغيره من علماء التفسير.

---

(١) ابن كثير في تفسير (٤/ ٤٦)، ط. الشعب.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوى رقم (٧٩١٨)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ [هود:٧٨].

۞۞۞

سُورَةُ هُودٍ

* سؤال: هناك من يفسر قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ [هود:٧٨]، إن النبي لوط عليه السلام كان يقصد بذلك: تعالوا وافعلوا الفاحشة -أي الزنا- مع بناتي من صلبي، وأن ما ورد عن المفسرين من تفسير الآية: أن لوطًا عليه السلام أب لجميع المؤمنات، وأنه كان يقصد الزواج الشرعي الذي يخالف ظاهر سياق الآية، ويعلل ذلك بأن الزنا أقرب إلىٰ الفطرة من اللواط وأقل شذوذًا؛ وبالتالي فإنه درء لأعظم المفسدتين، وهو اللواط بارتكاب أقل الضررين، وهو الزنا حسب القاعدة المشهورة، فما قولكم في هذا التفسير والحكم علىٰ الشخص؟

الجواب: المراد بجملة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ ندب هؤلاء الكفار إلىٰ التزوج بالنساء، ووطئهن في الحلال؛ سواء كن بناته أم بنات قومه، فإن بنات قومه بناته حُكمًا؛ لكونه رسولًا إليهم، واجتناب اللواط والاعتداء علىٰ ضيف لوط بالفاحشة، وعلىٰ كل حال لم يرد الإذن لهم في الزنا ببناته، ولا ببنات أمته، فإنه من كبائر الذنوب في جميع شرائع الله تعالىٰ، فيتنزه النبي عن الإذن فيه، ومن قال: إنه أذن فيه؛ لأنه أخف من اللواط، فقد أخطا وغلط غلطًا عظيمًا.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوىٰ رقم (٦٢٤٦)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ يُوسُفَ

* **سؤال:** بعد الاطلاع على (تفسير القرآن) لابن كثير وأيضًا الجلالين، وجدت في تفسير سورة يوسف أن إخوة يوسف قد باعوه، ولكن توجد مجموعة كبيرة من المسلمين تعارض ذلك، وتفيد أن إخوة يوسف لم يبيعوه. أرجو الإفادة بالحقيقة، وأيضًا إفادتنا بالكتاب الذي يوضح هذه القصة على الحقيقة؛ لكي أشتريه، ولكم جزيل الشكر والاحترام، وجعلكم ذخرا للدين وللمسلمين.

الجواب: الصحيح في تفسير هذه الآية: أن السيارة الذين وجدوا يوسف عليه السلام في البئر هم الذين باعوه -كما يُفهم من السياق ومن ظاهر القصة، وهذا قول قتادة وغيره- لا إخوته، وقد ذكر هذا القول عدد من المفسرين منهم: القرطبي، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن جرير وغيرهم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٥٢٨٥)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ▪ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* * *

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف:٢٤].

* سؤال: عاد الإمام من مصر بعد زيارة لابنه وقال: بأنه جالس العلماء هناك ولاحظ بعض الأخطاء التي يقع فيها، ومثل لذلك في سورة يوسف قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف:٢٤]، أنه كان يفكر أن المقصود بذلك همت به وهم بها في عمل الجنس الذي يقع بين المرأة والرجل، ولكن فهم في مصر من العلماء أن المقصود غير العادة الجنسية، فهل هذا صحيح؟ علمًا بأن الآيات تدل علىٰ أن المقصود هو عمل الجنس لولا أن رأىٰ برهان ربه.

الجواب: الصحيح من أقوال العلماء في ذلك: أن الهم الذي وجد من يوسف -عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام- هو الميل الجنسي الطبيعي الذي يوجد مع أي إنسان عند وجود سببه، وقد صرفه الله ﷻ عنه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، ولا يجوز صرف الآية عن ظاهرها إلا بدليل، وليس هنا دليل فيما نعلم يوجب صرفها عن ظاهرها، والهم بالسيئة لا يضر المسلم إذا لم يفعل، بل يكتب له بذلك حسنة إذا ترك الفعل من أجل الله كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوىٰ رقم (٤٤٨٨)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ الْحِجْرِ

* سؤال: ما هي السبع المثاني في القرآن الكريم؟ [الحجر ٨٧]

الجواب: المراد بالسبع المثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧] سورة الفاتحة؛ لما رواه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه، قلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي قال: «**ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**» ثم قال: «**ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**» فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنَّك أعظم سورة من القرآن، قال: «**الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[1].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٣) من الفتوى رقم (٤٦٨٣)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ■ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(١) صحيح البخاري، فضائل القرآن (٤٧٢٠)، سنن النسائي، الافتتاح (٩١٣)، سنن أبو داود، الصلاة (١٤٥٨)، سنن ابن ماجه، الأدب (٣٧٨٥)، مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٢١١)، سنن الدارمي، الصلاة (١٤٩٢).

(٣) سورة الأنفال الآية ٢٤ (٢) ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾.

سُورَةُ النَّحْلِ

* **سؤال:** صار نقاش في تفسير الآية: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، فمنا من قال: هي عامة في أمور الدنيا والدين، ومنا من قال: هي خاصة في أمور الدين من كل فرائضه وسننه فقط. نرجو توضيح الجواب، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: يطلق الذكر على القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وفي قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، ويطلق على اللوح المحفوظ، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، فالزبور: الكتب السماوية. والذِكر: هو اللوح المحفوظ، فحكم الله تعالى قدرًا وشرعًا بأن الصالحين هم الذين يُنصرون في الدنيا والآخرة، فلهم السعادة في الدنيا، والفوز بسكنى جنات النعيم في الآخرة، ويطلق الذكر على الشرف والرفعة، وعلى ذكر الناس لربهم وذكر الله لهم،إلى غير ذلك من المعاني التي تبين لمن تتبع آيات القرآن ولغة العرب، ولكن المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل:٤٣-٤٤]، وفي قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء:٧-٩]، الكتب المنزلة على الرسل قبل نبينا محمد ﷺ.

وأهل الذكر: من نزلت تلك الكتب على رسلهم كاليهود والنصارى، والمأمور بسؤالهم: المشركون من أمة محمد ﷺ الذين أنكروا أن يكون محمد ﷺ رسولًا؛ لكونه من البشر، والرسل تكون من الملائكة؛ ليبين لهم أهل الذكر من اليهود والنصارى أن من سبقه من الرسل إنما كانوا من البشر لا الملائكة، غير أن هاتين الآيتين وإن نزلتا في أمر أولئك المشركين أن يسألوا أهل الكتب السابقة عن رسلهم ليتبين لهم أنهم من البشر، فهما دالتان على أمر كل من يجهل شيئًا ينفعه أن يسأل عنه أهل العلم به؛ ليستفيد ما يعود عليه بالخير، وينهض به في دينه ودنياه، فيدخل في ذلك شؤون الدين أولًا، وما يحتاجه من شؤون دنياه التي لها تعلق بالدين، فإن المكلف مأمور أن يعمل لدينه ودنياه.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٤٤٣٦)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

* **سؤال:** ما تفسير الآية في سورة الإسراء ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء:٥]، وهل هي خاصة بالمؤمنين أم عامة؟ وهل وقعت أم لم تقع؟

الجواب: أخبر الله تعالىٰ بني إسرائيل وبين لهم في الكتاب الذي أنزله إليهم أنهم سيفسدون في الأرض، ويتجبرون فيها، ويطغون علىٰ الناس مرتين،فإذ وقعت الإفسادة الأولىٰ منهم، سلَّط الله عليهم جندًا من خلقه شديدي البأس، ذوي قوة وعدة وجبروت فتغلبوا عليهم، وتملكوا بلادهم، وجاسوا خلال ديارهم، وساروا بين بيوتهم؛ عقوبة لهم علىٰ طغيانهم، وكان ذلك من الله تعالىٰ قضاءً مبرمًا عدلًا من الله وحكمة، حتىٰ إذا تاب بنو إسرائيل وأنابوا إلىٰ الله جعل سبحانه الكرَّة لهم علىٰ هؤلاء الجبارين، وأيدهم ونصرهم علىٰ عدوهم، واستردوا منهم بلادهم، وأمدهم بأموال وبنين، وجعلهم أكثر نفيرًا؛ جزاء لهم علىٰ توبتهم، وإحسانهم؛ رحمة من الله وفضلًا، فمن أحسن فله الإحسان ومن أساء فعليها، فإذا جاء وعد الآخرة فوقعت منهم الإفسادة الثانية طغيانًا وتجبرًا، سلط الله عليهم من يسومونهم سوء العذاب، ويدخلون مسجد بيت المقدس كما دخلوه أول مرة، ويدمرون ما شاء الله أن يدمروه بطغيانهم وإفسادهم في الأرض، وعدلًا منه تعالىٰ وحكمة،

قال الله تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، ثم أخبرهم سبحانه بأنهم إن عادوا إلىٰ الإفساد جازاهم من جنس صنيعهم، وزيادة في الفائدة ننصح لك بقراءة (تفسير بن كثير) رحمه الله للآيات المذكورة من سورة الإسراء.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوىٰ رقم (٧٣٨٠)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ■ عضو: عبد الله بن غديان
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* * *

* سؤال: في سورة الإسراء الآية رقم (٥٨) قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ هل يقصد الله بالآية الأقوام السابقين أم اللاحقين في وقتنا هذا، أو كل القرىٰ في كل وقت؟

الجواب: الآية تعم السابقين واللاحقين ممن يرتكبون ما يوجب الهلاك، فالمعنىٰ -والله أعلم- وإن من قرية ظالمة، يوضح ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء:١١] الآيات، وقوله تعالىٰ بعد خبره عن إهلاكه بعض من

سبق من الظالمين: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٣].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوى رقم (٦٣٩٥)]

- عضو: عبد الله بن غديان. ▪ عضو: عبد الله بن قعود.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ الْكَهْفِ

* سؤال: لاحظنا في كتاب (أوضح التفاسير) لابن الخطيب في سورة الكهف الآية (٢١) في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ تعليقًا علىٰ هذه الآية، نأمل إفادتنا عن صحة ما كتبه المؤلف في التعليق علىٰ قوله: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

الجواب: قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ حكىٰ ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون منهم، والثاني: أهل الشرك منهم، فالله أعلم. الظاهر أن الذين قالوا ذلك: هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ أن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما فعلوا[1]. ا.هـ

(١) صحيح البخاري، الجنائز (١٣٢٤)، صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١)، سنن النسائي، المساجد (٧٠٣)، ومسند أحمد بن حنبل (٦/ ١٢١)، سنن الدارمي، الصلاة (١٤٠٣).

والصواب أنهم مذمومون بذلك؛ لما ثبت عن النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)]؛ ولما في الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها، أن أم حبيبة، وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا للنبي ﷺ كنيسة وآثارها في الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»[(٢)]، وفي (صحيح مسلم)، عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[(٣)]، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ومما تقدم يتضح للسائل أن ماذكره ابن الخطيب في تفسيره (أوضح التفاسير) من تجويز اتخاذ المساجد على القبور خطأ عظيم، ومخالف لما دلت عليه الأحاديث المذكورة وغيرها، ولما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم بإحسان من تحريم اتخاذ المساجد على القبور والبناء عليها؛ لما في ذلك من التشبيه باليهود والنصارى ومن سلك

---

(١) صحيح البخاري، الجنائز (١٣٢٤)، صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١)، سنن النسائي، المساجد (٧٠٣)، ومسند أحمد بن حنبل (٦/ ١٢١)، سنن الدارمي، الصلاة (١٤٠٣).

(٢) صحيح البخاري، الصلاة (٤٢٥)، صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨)، سنن النسائي، المساجد (٧٠٤)، ومسند أحمد بن حنبل (٦/ ٥١).

(٣) صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢).

مسلكهم، ولأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك الأكبر.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوىٰ رقم (٤٩٣٢)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- عضو: عبد الله بن قعود.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

***

* **سؤال:** ما هو التفسير الصحيح لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]؟

الجواب: التفسير الصحيح لذلك هو: أن الله تعالىٰ ذكره؛ يقول لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء -الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا واتبعوا أهواءهم- يا أيها الناس، هذا الذي أتلوه عليكم هو الحق الذي أنزل عليَّ من ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدىٰ والضلال، يهدي من يشاء منكم للرشاد فيؤمن، ويضل من يشاء عن الهدىٰ فيكفر، ليس إليَّ من ذلك شيء ولست بطارد من أجل هواكم أحدًا ممن كان للحق متبعًا، وبالله وبما أنزل علي مؤمنًا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم، فقد أعد الله لكم علىٰ كفركم به نارًا أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به، وعملتم بطاعته فإن لكم ما وصف سبحانه لأهل طاعته،

وليس المراد من هذا إباحة الله تعالىٰ الكفر لمن شاء، والإيمان لمن شاء، وإنما هو تهديد ووعيد، وقد دل علىٰ هذا ما ذكره تعالىٰ بعد في ختام هذه الآية من توعدهم بالعذاب الشديد، وما جاء في الآيتين بعدهما تبشير المؤمنين بجنات النعيم.

ارجع إلىٰ (تفسير الإمام ابن جرير الطبري) رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه الآية والآيتين بعدها من سورة الكهف، أو (تفسير بن كثير) لها، وفيهما الكفاية.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٨) من الفتوىٰ رقم (٩٨٨٠)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

سُورَةُ مَرْيَمَ

* **سؤال**: ما تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]؟

الجواب: الورود في الآية الكريمة هو: المرور علىٰ الصراط المنصوب علىٰ متن جهنم؛ فقد دلت الأحاديث والآثار الكثيرة علىٰ أن الصراط ينصب علىٰ جهنم، ويمر الناس عليه علىٰ قدر أعمالهم.

ونوصيك بمراجعة تفسير ابن كثير في ذلك لمزيد الفائدة.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوىٰ رقم (٧٩١٨)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ▪ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* * *

* **سؤال**: ما معنىٰ الآية التالية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]؟

الجواب: هذه الآية فيها بيان من الله تعالىٰ بورود النار للبر والفاجر، ثم ينجي الله المؤمنين الذين اتقوا الشرك، ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد، فتمسه النار إلا تحلة القسم**»(١).

يعني بذلك: قوله سبحانه في سورة مريم: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٦٨-٧١].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٣) عشر من الفتوى رقم (٩٤١٤)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

---

(١) صحيح البخاري، العلم (١٠٢) صحيح مسلم، البر والصلة والآداب (٢٦٣٢)، سنن الترمذي، الجنائز (١٠٦٠) سنن النسائي، الجنائز (١٨٧٥) سنن ابن ماجه، ما جاء في الجنائز (١٦٠٣) مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٤٧٣) موطأ مالك، الجنائز (٥٥٤).

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

* **سؤال**: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون:٨٨].

الجواب: معناه: أن الله ﷻ يغيث من استغاث به ممن أراده بشر من المخلوقات، ويمنعه ممن أراده بسوء إذا شاء، ولا أحد من الخلق يستطيع أن يمنع أحدا أراده الله بسوء، فينجيه من بأس الله وعقابه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٣) من الفتوى رقم (٤٣٩٥)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ النُّورِ

* **سؤال**: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النور:١٣١]؟

الجواب: المراد بغير أولي الإربة: من يتبع أهل البيت لطعام ونحوه، ولا حاجة له في النساء؛ لكونه عنينًا، أو معتوهًا، أو أبله ضعيف العقل، لا ينتبه إلى ما يثير الشهوة من زينة أو جمال، أو رجلًا كبير السن أضعفه الكبر حتى صار لا هم له في النساء، ونحو ذلك ممن ذهبت حاجتهم إلى النساء لعلة ما من العلل، فأمن جانبهم، ولم تخش منهم الفتنة، فللنساء أن يبدين لهم الزينة ما يجوز لهن أن يبدينها لمحارمهن المذكورين في الآية، ومن في حكمهم من النساء والأطفال الصغار الذين لم يبلغوا مبلغا من الإدراك أن يعرفوا عورات النساء ويتأثروا بها.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوى رقم (٤٨٠٢)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ الْقِصَصِ

* **سؤال**: أستفسر عن معنى الآية الكريمة: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]، جزاكم الله كل الخير.

الجواب: معنى ذلك: أن موسى ﷺ لما ساعد المرأتين في سقي غنمهما وانصرفا إلى أهلهما، وتولى إلى الظل، وأحس بالحاجة، دعا ربه أن يقضي حاجته، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، أي: ارزقني ما يسد حاجتي من طعام أو غيره فيسر الله أمره، وجاءته إحدى المرأتين، وقالت له: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا... إلى آخره.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٨٥٥)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

* **سؤال**: قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١] ما معناها؟ أفيدونا أفادكم الله وعفا عنكم.

الجواب: هذا جزء من الآية التي ضرب الله سبحانه فيها مثلًا لاتخاذ المشركين آلهة دون الله يدعونها، ويتعلقون بها، ويرجونها عند الشدائد، ويتوسلون بها، فبين أن من يتعلق بهذه الآلهة الضعيفة كمن يتعلق ببيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، وأنها لا تغني عن مَنْ استعان بها شيئا.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوى رقم(٩١٣٦)]

■ عضو: عبد الله بن قعود. ■ عضو: عبد الله بن غديان.

■ نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.

■ الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

* **سؤال**: ما تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤٠] إلىٰ آخر الآية؟

الجواب: يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية وقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ نهي أن يقال بعد هذا: زيد بن محمد، أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه ﷺ لم يعش له ولد ذكر إلىٰ البلوغ، فإنه ﷺ وُلد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي الله عنها فماتوا صغارًا، ووُلد له ﷺ إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضًا رضيعًا، وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن أجمعين، فمات في حياته ﷺ ثلاث، وتأخرت فاطمة رضي الله عنها حتىٰ أصيبت به ﷺ، ثم ماتت بعده بستة أشهر، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ كقوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤] فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لانبي بعده، فلا رسول بالطريق الأولىٰ والأحرىٰ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر الأزدي: حدثنا زهير بن محمد، عن عبد

الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه ﷺ، عن النبي ﷺ: قال: «**مَثَلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويَعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة؛ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة**»[(١)] رواه الترمذي عن بندار عن أبي عامر العقدي به وقال: حسن صحيح[(٢)] وذكر بعد ذلك عدة أحاديث في الموضوع. وبإمكانك أيضًا مراجعة (تفسير ابن جرير والقرطبي) ونحوهما إذا رغبت في التوسع.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٧٥١٧)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

---

(١) سنن الترمذي: المناقب (٣٦١٣)، مسند أحمد بن حنبل (٥/ ١٣٧).

(٢) أحمد (٥/ ١١٧)، (٣/ ٣٦١)، البخاري فتح الباري، برقم (٣٥٣٤، ٣٥٣٥)، والترمذي برقم (٣٦١٧).

سُورَةُ يس

* **سؤال**: قال تعالىٰ: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس:٧٠]، أرجو تفسير هذه الآية تفسيرا واضحًا.

الجواب: قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس:٦٩-٧٠]، ومعنىٰ الآيتين: لما اتهم الكفار النبي ﷺ بأنه شاعر وقالوا: إن القرآن شعر. ردَّ الله وقال لهم بأنه ما علَّم نبيه الشعر، ولا أوحاه إليه، وبين سبحانه أنه لا ينبغي له أن يكون شاعرًا ولا يليق به ذلك؛ لأنه الصادق الأمين وإمام المهتدين، جاء أمته بالحق والهدىٰ والنور، أما الشعراء فهم في كل واد يهيمون، وأتباعهم هم الغاوون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فشتان بينه وبين الشعراء في الأخلاق والطباع، ثم بين تعالىٰ أن ما أوحاه إليه ليس شعرًا، بل لا نسب بينه وبين الشعر في أسلوبه ونظمه ولا في معناه، صدقًا وهداية وموعظة وذكرًا لمن ألقىٰ إليه سمعه، وفتح له قلبه، فكان له نورًا ورشادًا وفوزًا وسعادة، فقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ الآية، أي: لينذر الرسول ﷺ بالقرآن كل من كان حيًا من الإنس والجن، ويخوفه عواقب الإعراض عن الإيمان به، ويحق القول، أي: كلمة العذاب علىٰ من كفر بالله وبرسوله، وما جاء في القرآن الكريم.

وفي هاتين الآيتين رد على الكفار في اتهامهم النبي ﷺ بأنه شاعر، وزعمهم أن القرآن شعر، وبيان لعلو قدره ﷺ وقدر القرآن، وبيان لعموم رسالته ﷺ الثقلين.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

سُورَةُ ص

* **سؤال**: قرأت (تفسير الجلالين) عن الآية (٢٠) وقصتها تنتهي من سورة ص بآية (٢٥) التي تروي قصة سيدنا داود إذ كان في المحراب... إلخ وما جاء في تفسير الجلالين: أن سيدنا داود كان له تسع وتسعون امرأة، فأحب زوجة صاحبه فتزوجها، وأعتقد أنها دسيسة إسرائيلية، فبالتأكيد ليس هذا المقصود من تفسير الآية، إذ فيها امتحان لسيدنا داود، وابتلاء لمدىٰ دقته في حكمه، فسمع هو لشخص دون الآخر، وهذا خطؤه ﷺ، أرجو إفادتي بشكل واضح عن هذه الآية، وإذا كان ما يقوله (تفسير الجلالين) خطأ، فلماذا السكوت عليه؟! جزاكم الله عنا كل خير.

الجواب: ما يذكره كثير من المفسرين عن قصة داود ﷺ في عشق امرأة قائد الجند غير صحيحة، وقد أشار الشيخ الشنقيطي رحمه الله في (أضواء البيان) إلىٰ أن ما يُذكر عن نبي الله داود -عليه وعلىٰ نبينا السلام- مما لا يليق بمنصبه، كله راجع إلىٰ الإسرائيليات، فلا ثقة به ولا معول عليه، وما جاء مرفوعًا عنه ﷺ في ذلك لا يصح شيء منه، وننصحك بالرجوع إلىٰ الكتاب المذكور: (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن) ففيه تفصيل عن الموضوع.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوىٰ رقم (٨٢٥٧)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ▪ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

* **سؤال**: يقول ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ سورة السجدة، هذه الآية ورد في القرآن كثير آيات مثلها، ثم قال تبارك وتعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ سورة فصلت، فما علاقة الآية الأولىٰ والثانية في خلق السموات والأرض في ستة أيام وثمانية أيام؟

الجواب: ليس في الآيات المذكورات في سورة فصلت ثمانية أيام، وإنما الذي فيها ستة أيام فتأمل ذلك يتضح لك الأمر إن شاء الله، وراجع تفسير ابن كثير في الموضوع يزل عنك الإشكال بإذن الله.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوىٰ (رقم ٧٩٩٤)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ الدُّخَانِ

* قال الله تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:١-٣]، قرأت في تفسير (تفسير الجلالين) لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ بأنها هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلىٰ السماء الدنيا، وسألت كثيرًا من المشايخ وأفادوني بأن ليلة القدر في رمضان، فأرجو توضيح تفسير هذه الآية، حفظكم الله.

الجواب: أَقسم الله جل شأنه في كتابه العزيز الذي هو آيته التي آتاها محمدًا ﷺ لتكون معجزة وحجة له علىٰ رسالته أنه أنزل عليه القرآن الكريم في ليلة مباركة كثيرة الخير وهي ليلة القدر كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:١-٣]، إلىٰ آخر السورة، وهي في شهر رمضان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان فقد أخطأ وأبعد النجع؛ لمخالفته لنصوص القرآن والأحاديث النبوية الثابتة التي بينتها، وعينت شهرها وسمتها

باسمها، وليس مع من قال إنها ليلة النصف من شعبان دليل من الكتاب أو السنة الثابتة يعتمد عليه في تفسير الليلة المباركة بذلك، وليست المسألة عقلية حتى يقال فيها بالرأي أو يعتمد فيها على الأدلة العقلية، وإنما هي سمعية يعتمد فيه على النقول من الكتاب والسنة الثابتة، ثم بين سبحانه سنته العادلة، ورحمته الشاملة في عباده بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، أي: مرسلين رسلًا يبلغون عن الله شريعته وهدايته لهم، ويخوفونهم عاقبة مخالفة أوامره ونواهيه؛ إقامة لعدله، وإسقاطًا لمعاذير خلقه، ورحمة منه بعباده، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وكما قال: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام:١٣١]، وقال: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٢١٢٢)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

***

* **سؤال:** أرجو إخباري عن شجرة الزقوم؟

الجواب: ذكر الله شجرة الزقوم في سورة الدخان بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:٤٤]، وفي سورة الإسراء بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء:٦٠]، وفي سورة الصافات يقول سبحانه: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٢-٦٥]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره علىٰ آية الإسراء: (وأما الشجرة الملعونة): «فهي شجرة الزقوم، كما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأىٰ[1] الجنة والنار، ورأىٰ شجرة الزقوم، فكذبوا بذلك، حتىٰ قال أبو جهل عليه لعائن الله: هاتوا لنا تمرًا وزبدًا، وجعل يأكل من هذا ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا، حكىٰ ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك وغير واحد» ا.هـ.

وأما العلم بعين الشجرة، فلا يترتب عليه أمر عملي، بل الواجب التصديق والتسليم بما أخبر الله به عنها في القرآن، وما ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٥) من الفتوىٰ رقم (١٧٧٧)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

---

(١) أحمد (١/ ٣٧٤).

سُورَةُ النَّجْمِ

* **سؤال**: جاء في (مختصر سيرة الرسول) ﷺ هذا النص: «ومما وقع أيضًا قصته ﷺ معهم لما قرأ سورة النجم بحضرتهم، فلما وصل إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، ألقىٰ الشيطان في تلاوته: تالك الغرانيق العلىٰ وإن شفاعتهن لترتجىٰ، وظنوا أن النبي ﷺ قاله، ففرحوا فرحًا شديدًا»، فهل هذه الرواية صحيحة؟ وعلىٰ فرض صحتها، هل للشيطان سلطة في أن يلقي في تلاوته تلك الكلمات التي مر ذكرها؟ أرجو إفادتي مع جزيل الشكر.

الجواب: قصة الغرانيق ذكرها كثير من علماء التفسير عند تفسيرهم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]، الآيات من سورة الحج، وعند تفسيرهم قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، الآيات من سورة النجم، ورووها من طرق عدة بألفاظ مختلفة، غير أنها كلها رويت من طرق مرسلة، ولم ترد مسندة من طرق صحيحة، كما قال ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره؛ فإنه لما ساق هذه القصة بطرقها قال بعدها: «وكلها مرسلات ومنقطعات» ا.هـ[(١)].

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤٠)، ط. الشعب.

وقال ابن خزيمة: «إن هذه قصة من وضع الزنادقة» ا.هـ. واستنكرها أيضًا أبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وآخرون سندًا ومتنًا، أما السند فبما تقدم، وأما المتن فبما ذكره ابن العربي من أن الله تعالى إذا أرسل الملك إلى رسوله، خلق فيه العلم بأن ما يوحى إليه هو الملك، فلا يمكن أن يلقي الشيطان على لسانه، يلتبس عليه فيتلوه على أنه قرآن[1]، وللإجماع على عصمة الرسول ﷺ من الشرك فيمتنع أن يتكلم بكلمة: «**تلك الغرانيق العلى وإن شفعاتهن لترتجى**» سهوًا أو ظنًا منه أنها قرآن؛ ولأنه يستحيل أن يؤثر الرسول ﷺ صلة قومه؛ ورضاهم على صلة ربه ورضاه، فيتمنى ألا ينزل الله عليه ما يغضب قومه حرصًا منه على رضاهم، ثم ما استدل به على ثبوت القصة من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ [الإسراء:٧٣]، لا يدل على صحتها، بل يدل على براءة النبي ﷺ مما نسب إليه من تلاوة هذه الكلمات الشركية؛ لأنها تفيد النفي لا الإثبات، ولأنها تفيد أن الشيطان ألقى في أمنيته، أي: تلاوته، وليس فيها أن الشيطان ألقى على لسانه تلك الكلمات الشركية، أو ألقاها في نفسه فتلاها أو قرأها، أو تكلم بها سهوًا أو غلطًا أو قصدًا، حتى جاء جبريل وأنكر عليه وأصلح له ما أخطأ فيه، وأسف ﷺ أسفا شديدًا على ما فرط منه، ولم يثبت أن الآية نزلت تسلية للرسول ﷺ فيما أصيب به مما ذكر في هذه القصة؛ حتى يكون مساعدًا على تأويلها بما جاء فيها من المنكرات.

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ١٣٠٠).

وقد وافق جمهور أهل السنة ابن العربي فيما ذكره، وذكروا أن معنى الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا ما أنزلنا عليه من الوحي أو تكلم به ألقى شيطان الإنس أو الجن أثناء تلاوته أو خلال حديثه وكلامه قولًا يتكلم به الشيطان ويسمعه الحاضرون، أو يوسوس الشيطان وساوس في نفوس الكفار ومرضى القلوب من المنافقين، فيحسبها أولئك من الوحي وليست منه، فيبطل الله ما ألقى الشيطان من القول أو الشبه والوسوسة ويزيله، ويحق الحق بكلماته ولكمال علمه، وبالغ حكمته، وهذه سنة الله مع رسله وأنبيائه وأعدائه وأعدائهم؛ ليتم معنى الابتلاء والامتحان، ويميز الخبيث من الطيب، وليهلك من هلك عن بينة من أهل العلم واليقين الذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان، وهدوا إلى صراط مستقيم.

ومما تقدم يتبين أن روايات قصة الغرانيق ليست صحيحة، وأنه ليس للشيطان سلطان أن يلقي على لسان النبي ﷺ شيئًا من الباطل فيتلوه أو يتكلم به، وربما ألقى الشيطان قولًا أثناء تلاوة النبي ﷺ يتكلم به الشيطان، ويسمعه الحاضرون، أو يوسوس الشيطان وساوس يلقيها في نفوس الكفار ومرضى القلوب من المنافقين، فيحسبها أولئك من الوحي وليست منه، فيبطل الله ذلك القول الشيطاني، ويزيل الشبه، ويحكم آياته، ويتبين أيضًا أن ما قاله الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله وهو قول جمهور العلماء من أن الشيطان ألقى قولًا أو وسوسةً أثناء التلاوة، ولكنها ليست على لسان النبي ﷺ ولا في نفسه ولا في نفس من صدق إيمانه به، إنما ذلكم إلقاء من الشيطان أثناء التلاوة في أسماع الكفار، أو حديث نفس وقع في أسماعهم وقلوبهم، فحسبوه

قرآنًا متلوا وتأبى حكمة الله إلا أن يزيل الباطل ويحكم آياته؛ إحقاقًا للحق، ورحمة بالعباد والله عليم حكيم، وقد أجمع علماء الإسلام كلهم على عصمة الرسل جميعًا في كل ما يبلغونه عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (١٥٤٦)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

* **سؤال:** ما تفسير قوله تعالىٰ في سورة الرحمن: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧]، وقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء:٢٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠]؟

الجواب: المراد بالمشرقين والمغربين في الآية الأولىٰ: مطلع الشمس جنوب خط الاستواء وشماله، ومغربها جنوبه وشماله، والمراد بالمشرق والمغرب في الآية الثانية: جهة الشرق وجهة الغرب اللتان تنتقل الشمس فيهما طلوعًا وغروبًا علىٰ مدىٰ الفصول، والمراد بالمشارق والمغارب في الآية الثالثة مطالع الشمس ومغاربها كل يوم شرقًا وغربًا، وبذلك تجتمع النصوص.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٨) من الفتوىٰ رقم (٦٨٩٨)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ الْحَدِيدِ

* سؤال: قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٧].

ما المراد بالبدع في الآية الكريمة وحكم رعايتها؟ ومن كتب على نفسه أن يستغفر الله وأن يحمد الله ويؤدي الصلاة، كل ذلك مائة مرة صباحًا ومساءً، ولم يلتزم بهذا بعد ذلك؟

الجواب: المراد بالبدعة في هذه الآية: الرهبانية، وهي الانقطاع لعبادة الله واعتزال الناس؛ ابتغاء التقرب إلى الله تعالى وطلبها لرضاه سبحانه بالمبالغة في طاعته، سواء كان هذا الانقطاع بلزوم الجبال أو الكنائس أو البيع والصوامع أو غير ذلك، وهذه البدعة لم يكتبها الله عليهم ولم يشرعها لهم، بل هم الذين أحدثوها من عند أنفسهم؛ رجاء رضوان الله في زعمهم، شأنهم في ذلك شأن من سلك سبيلهم من مبتدعة هذه الأمة، فإنهم ابتدعوا في الإسلام بدعًا لم يأذن بها الله؛ كاجتماعهم لذكر الله صفوفًا، أو حلقات مع الترنح والتمايل يمنة ويسرة، ومن أعلى لأسفل بأصوات مرتفعة وصياح وعويل ممن يسمونهم (المجاذيب)، وكبدعة الاحتفال بمولد النبي ﷺ وموالد الصالحين؛ رجاء الثواب من الله تعالى بتعظيم الأنبياء والصالحين بهذه

الاحتفالات، إلى أمثال ذلك من الاحتفالات التي لم يشرعها لعباده.

ثانيًا: هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية لم يراعوا هذه الرهبانية، أي: أنهم قصروا على مدى الأيام في العمل بما ابتدعوا؛ تقربا إلى الله في زعمهم، فأنكر الله عليهم ابتداعهم في دين الله ما لم يأذن به، وعدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله ﷻ، ولو كانوا تركوها إنكارًا لها ورجوعًا إلى الحق لأثيبوا على تركها.

ثالثًا: من كتب على نفسه عبادة، لكنها غير مفروضة، وأداها على الكيفية التي شرعت عليها عددًا ووقتًا؛ مطلقة أو مقيدة فقد أحسن، وليس هذا ببدعة في الإسلام؛ لأنه مشروع بأصله، ومثاله: التزام عبد الله بن عمرو بن العاص التهجد، وصيام يوم وإفطار يوم، ومداومته على ذلك رضي الله عنه فضعف لذلك، ولما أشير عليه بالتخفيف عن نفسه قال: «ما كنت لأترك شيئًا فعلته زمن النبي»[(١)] ﷺ. فمن وفَّى بما التزم به مما شرع الله فقد أحسن، ومن ترك شيئا من ذلك لضعف، فقد أخذ بالرخصة ولا حرج عليه، ومن تركه تهاونًا وكسلًا، فقد ارتكب خلاف الأولى.

أما من كتب على نفسه عملًا لم يشرعه الله أصلًا؛ كالاحتفال بعيد الميلاد، وبأول العام الهجري، وبالموالد ونحو ذلك، أو التزم ما شرع الله أصله، لكن فعله على غير الكيفية التي شرعه الله عليها، فالتزامه بدعه منكرة؛ لمخالفته

---

(١) أحمد (٤/ ٢٠٠)، والبخاري [فتح الباري] برقم (١٩٧٥)، ومسلم برقم (١١٥٩)، وأبو داود برقم (٢٤٢٧).

الكيفية التي شرع الله عليها العبادة، مثاله: ما تقدم من الذكر جماعة بصوت واحد مرتفع... إلى آخره، فإن الله لم يشرعه بهذه الكيفية، ولا ذكره رسول الله ﷺ بهذه الكيفية، ولا عملها أصحابه رضي الله عنهم ولا عملوا بها، ولو كان فيها خير لشرعها الله، ولعمل بها رسوله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولو فعلوا لنقل إلينا نقلًا ثابتًا، فدل ذلك على أنه من البدع المحدثة التي يجب اجتنابها.

ومن هذا يتبين أنه ليس للإنسان أن يكتب على نفسه عددًا محدودا في كل من الاستغفار وحمد الله، وليس له أن يخص الذكر بذلك بزمن معين، بل يحرص على الذكر بذلك وبغيره مما ثبت الذكر به بما يتيسر من العدد في أي وقت؛ لأن النبي ﷺ لم يقيد ذلك بمائة مرة، ولا بخصوص الصباح والمساء، ومن رجع عن هذا الالتزام؛ اتباعا للنبي ﷺ في التقرب إلى الله بما ذكر من غير تحديد عدد أو زمان مأجور. أما ما ورد من الأذكار محددًا بعدد أو وقت أو كيفية فيؤدى كما ورد.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٥٩٦١)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ■ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

* **سؤال**: فسروا لنا هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢]، إلىٰ آخر السورة، فبعض الناس يكفر بعضهم بعضًا حتىٰ آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم، ولو كانوا يصلون، ويكفرون غيرهم، فبينوا لنا معنىٰ هذه الآية.

الجواب: يخبر الله جل شأنه رسوله محمدًا ﷺ بأنه لا يجد ممن آمن بالله واليوم الآخر، وأخلصوا دينهم لله، وأسلموا وجوههم له فأطاعوه فيما أمر، واجتنبوا ما نهىٰ عنه وزجر، قومًا يحبون من شاق الله ورسوله، وعدلوا عما جاء به ﷺ من عند الله من الهدىٰ والنور مهما طال الزمن، وقلبت فيهم البصر، وأمعنت النظر، فسوف لا تجد من المخلصين الصادقين في إيمانهم من يحب قلبه هؤلاء الكفار، ولو كانوا أقرب الناس إليه نسبًا من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم الأقربين، وفي هذا ثناء جميل من الله سبحانه علىٰ أولئك الأخيار الذين صدقوا الله ورسوله، واتبعوا ما جاءهم من الهدىٰ والنور، وفيه ترغيب لهم في الثبات علىٰ ذلك والازدياد منه، وأمر للناس أن يسيروا سيرتهم، وينهجوا نهجهم في الإخلاص وصدق الإيمان، وتحذيرهم من صنيع المنافقين الذين تولوا قومًا غضب الله عليهم من اليهود، ويحلفون لرسول الله ﷺ أيمانا كاذبة ليرضوه ويقول: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]،

فتضمنت هذه الجملة الثناء على المؤمنين الصادقين بالبراءة من الكافرين، والتحذير من حبهم ومودتهم، والنهي عن ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران:٢٨].

وكما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٣-٢٤]، وكما في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤]، إلى غير هذا من الآيات من نصوص الكتاب والسنة التي نهت عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وغيرهم من الكفار، وحذرت من تولي من غضب الله عليهم، ومن اتخذوا دين الله هزوا من الذين أوتوا الكتاب وسائر الكفار.

وهذا بيان من الله تعالى لحكم أعمال القلوب من محبة ووداد وبراء من الكافرين، وبغضهم وبغض ما ارتكبوه من غي وضلال، أما المعاملات

الدنيوية من بيع وسائر تبادل المنافع فتابع للسياسة الشرعية والنواحي الاقتصادية، فمتى كان بيننا وبينهم موادعة جاز أن نتبادل معهم المنافع؛ من بيع، وإجارة، وكراء، وقبول الهدايا، والهبات، والمكافأة عليها بالمعروف والإحسان، وإقامة للعدل، ومراعاة لمكارم الأخلاق، على أن لا يخالف ذلك أصلًا شرعيًا، ولا يخرج عن سنن المعاملات التي أحلها الإسلام، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

ومتى كان بيننا وبينهم حرب، أو اعتدوا علينا، فلا يجوز أن نتولاهم في القلوب والمعاملات الدنيوية، بل يحرم ذلك كما حرم توليهم بالمحبة والإخاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٩].

وقد بين النبي ﷺ ذلك بيانًا عمليًا في السلم والحرب مع اليهود بالمدينة وخيبر، ومع النصارى وغيرهم من الكفار، ثم بين الله تعالى الذي كان منه بغضهم للكافرين فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

إن هؤلاء الذين صدقوا الله ورسوله هم الذين قرر الله في قلوبهم الإيمان، وثبته في نفوسهم، وأيدهم ببرهان منه ونور وهدى، فوالوا أولياءه، وعادوا أعداءه، وساروا على الشريعة التي رضيها الله تعالى لهم دينا، ثم بين جزاءهم

بقوله: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المجادلة:٢٢]، أي: أنه يتفضل عليهم بمنه وكرمه، فيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها من النعيم المقيم مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فينعم بذلك النعيم أولئك المخلصون الأطهار، مقيمين فيها أبد الآباد، لا يفنى نعيمها ولا يزول، وما هم منها بمخرجين، رضي الله عنهم بما حققوه من إيمان صادق، وعمل صالح، ورضوا عن قضائه وتشريعه وجزائه، وأثنوا عليه بما هو أهله، ثم ختم السورة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

فأخبر تعالى بأنهم جنده الذين تولوه بالطاعة، فتولاهم بنصره وفضله وإحسانه في الدنيا والآخرة، وكانوا هم الفائزين دون من خادع الله ورسوله وتولى الكافرين، ومن ذلك يتبين ما يأتي:

أولًا: من أحب الكفار ووادهم دينًا، فهو كافر كفرًا يُخرج من ملة الإسلام.

ثانيًا: من أبغضهم بقلبه وتبادل معهم المنافع من بيع وشراء وإجارة وكراء في حدود ما شرع الله فلا حرج عليه.

ثالثًا: من أبغضهم في الله، ولكن عاشرهم وعاش بين أظهرهم لمصلحة دنيوية وآثر ذلك على الحياة مع المسلمين في ديارهم فهو آثم؛ لما في ذلك من تكثير سوادهم والتعاون معهم دون المسلمين، ولأنه عرَّض نفسه للفتن، وحرمها من التعاون مع المسلمين على أداء شعائر الإسلام وحضور مشاهده،

والتناصح والتشاور مع المسلمين فيما يعود على الأمة الإسلامية بالقوة والنهوض إلى ما تسعد به في الدنيا والآخرة؛ إلا إذا كان عالـمًا يأمن على نفسه الفتنة، ويرجو من إقامته بينهم أن ينفع الله به في الدعوة إلى الإسلام ونشره بينهم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (١٨٥١)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

سُورَةُ نُوحٍ

سؤال: هل القمر بين السموات أو تحت السماء الدنيا؟ وإذا كان بينهما، فكيف يتأتى الصعود على وجه القمر مع الدليل؟

* **الجواب**: يحتمل أن يكون القمر بين السموات، وأن يكون تحت السماء الدنيا؛ لعدم وجود دليل يعين أحد الاحتمالين، وليس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦]، دليل يعين كونه بينهن؛ لاحتمال أن يكون الجار والمجرور ﴿فِيهِنَّ﴾ متعلقًا بكلمة ﴿نُورًا﴾، والمعنى: وجعل القمر نورًا فيهنَّ، فيكون نوره فيهنَّ كما أنه في الأرض، ولا يلتزم من ذلك كونه بينهن، وإذا لم يتعين كونه بينهن أمكن أن يصعد إليه بالمصاعد الحديثة.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوى رقم (٥٧٧١)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

* سؤال: ما تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات:١-٣]، وما معنىٰ قوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أفتوني جزاكم الله خيرًا.

الجواب: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾، أي: والخيل المسرعات في سيرها إسراعًا شديدًا نشأ عنه الضبح، وهو صوت نفسها الذي يتردد في صدرها من شدة سيرها.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ فالمخرجات نارًا بقدحهن الأحجار بحوافرهن حين شدة السير.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ فالمغيرات علىٰ الأعداء وقت الصباح؛ جهادًا في سبيل الله ونصرة دينه.

وجملة المعنىٰ: أن الله تعالىٰ يقسم بالخيل المسرعات في سيرها سرعة يسمع معها صوت نفسها المتردد في صدرها، ويخرج من قدحها الأحجار بحوافرها نارًا تراها العيون، وتغير علىٰ الأعداء وقت الصباح جهادًا في سبيل الله، وجواب القسم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾.

ونوصيك في مثل هذا: أن تقرأ بعض كتب التفسير المشهورة مثل: ابن كثير والبغوي والجلالين.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٨٢٤٧)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

الفصل الثالث

مَسَـــائِلُ وَأَحْــكَامٌ مُتَعلِّــقَةٌ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ

فَضْلُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

* سؤال: سمعت حديثا عن النبي ﷺ يقول لغلام في المسجد: «**لأعلمك كلمة ينفعك الله بها**»، فلما صلى الرسول ﷺ قال له الغلام: ألا قلت: تعلمني كلمة بعد خروجك من المسجد، فقال له النبي ﷺ: «**نعم ألا وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني**»[١] فهل هذا صحيح؟

الجواب: الحديث صحيح ونصه: عن أبي سعيد بن المعلى ﷺ قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت ثم أتيته، فقال: «**ما منعك أن تأتي؟**»، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: «**ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾** ثم قال: «**لأعلمنَّك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج**»، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فقلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟! قال: «**هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[٢].[٣] رواه

---

(١) صحيح البخاري، تفسير القرآن (٤٤٢٦)، سنن النسائي، الافتتاح (٩١٣)، سنن أبي داود، الصلاة (١٤٥٨)، سنن ابن ماجه، الأدب (٣٧٨٥)، مسند أحمد ابن حنبل (٤/ ٢١١)، سنن الدارمي، الصلاة (١٤٩٢).

(٢) التخريج السابق.

(٣) سورة الفاتحة الآية ٢ (٣) ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

البخاري وغيره.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٣) من الفتوى رقم (٥٤٣٣)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ

* سؤال: أرجو من سماحتكم أن تفسروا بعض معاني الآيات مثل: (حمٓ - الٓمٓ - الٓمٓصٓ - حمٓ - عٓسٓقٓ) وهل تقرأ هذه عين؛ لأن المدرسين يقولون هكذا؟ وهل هي معجزة يريد الله تعجيز فصحاء قريش، أم لا يعلم معناها إلا الله؟

الجواب: فيه آراء للعلماء، والراجح: أنها ذكرت هذه الحروف -والله أعلم- في أول السور التي ذكرت فيها؛ بيانًا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركَّب من هذه الحرف المقطعة التي يتخاطبون بها، وهذا هو الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وارتضاه أبو الحجاج المزي رحمه الله.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س: ١) من الفتوى رقم (٦٣٩٥)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

سَبَبُ نُزُولِ سُورَةِ التَّوْبَةِ

* **سؤال:** على من أنزل الله سورة التوبة؟ وما أسباب نزولها؟

الجواب: لم تنزل سورة (براءة) جملة واحدة، بل نزلت على فترات لعدة أسباب، فنزل أولها حينما عاد رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، وهَمَّ بالحج، وذكر له أن المشركين يحضرون عامهم هذا على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عُراة، وكره مخالطتهم، وبعث أبا بكر ﷺ أميرًا على الحج تلك السنة؛ ليقيم للناس مناسكهم، ويُعْلِم المشركين ألا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي فيهم: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة:١]، فلم توجه إلى مكة أتبعه بعلي ابن أبي طالب؛ ليكون مبلغًا عن رسول الله ﷺ لكونه عصبة له.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

نَزَلَتْ سُورَةُ التَّوْبَةِ بِالسَّيْفِ

* **سؤال:** لماذا لم تبدأ سورة التوبة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)؟

الجواب: اختلف في سبب ذلك؛ فروى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: «ما حملكم إلى أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني، وإلى (براءة) وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطر: (بسم الله الرحمن الرحيم)، ووضعتموها في السبع الطوال فما حملكم على ذلك؟ قال عثمان رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: **«ضعوا هذا في السورة الذي يذكر فيه كذا وكذا»** وينزل عليه الآيات فيقول: **«ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»**، وكانت (الأنفال) من أوائل ما أنزل بالمدينة، و(براءة) من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ، ولم يبين لنا أنها منها، وظننت أنها منها، فمِنْ ثَمَّ قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»[(١)] وخرجه أبو عيسى الترمذي وقال: هذا حديث حسن[(٢)].

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم لم

(١) سنن الترمذي، تفسير القرآن (٣٠٨٦)، سنن أبو داود، الصلاة (٧٨٦)، مسند أحمد (١/ ٥٧).

(٢) انظر الفتوى (٣٨١٠)، (ص: ٢٢٢).

يكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ قال: «لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها آمان»[١]. ورُوِي معناه عن مبرد، قال: ولذلك لم يجمع بينهما، فإن (بسم الله الرحمن الرحيم) رحمة، و(براءة) نزلت سخطًا ومثله عن سفيان، قال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب في صدر هذه السورة (بسم الله الرحمن الرحيم)؛ لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف، ولا أمان للمنافقين[٢].

والصحيح أن التسمية لم تكتب؛ لأن جبريل ﷺ ما نزل بها في هذه السورة. قاله القشيري[٣]، انتهى من (تفسير القرطبي) لأول سورة (براءة) بتصرف، فارجع إليه، وإلى (تفسير ابن كثير) لسورة براءة إن أردت التوسع.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوى رقم (٤٠٠٩)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

(١) الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٣٠)، وسكت عنه الذهبي، وعزاه صاحب (الدر) كما في (٣/ ٢٠٩) إلى أبي الشيخ وابن مرداويه.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره كما في تفسير ابن عيينه (٢٥٧)، وذكره القرطبي في التفسير (٨/ ٦٣).

(٣) كلام القرطبي عن سبب تسمية السورة في تفسيره (٨/ ٦١).

لَمْ تَبْدَأْ سُورَةُ التَّوْبَةِ بِالْبَسْمَلَةِ

* سؤال: سور القرآن الكريم تبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في كل منها، ولماذا لم تبدأ سورة التوبة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ وما سبب نزول تلك السورة؟

الجواب: سبب عدم ذكر البسملة في أول سورة التوبة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكتبوها في أولها في المصحف الإمام، واقتدوا بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد أخرج الترمذي في السنن بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني، وإلى (براءة) وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر: (بسم الله الرحمن الرحيم)، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان، وهو تنزل عليه السور، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: «**ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**» وإذا نزلت عليه الآية فيقول: «**ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**» من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: (بسم الله

الرحمن الرحيم)، فوضعتها في السبع الطوال»[١].

وأما فيما نزلت سورة براءة؟ فقد ذكر ابن كثير في تفسيره: أن أول هذه السورة نزل على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم، وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرًا للحج تلك السنة؛ ليقيم للناس مناسكهم، ويعلم المشركين ألا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة:١]، كما أنَّها نزلت في شأن المنافقين؛ فضيحة لهم، وكشفا لأسرارهم[٢].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٤) من الفتوى رقم (٨٨٨٥)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ▪ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

(١) سنن الترمذي، تفسير القرآن (٣٠٨٦)، سنن أبو داود، الصلاة (٧٨٦)، مسند أحمد (١/ ٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥)، ط.الشعب.

عَدَدَ أَهْلِ الْكَهَفِ

* **سؤال**: سائلة تسأل: ما هو القول الصحيح في عدد أهل الكهف؟ وهل هم أصحاب الصخرة؟ أم غيرهم؟ وإن كان كذلك فمن هم إذن أصحاب الصخرة؟ وما هي قصتهم؟

الجواب: أهل الكهف بينهم الله في كتابه العظيم والأقرب هو ما قاله جماعة من أهل العلم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، وهذا هو الأقرب والأظهر، وهم أناس مؤمنون آمنوا بربهم وزادهم هدىً، وفارقوا قومهم؛ لأجل الشرك والكفر، فلما توفاهم الله بعد ذلك بعدما ناموا المدة الطويلة، وتوفاهم الله بعد ذلك على دينهم الحق، هؤلاء هم أهل الكهف كما بينه الله في كتابه العزيز.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾، ناموا النومة الطويلة بإذن الله، ثم ماتوا بعد ذلك، ثم بنى عليهم أهل الغلبة من الأمراء والرؤساء مسجدًا، وقد أخطؤوا وغلطوا في ذلك؛ لأن القبور لا يجوز البناء عليها، ولا اتخاذ المساجد عليها؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد، وقال: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]. وحذر من البناء

(١) صحيح البخاري، الجنائز (١٣٢٤)، صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١)، سنن النسائي، المساجد (٧٠٣)، ومسند أحمد بن حنبل (٦/ ١٢١)، وسنن الدارمي، الصلاة (١٤٠٣).

على القبور، وتجصيصها، واتخاذ المساجد عليها، كل هذا نهى عنه الرسول ﷺ، فلا يجوز للمسلمين أن يبنوا على القبور مساجد ولا قبابًا ولا غير ذلك، بل تكون القبور ضاحية للشمس والأمطار ليس عليها بناء، ولا قبة ولا مسجد ولا غير ذلك؛ عملًا بالأحاديث الصحيحة، وسدًا لذريعة الغلو فيها والشرك بأهلها.

وهكذا كانت قبور المسلمين في عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين حتى غير الناس بعد ذلك، وبنوا على القبور، وهذا من الجهل والغلط والمنكر العظيم؛ لقول رسول الله ﷺ: **«لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**، وقالت عائشة رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا، وقال ﷺ لما أخبرته أم حبيبة وأم سلمة لما كانتا في أرض الحبشة عن كنيسة فيها تصاوير قال: **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا فيه تلك التصاوير»**[(١)]، ثم قال: **«أولئك شرار الخلق عند الله»**[(٢)]. فأخبرهم أنهم شرار الخلق؛ بسبب بنائهم على القبور، واتخاذهم الصور عليها، نسأل الله السلامة.

وقال ﷺ فيما رواه جندب بن عبد الله في صحيح مسلم: **«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور**

---

(١) صحيح البخاري، الصلاة (٤٢٤) صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨)، سنن النسائي، المساجد (٧٠٤)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٥١).

(٢) صحيح البخاري، الصلاة (٤٢٤) صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨)، سنن النسائي، المساجد (٧٠٤)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٥١).

مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[1]، فنهى ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وحذر من هذا وبين أنه من عمل من كان قبلنا من اليهود والنصارى، وهو عمل مذموم ملعون فاعله؛ لكونه من وسائل الشرك، فلا يجوز للمسلمين أن يتخذوا قبابًا ولا مساجد على قبور أمواتهم، بل هذا منكر ومن وسائل الشرك.

أما أصحاب الصخرة، فهم أناس خرجوا يتمشون، فآواهم المبيت والمطر إلى غار في جبل، فلما دخلوا انحدرت عليهم صخرة وسدت عليهم باب الغار، فقالوا فيما بينهم: لا ينجيكم من هذا إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم -التي فعلتموها لله- فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا ولدًا ولا مالًا، فنأى بي طلب الشجر ذات ليلة، فلم أرح عليهما إلا وقد ناما، فوقفت أنتظر استيقاظهما فلم يستيقظا حتى برق الصبح، والصبية يتضاغون تحت قدمي. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة شيئًا قليلًا لا يستطيعون معه الخروج.

ثم قال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، وكنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، وإني راودتها عن نفسها فأبت، فألمت بها سنة -يعني حاجة في بعض السنين- فجاءت إليَّ تطلبني، فقلت لها: لا؛ حتى تمكنيني من نفسك، فوافقت على ذلك -على عشرين ومائة دينار أسلمها لها- فلما جلس بين رجليها، قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقام خوفًا من الله

(١) صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢).

وتركها، وترك الذهب لها، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة أيضًا ولكنهم لا يستطيعون الخروج.

ثم قال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيت كل أجير حقه إلا أجيرًا واحدًا كان له فرق من أرز فتركه، فثمرته له حتى اشتريت منه رقيقًا وإبلًا وبقرًا وغنمًا فجاء بعد ذلك وقال: أعطني حقي، فقلت: يا عبد الله، كل هذا من حقك، فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت له: إني لا أستهزئ بك، بل هذا كله من حقك، فأخذه واستاقه جميعًا. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون.

وهذا دليل على أن الله على كل شيء قدير، وأنه ﷻ يبتلي عباده بالسراء والضراء، وهذا الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم في الصحيحين، عن ابن عمر عن النبي ﷺ، فهو حديث صحيح فيه عبرة، وفيه إرشاد إلى الضراعة إلى الله، وسؤاله عند الكروب والشدائد، وأنه سبحانه قريب مجيب يسمع دعاء الداعي، ويجيب دعوته إذا شاء ﷻ، وأن الأعمال الصالحات من أسباب تفريج الكروب، ومن أسباب تيسير الأمور، ومن أسباب إزالة الشدة، والمؤمن إذا وقع في الشدة يضرع إلى الله ويسأله، ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته وبأعماله الصالحة، وبإيمانه بالله وبربوبيته وبتوحيده وإخلاصه لله.

هذه هي الأسباب، والله سبحانه من فضله وإحسانه يجيب دعوة المضطر، ويرحم عبده المؤمن، ويجيب سؤاله، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وهو القائل سبحانه: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وهو القائل سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢]، وهؤلاء مضطرون، نزل بهم أمر عظيم وكربة شديدة، فسألوا الله بصالح الأعمال، فأجاب الله دعاءهم.

وفي هذا من الفوائد: فضل برِّ الوالدين، وأن برَّ الوالدين من أفضل القربات ومن أسباب تفريج الكروب وتيسير الأمور، وهكذا العفة عن الزنا، فإن الحذر من الزنا من الأعمال الصالحات، ومن أسباب تفريج الكروب، ومن أسباب النجاة ومن كل شدة، ومن أفضل الأعمال الصالحات، وهكذا أداء الأمانة، والنصح في أداء الأمانة من أعظم الأسباب في تفريج الكروب، ومن أفضل الأعمال الصالحات والنعم، فهذه الأعمال الصالحة من أسباب النجاة في الدنيا والآخرة.

[فتاوى نور على الدرب]

۞۞۞

حَدِيثٌ ضَعِيفٌ فِي فَضْلِ سُورَةِ الدُّخَانِ

*** سؤال: ما مدىٰ صحة هذا الحديث: «من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك»؟**

الجواب: هذا الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وهو حديث ضعيف، كما ذكره جلال الدين السيوطي في (الجامع الصغير)، وذكره ابن الجوزي في (الموضوعات)؛ لأن فيه عمر بن راشد بن شجرة، وقد ضعفه أحمد ويحيىٰ بن معين وأبو داود وغيرهم[(١)].

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوىٰ رقم(٩٨٩٣)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

(١) الترمذي برقم (٢٨٩٠)، وبالموضوعات، لابن الجوزي (١/ ٢٤٨).

هَلْ نُسْمِعُ رَبَّنَا يَتْلُو عَلَيْنَا سُورَةَ الرَّحْمَنِ؟

* سؤال: هل صحيح أننا سنسمع ربنا يتلو علينا في الجنة -إن شاء الله- سورة الرحمن؟

الجواب: ليس ذلك بصحيح فيما نعلم.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٦) من الفتوى رقم (٧٤٥٨)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

فَضْلُ سُورَةِ الْمُلْكِ

* سؤال: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ [الملك:١]، هل قراءة هذه السورة كل ليلة تشفع لصاحبها عند الموت؟

الجواب: هذا الحديث رواه أبو داود في سننه بهذا النص: حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا شعبة، أخبرنا قتادة عن ابن عباس الجسمي، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى غفر له**»(١). قال المنذري في مختصره: أخرجه النسائي، وابن ماجة، وقال الترمذي: حديث حسن، لكن في إسناده ضعف(٢).

وعلى هذا يُرجى لمن آمن بهذه السورة، وحافظ على قراءتها؛ ابتغاء وجه الله معتبرًا بما فيها من العبر والمواعظ، وعاملًا بما فيها من أحكام أن تشفع له.

(١) سنن الترمذي، فضائل القرآن (٢٨٩١)، وسنن أبو داود، الصلاة (١٤٠٠)، سنن ابن ماجه، الأدب (٣٧٨٦).

(٢) أحمد (٢/ ٢٩٩، ٣٢١) وأبو داود برقم (١٤٠٠)، والترمذي برقم (٢٨٩٣)، وقال: هذا حديث حسن. والنسائي في السنن الكبرى، كما في تحفة الأشراف (١٠/ ١٢٩)، وكما رواه في عمل اليوم والليلة، برقم (٧١٠)، وابن ماجه برقم (٣٨٣١).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٦) من الفتوى رقم (٩٦٠٤)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

التَّكْبِيرُ فِي سُورَةِ الضُّحَىٰ

* سؤال: هل ثبت التكبير من سورة الضحىٰ إلىٰ آخر القرآن؟

الجواب: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في أول تفسير سورة الضحىٰ، ولكن ذلك عادة جرىٰ عليها بعض القراء؛ لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولىٰ ترك ذلك؛ لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة، والله الموفق.

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (١/ ٤٤١)]

۞۞۞

تَعَدُّدُ الْقِرَاءَاتِ

* سؤال: هناك من يقول: أن تعدد القراءات في القرآن معناه اختلاف في القرآن حيث يؤدي إلىٰ معان مختلفة ومتغيرة، مثل آية الإسراء: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ عند قوله تعالىٰ: ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾؟

الجواب: ثبت عن النبي ﷺ أن القرآن نزل من عند الله علىٰ سبعة أحرف، أي: لغات من لغات العرب ولهجاتهم؛ وتيسيرًا لتلاوته عليهم، ورحمة من الله بهم. ونقل ذلك نقلًا متواترًا، وصدق ذلك واقع القرآن، وما وجد فيه القراءات، فهي كلها تنزيل من حكيم حميد، وليس تعددها من تحريف أو تبديل، ولا لبس في معانيها، ولا تناقض في مقاصدها ولا اضطراب، بل بعضها يصدق بعضها ويبين مغزاه، وقد تتنوع معاني بعض القراءات، فيفيد كل منها حكمًا يحقق مقصدًا من مقاصد الشرع، ومصلحة من مصالح العباد، مع اتساق معانيها، وائتلاف مراسيها، وانتظامها في وحدة تشريع محكمة كاملة، لا تعارض بينها ولا تضارب فيها.

فمن ذلك ما ورد من القراءات في الآية التي ذكرها السائل، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ

مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]، فقد قرئ: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ بضم النون، وكسر الراء، وقرئ: ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ بفتح الياء، والقاف مخففة، والمعنى: نحن نخرج للإنسان يوم القيامة كتابًا هو: صحيفة عمله، يصل إلى حاله كونه مفتوحًا، فيأخذه بيمينه من كان سعيدًا، أو بشماله إن كان شقيًا، وقرئ: ﴿يُلقَّاه﴾ بضم الياء، وتشديد القاف، والمعنى: ونحن نخرج للإنسان يوم القيامة كتابًا -وهو صحيفة عمله- يعطي الإنسان ذلك الكتاب، حال كونه مفتوحًا، فمعنى كل من القراءتين يتفق في النهاية مع الآخر، فإن من يلقى إليه الكتاب فقد وصل إليه، ومن وصل إليه فقد ألقي إليه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]، قرئ: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بفتح الياء، وسكون الكاف، وكسر الذال الخفيفة، بمعنى: يخبرون بالأخبار الكاذبة عن الله والمؤمنين، وقرئ: ﴿يُكَذِّبون﴾ بضم الياء، وفتح الكاف، وتشديد الذال المكسورة، بمعنى: يكذبون الرسل فيما جاؤوا به من عند الله من الوحي. فمعنى ذلك من القراءتين لا يتعارض مع الآخر ولا يناقضه، بل كل منهما وصف من أوصاف المنافقين؛ وصفتهم الأولى بالكذب في الخبر عن الله ورسله وعن الناس، ووصفتهم الثانية بتكذيبهم رسل الله فيما أوحى إليهم من التشريع وكل حق؛ فإن المنافقين جمعوا بين الكذب والتكذيب.

ومن ذلك يتبين أن تعدد القراءات كانت بوحي من اللهﷻ، لا عن تحريف وتبديل، وأنه لا يترتب عليه أمور شائنة ولا تناقض أو اضطراب، بل معانيها ومقاصدها متقنة، والله الموفق.

[سلسلة كتاب الدعوة (١٠) الفتاوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٣/ ٣٠)]

۞۞۞

سُجُودُ التِّلَاوَةِ

* سؤال: إذا مر القارئ على آية سجدة، فهل يلزمه أن يكون على طهارة أثناء السجود أم لا؟ وهل يشرع لسجود التلاوة استقبال القبلة للقارئ وللمستمعين؟ وهل كل سجدة في القرآن يشرع فيها السجود، أم أن الثابت سجدات دون سجدات؟ وما هي السجدات الثابتة والتي يشرع لها السجود؟

الجواب: **أولًا**: سبق أن صدرت منا فتوى في سجود التلاوة برقم (١٥٠٠) هذا نصها: «من أهل العلم من يرى أنه صلاة، ويبني على ذلك اشتراط الطهارة، واستقبال القبلة، والتكبير عند السجود، وعند الرفع منه، والسلام ومنهم من يرى أنه عبادة، ولكن ليس كالصلاة، ويبني على ذلك عدم اشتراط الطهارة، والتوجه إلى القبلة، وغير ذلك مما سبق، وهذا القول أرجح؛ لأننا لا نعلم دليلًا يدل على اشتراط الطهارة، واستقبال القبلة، ولكن متى تيسر استقبال القبلة حين السجود، وأن يكون على طهارة فهو أولى، خروجًا من خلا ف العلماء.

ثانيًا: أن السجدات المشروع لها السجود في القرآن الكريم أربع عشرة سجدة: في (آخر الأعراف)، وفي (الرعد)، و(النحل)، و(بني إسرائيل)،

و(مريم)، وسجدتين في (الحج)، وسجدة في (الفرقان)، و(النمل)، (الم تنزيل: السجدة)، وسورة (ص)، و(فصلت)، و(النجم)، و(الانشقاق)، و(اقرأ باسم ربك).

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:١) من الفتوى رقم (٩٨٤١)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

عِنْدَمَا يَذْكُرُ اللهُ نَفْسَهُ بِضَمِيرٍ

* سؤال: في بعض الآيات القرآنية يقول الله عن نفسه (نحن)، وفي بعضها يقول: (هو)، أي أنه يذكر نفسه بالجمع أحيانًا وبالمفرد أحيانًا، فما معنى هذا؟

الجواب: من أساليب اللغة العربية أن الشخص يعبر عن نفسه بضمير نحن للتعظيم، ويذكر نفسه بضمير المتكلم على المفرد كقوله: (أنا) وبضمير الغيبة نحو (هو)، وهذه الأساليب الثلاثة جاءت في القرآن، والله يخاطب العرب بلسانهم، وأما زعم النصارى أن مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر:٩]، وما أشبهها تقتضي التثليث فهو زعم باطل، تدل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وإجماع أهل العلم والإيمان على بطلانه مثل قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١-٢]، إلخ.

السور والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوى رقم (٢٨٧٢)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ■ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

مَسَائِلُ فِي التَّفْسِيرِ

* **سؤال:** ما هو المقصود بالمحكم والمتشابه في آيات القرآن الكريم؟ وكيف ندفع الإشكال الذي يورده البعض من أن القرآن الكريم تبيان لكل شيء وهدىً للعالمين؟ فما وجه التوفيق بين ذلك وبين قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]؟ وما المقصود بالراسخين في العلم؟ وما الفرق بين تأويل القرآن وتفسيره؟

الجواب: أولًا: يطلق الإحكام بمعنىٰ: الإتقان، فإحكام الكلام: إتقانه ووضوح معناه، فيتميز به الصدق من الكذب في الأخبار، والرشد من الغي في الأوامر، والقرآن كله محكم بهذا المعنىٰ، واضح لا التباس فيه علىٰ أحد، قال الله تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس:١].

ثانيًا: التشابه في الكلام يطلق علىٰ تماثله وتناسبه، بمعنىٰ: أنه يصدق بعضه بعضًا في أوامره، فلا يأمر بشيء في موضع وينهىٰ عنه في موضع آخر، ويصدق بعضه بعضًا في أخباره، فإذا أخبر بثبوت شيء في موضع لم يخبر بنفيه في موضع آخر، والقرآن كله متشابه بهذا المعنىٰ فلا تناقض فيه ولا اضطراب، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا

كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر:٢٣] الآية. والتشابه بهذا المعنىٰ لا ينافي الإحكام بالمعنىٰ العام، بل يصدق كل منهما الآخر ولا يتناقضان.

ثالثًا: التشابه بالمعنىٰ الخاص: هو مشابهة الشيء غيره من وجه ومخالفته له من وجه، وفي القرآن آيات متشابهات بهذا المعنىٰ تحتمل دلالتها علىٰ ما يوافق الآيات المحكمة، وتحتمل الدلالة علىٰ ما يخالفها، فيلتبس المقصود منها علىٰ كثير من الناس، ومن رد المتشابهات بهذا المعنىٰ الخاص إلىٰ الآيات المحكمات الواضحات بنفسها، تبين له المقصود من المتشابهات، وتعيَّن له وجه الصواب، ومن وقف من العلماء عند الآيات المتشابهات، ولم يرجع بها إلىٰ المحكمات الواضحات، ارتكس في الباطل، وضل عن سواء السبيل؛ كالنصارىٰ في احتجاجهم علىٰ أن عيسىٰ ابن الله، يقول الله تعالىٰ في عيسىٰ عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف:٥٩]، وقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقد دل علىٰ هذا النوع من التشابه الخاص، والإحكام الخاص، وبين اختلاف الناس في موقفهم منه قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ

مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]، وبهذا يُعلم أن القرآن نزل تبيانًا لكل شيء، وهدىً ورحمة، وبشرىٰ للمسلمين، ويتبين التوفيق بين النصوص، وأن الراسخين في العلم هم: الذين يبتغون الحق فيرجعون بالمتشابه من الآيات إلىٰ الآيات المحكمات تحكيمًا لها، فيزول الالتباس فيما تشابه من الآيات بالمعنىٰ الخاص، ويتعين المقصود منها، بخلاف من في قلوبهم شك وزيغ، فهم الذين يركبون رؤوسهم، ويتبعون أهواءهم، فيقصدون إلىٰ المتشابه من النصوص دون الرجوع به إلىٰ المحكم ابتغاء الفتنة، ورغبة في التلبيس علىٰ الناس وإضلالهم عن سواء السبيل.

أما الفرق بين تأويل القرآن وتفسيره: فتأويله قد يراد به تفسيره بكلام يشرحه ويوضح المقصود منه، ولو برده إلىٰ المحكم منه، وعلىٰ هذا يصح الوقف علىٰ كلمة العلم في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾؛ فإن الراسخين في العلم يعلمون معنىٰ المتشابه من آيات القرآن، والمقصود منها برده إلىٰ المحكم من الآيات، ويفسرونها ويبينون معناها، فتكون الواو في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ عاطفة علىٰ لفظ الجلالة.

وقد يراد بتأويل القرآن حقيقته ومآله، والواقع الذي يؤول إليه الكلام، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، وكما ذكر تعالىٰ في قصة يوسف -لما

سجد له أبواه وإخوته- عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف:١٠٠]، فجعل عين ما وجد في الخارج تأويل رؤياه، أي: مآلها وحقيقتها التي وقعت، ومن ذلك كيفيات الصفات التي أثبتها الله تعالىٰ لنفسه؛ كالاستواء في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وكمجيئه يوم القيامة والملائكة صفًا صفًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]، فكل من معنىٰ الاستواء والمجيء معلوم للراسخين في العلم، أما كيفية ذلك فلا يعلمها إلا الله وحده.

وعلىٰ هذا يكون الوقوف علىٰ لفظ الجلالة في قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وكل من القولين في الوقف الصحيح؛ لأن كلًا منهما مبني علىٰ اعتبار معنىٰ في بيان التأويل صحيح. ومما يمثل به للتأويل بمعنىٰ بيان المآل والحقيقة، ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اغفر لي**»[1]، يتأول القرآن، تعني: قوله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ [النصر:٣]، فالتأويل في كلامها بمعنىٰ المآل، والحقيقة التي آل إليها الكلام.

وقد يُراد بتأويل القرآن ونحوه من النصوص الشرعية: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا اصطلاح كثير ممن تكلم في الفقه وأصوله، وهو الذي عناه أكثر من تكلم من

(١) أحمد (٦، ٤٣، ٤٩، ١٩٠)، البخاري [فتح الباري] برقم (٨١٧، ٤٩٦٧)، ومسلم برقم (٤٨٤).

المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وقد نقد شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك في آخر القاعدة الخامسة من كتاب (التدمرية) فليرجع إليه من أراد التوسع في الموضوع.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (١١٦٢٧)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

الذَّبِيحُ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام

* سؤال: شخص اعتنق الإسلام عام ١٩٧٤م وهو متزوج، ويريد أن يعرف، من الابن الذي أمر الله تعالىٰ خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبحه، أهو ولده إسماعيل أو ولده إسحاق عليهما الصلاة والسلام؟

الجواب: إن من سنة الله تعالىٰ أن يبتلي عباده؛ ليميز الخبيث من الطيب، ويرفع من شاء من أنبيائه وأوليائه ما شاء، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، وممن تابع الله تعالىٰ عليهم الابتلاء خليله إبراهيم ﷺ، فكان مثال الكمال في الوفاء في جميع ما ابتلاه ربه به، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]، وأثنىٰ عليه تعالىٰ بقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧].

وكان مما ابتلاه الله به أن أراه في المنام أنه يذبح ولده، ورؤيا الأنبياء حق، فعزم إبراهيم الخليل ﷺ علىٰ تحقيق رؤياه؛ امتثالًا لأمر ربه، ووفاء له، وعرض ذلك علىٰ ابنه فاستجاب له، فلما أسلما وجههما لله، وبذل إبراهيم ما في وسعه من أسباب الذبح العادية، أكرمه الله وولده، وفدىٰ الذبيح بذبح عظيم، وبارك لخليله ثناء عاطرًا مدىٰ الدهر، وبشره بإسحاق نبيًا من الصالحين، وبارك عليه وعلىٰ إسحاق عليهما السلام، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ

إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ (١٠١)
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ (١٠٣)
وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا
لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ
إِبْرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَٰهُ
بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٢) وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ
لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات:٩٩-١١٣].

هذا صفوة ما يتصل بشأن الذبيح من قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان للخليل ولدان إسماعيل وإسحاق، فأيهما كان الذبيح إسماعيل أم إسحاق عليهما السلام؟ لم يرد في ذلك نص صحيح صريح بتسميته أو تعيينه بوجه ما يقطع النزاع؛ ولذا اختلف أهل السير والتاريخ والتفسير في تعيينه، فقال جماعة منهم: إنه إسماعيل؛ لأنه هو الذي وُلد له بعد ذهابه عن قومه إلى الشام، وكان وحيده إذ ذاك وهو الذي كان بمكة وهي مكان الواقعة، وقد وصفه الله بالحليم، وختمت البشرى بإسحاق، فكان غير الذبيح الذي بدأت به القصة، والراجح أنه إسماعيل؛ لما تقدم من الأدلة. وقال كثير من أهل الديانات والسير والتاريخ إنه إسحاق؛ لأنه هو الذي بشر به إبراهيم وسارة بعد اعتزال إبراهيم أباه وقومه، كما في سورة مريم وهود والحجر والذاريات، فليكن هو المراد بالغلام الحليم المبشر به في سورة الصافات، وإذن يكون هو الذبيح.

والخطب في ذلك سهل، إذ المسألة اجتهادية في أمر معرفته، وغير

ضرورية، ولا يترتب على الجهل بها خطر في العقيدة، ولا أثر في حياة الناس العملية، فأي ابنَي إبراهيم كان الذبيح كان فيه وفي أبيه العبرة، وبهما تكون القدوة في الصبر على البلاء، وإيثار طاعة الله تعالى، ولو كان في ذلك ذهاب أحب شيء إلى الإنسان حتى النفس، ولا يشين ذلك من لم يكن الذبيح، ولا يُنقص من قدره كما لم ينقص كثيرًا من الأنبياء والمرسلين أنهم لم يحصل لهم مثل ذلك، فالمزية بعينها تدل على الفضيلة، لكنها لا تدل على الأفضلية.

وإنما خاض في ذلك جماعة من الباحثين؛ بدافع حب الاستطلاع، وشهوة حب البحث، ولم يكن في الموضوع نص صحيح صريح كما تقدم، فاختلفوا عن اجتهاد وحسن نية، أو عن عصبية وسوء طوية.

والصواب: أنه إسماعيل كما تقدم؛ لأنه الأظهر من الآيات القرآنية، لاسيما الآيات من سورة الصافات التي سبق ذكرها.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٤٧٩٧)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

❁❁❁

التَّفَاسِيرُ الْعِلْمِيَّةُ

* سؤال: ما حكم الشرع في التفاسير التي تسمى بـ (التفاسير العلمية)؟ وما مدى مشروعية ربط القرآن ببعض الأمور العلمية التجريبية؟ فقد كثر الجدل حول هذه المسائل.

الجواب: إذا كانت من جنس التفاسير التي تفسر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، بأن الأرض كانت متصلة بالشمس وجزءا منها، ومن شدة دوران الشمس، انفصلت عنها الأرض، ثم برد سطحها وبقي جوفها حارا، وصارت من الكواكب التي تدور حول الشمس.

إذا كانت التفاسير من هذا النوع، فلا ينبغي التعويل ولا الاعتماد عليها. وكذلك التفاسير التي يستدل مؤلفوها بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨] على دوران الأرض، وذلك أن هذه التفاسير تحرف الكلم عن مواضعه، وتخضع القرآن الكريم لما يسمونه نظريات علمية، وإنما هي ظنيات أو وهميات وخيالات! وهكذا جميع التفاسير التي تعتمد على آراء جديدة ليس لها أصل في الكتاب والسنة، ولا كلام سلف الأمة؛ لما فيها من القول على الله ﷻ بغير علم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٣) من الفتوى رقم (٩٢٤٧)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ▪ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

أَجْوَدُ كُتُبِ التَّفْسِيرِ

* **سؤال**: ما هو الكتاب الأجود في التفسير من الكتب الموجودة حاليًا وسابقًا؟

الجواب: أجود كتب التفسير يختلف باختلاف طاقة القارئ ووسعه، وعلىٰ كل حال أجودها في نفسها كتاب (تفسير ابن جرير الطبري)، وكتاب (تفسير ابن كثير) ونحوها من كتب التفسير بالأثر، فإنها أسهل تعبيرًا، وأعدل في فهم المراد، وألمس لمعاني القرآن وأقرب إلىٰ إصابة الحق، وبيان مقاصد الشريعة، مع ذكر ما يشهد لذلك من الأحاديث والآثار الثابتة، ورد المتشابه من الآيات إلىٰ المحكم منها.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٧) من الفتوىٰ رقم (٢٦٧٧)]

- عضو: عبد الله بن قعود. ▪ عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

شَرْحُ دَلِيلٍ دُونَ ذِكْرِ نَصِّ الآيَةِ

* **سؤال:** هل يجوز أن نشرح دليلًا من الآيات الكريمة دون أن نذكر نص الآيات؟

الجواب: يجوز شرح الآيات وذكر معناها دون قراءة نصها إذا كان الشارح ثقة مأمونًا، عالمًا بتفسير الآيات على طريقة أهل السنة والجماعة.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٦) من الفتوى رقم (٧٧٢٠)]

- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيسؤال: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

لَطَائِفُ التَّفْسِيرِ

* **سؤال:** هل يصح أو يجوز للفرد أن يتكلم بما فتح الله عليه من تدبر الآيات كما يسميه بعض العلماء بـ (لطائف التفسير)، على الرغم من أن هذا ليس مستندًا لأثر موقوف على صحابي أو حديث مرفوع إلى النبي ﷺ؟

الجواب: يجوز لعالم بما يحيل المعاني ممن لديه معرفة باللغة العربية وبقواعد الشريعة العامة أن يفسر القرآن مستعينًا في ذلك بتفسير بعضه لبعض، وبتفسير السنة الصحيحة له وسلف الأمة المعتبرين.

أما تفسيره بمجرد الرأي والهوى فحرام؛ لما روي ابن جرير وغيره إن رسول الله ﷺ قال: **«من قال في القرآن برأيه؛ فليتبوأ مقعده من النار»**(١).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (س:٢) من الفتوى رقم (٥٠٨٦)]

- عضو: عبد الله بن قعود.
- عضو: عبد الله بن غديان.
- نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي.
- الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

۞۞۞

(١) أحمد في المسند (١/ ٢٣٣، ٢٦٩، ٣٢٣، ٣٢٧)، والترمذي برقم (٢٩٥١، ٢٩٥٢)، والطبري في تفسيره برقم (٧٣، ٧٤).

عَلَامَاتُ الْوَقْفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

* **سؤال**: يقول السائل: يوجد في القرآن الكريم حروف معينة وضعت على بعض الآيات أو بعض المواقف؛ كالجيم والطاء وغيرهما، تدل على وجوب الوقوف فمن وضع هذه الأحرف؟ وهل يلزم التقيد بها؟ علما أننا نسمع بعض أئمة الحرمين في قراءة التراويح أنهم يقفون على غير أماكن الوقف فهل هذا صحيح أم لا؟

الجواب: هذه الأحرف لا أعرف من وضعها، يضعها بعض القراء؛ للإشارة إلى أن هذا الوقف جائز أو لا يلزم لبيان المعاني، ولكن هذه لا يلتفت إليها ولا تلزم، وإنما السنة الوقوف على رؤوس الآيات، فكان النبي ﷺ يقف عند رؤوس الآيات، فهذا هو الأفضل، وهذا هو الترتيل.

وأما هذه الحروف فلا يلزم التقيد بها، ولكن إذا أراد أن يقف، يتحرى الوقف المناسب الواضح الذي ليس فيه صلة بما قبله، فعند الحاجة إلى الوقف يقف على الآيات التي يحسن الوقف عندها، أما الآية المتصلة بما قبلها، فينبغي أن يقرأها حتى يتضح المعنى، وأما الوقوف على بعض الآيات فلا يناسب، بل عليه أن يكمل الآية.

[فتاوى نور على الدرب]

***

كُتُبُ التَّفْسِيرِ الْمُفِيدَةِ

* **سؤال:** أريد أن تدلوني على بعض أسماء الكتب في التفسير والحديث والفقه للإفادة منها؟ وجزاكم الله خيرًا[(١)].

الجواب: من الكتب المفيدة في التفسير: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وابن سعدي، والشنقيطي، ومن كتب الحديث المفيدة: الصحيحان، والسنن الأربعة، ومنتقى الأخبار، وعمدة الحديث، وبلوغ المرام، والأربعون النووية، وتتمتها للحافظ ابن رجب، ومن كتب الفقه المفيدة: المغني للإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن قدامة رحمه الله والمقنع له أيضاً، والروض المربع شرح زاد المستنقع بحاشية العلامة الشيخ: عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله وشرح المهذب للنووي رحمه الله، والله الموفق.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٣٠)]

❁❁❁

(١) نشر في مجلة (الدعوة) العدد (١٦٤٧) في ١/ ٣/ ١٤١٩ هـ.

مُلَاحَظَاتٌ حَوْلَ كِتَابِ صَفْوَةِ التَّفَاسِيرِ لِلصَّابُونِيِّ وَتَأْوِيلِهُ لِآيَاتِ الصِّفَاتِ

* سؤال: ما رأيكم في كتاب صفوة التفاسير، وقد نقل عن الصاوي أن الرسول ﷺ منبع الرحمات والتجليات، والصاوي يقول: الأخذ بظواهر القرآن والسنة كفر؟

الجواب: كل هذا غلط، وكله خطأ، ليس الرسول منبع الرحمات إلا بالتأويل إذا كان من جهة الشريعة، وإلا الرحمة من الله ﷻ، هذه العبارة عبارة خاطئة غلط، وكذلك قوله: إن الأخذ بظاهر النصوص كفر، وأن الصاوي كلامه وقوله قبيح منكر، نسأل الله العافية، فالكفر هو الضلال لو عقله، ولو كان يعقل ما يقول هذا المنكر من المقالتين، لا قولُه: منبع الرحمات والتجليات، ولا قولُه: إنه لا يؤخذ بظاهر النصوص. كل هذا منكر عظيم نعوذ بالله من ذلك.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٣١)]

جَمْعُ الْمُصْحَفِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ

* سؤال: هل صحيح أن عثمان ﷺ عندما جمع القرآن في مصحف واحد حذف بعض الأحرف؟ أم أنه أثبت بعض القراءات دون بعض؟

الجواب: ثبت عن رسول الله ﷺ قوله: «**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه**»[(١)]، وقال المحققون من أهل العلم: إنها متقاربة في المعني مختلفة في الألفاظ.

وعثمان ﷺ لما بلغه اختلاف الناس، استشار أصحابه الموجودين في زمانه؛ كعلي، وطلحة، والزبير، وغيرهم، فأشاروا بجمع القرآن على حرف واحد؛ حتى لا يختلف الناس، فجمعه ﷺ وكون لجنة رباعية لهذا، يرأسهم زيد بن ثابت ﷺ، فجمعوا القرآن على حرف واحد، وكتبه ووزَّعه في الأقاليم؛ حتى يعتمده الناس، وحتى ينقطع النزاع، أما القراءات السبع أو القراءات العشر فهي موجودة في نفس ما جمعه عثمان ﷺ، في زيادة حرف أو نقص حرف أو مد أو شكل القرآن، كل هذا داخل في الحرف الواحد الذي جمعه عثمان ﷺ، والمقصود من ذلك حفظ كلام الله، ومنع الناس من الاختلاف الذي قد يضرهم، ويسبب الفتنة بينهم.

---

(١) رواه البخاري في الخصومات برقم (٢٢٤١) وفي فضائل القرآن برقم (٤٦٥٣)، ومسلم في صلاة المسافرين برقم (١٣٥٤)، والترمذي في القراءات برقم (٢٨٦٧).

والله جل وعلا لم يوجب القراءة بالأحرف السبعة، بل قال النبي ﷺ كما في صحيح البخاري: «فاقرءوا ما تيسر منه»، فجمع الناس على حرف واحد عمل طيب، وتوفيق من الله لعثمان والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؛ لما فيه من التيسير والتسهيل، وحسم الخلاف بين المسلمين.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٣٣)]

۞۞۞

تَعَدُّدُ الْقِرَاءَاتِ لَا يُغَيِّرُ الْمَعْنَى

* **سؤال:** يقولون إن تعدد القراءات في القرآن الكريم معناه اختلاف في القرآن، حيث يؤدي إلى معان ثانية مثل آية الإسراء ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]؟

الجواب: ثبت عن النبي ﷺ أن القرآن نزل من عند الله على سبعة أحرف، أي: سبع لغات من لغات العرب ولهجاتها؛ تيسيرًا لتلاوتها عليهم، ورحمة من الله بهم، ونقل ذلك نقلًا متواترًا وصدق ذلك واقع القرآن، وما وجد فيه من القراءات، فهي كلها تنزيل من حكيم حميد، ليس تعددها من تحريف أو تبديل، وليس في معانيها تبديل، ولا تناقض في مقاصدها ولا اضطراب، بل بعضها يصدق بعضًا ويبين مغزاه، وقد تتنوع معاني بعض القراءات، فيفيد كل منها حكما يحقق مقصدًا من مقاصد الشرع، ومصلحة من مصالح العباد، مع اتساق معانيها، وائتلاف مراسيها، وانتظامها في وحدة تشريع محكمة كاملة، لا تعارض بينها ولا تضارب فيها، فمن ذلك ما ورد في القراءات من الآية التي ذكرها السائل، وهي قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾، فقد قرئ: ونخرج بضم النون، وكسر الراء، وقرئ يلقاه: بفتح الياء والقاف مخففة، والمعنى: ونحن نخرج للإنسان يوم القيامة كتابًا، وهو صحيفة عمله، يصل إليه حالة كونه مفتوحًا،

فيأخذه بيمينه إن كان سعيدًا، أو بشماله إن كان شقيًا، وقرئ: يلقاه منشورًا بضم الياء، وتشديد القاف، والمعنى: ونحن نخرج للإنسان يوم القيامة كتابًا -هو صحيفة عمله- يعطى الإنسان ذلك الكتاب حال كونه مفتوحًا، فمعنى كل من القراءتين يتفق في النهاية مع الآخر، فإن من يلقى إليه الكتاب؛ فقد وصل إليه، ومن وصل إليه الكتاب؛ فقد ألقي إليه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]، قرئ: يكذبون بفتح الياء، وسكون الكاف، وكسر الذال بمعنى: يخبرون بالأخبار الكاذبة عن الله والمؤمنين، وقرئ: يكذبون بضم الياء، وفتح الكاف، وتشديد الذال المكسورة، بمعنى: يكذبون الرسل فيما جاؤوا به من عند الله من الوحي، فمعنى كل من القراءتين لا يعارض الآخر ولا يناقضه، بل كل منهما ذكر وصفًا من أوصاف المنافقين؛ وصفتهم الأولى بالكذب في الخبر عن الله ورسله وعن الناس، وصفتهم الثانية بتكذيب رسل الله فيما أوحى إليهم من التشريع، وكلٌّ حق فإن المنافقين جمعوا بين الكذب والتكذيب.

ومن ذلك يتبين أن تعدد القراءات كان بوحي من الله لحكمة، لا عن تحريف وتبديل، وإنه لا يترتب عليه أمور شائنة، ولا تناقض واضطراب، بل معانيها ومقاصدها متفقة، والله الموفق.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٣٥)]

❁❁❁

جَوَازُ مَسِّ كُتُبِ التَّفْسِيرِ بِدُونِ طَهَارَةٍ

* **سؤال:** هل يجوز الإمساك بالمصحف المفسر دون طهارة، والمقصود هو المصحف الذي على جوانبه تفسير للقرآن الكريم؟ أي أنه قرآن وتفسير؟ نرجو من سماحتكم إفادتنا. نشر في المجلة العربية ربيع أول ١٤١٧ هـ.

الجواب: يجوز إمساك كتاب التفسير من غير حائل ومن غير طهارة؛ لأنها لا تسمى مصحفًا، أما المصحف المختص بالقرآن فقط؛ فلا يجوز مسه لمن لم يكن على طهارة؛ لقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩]، وقول النبي ﷺ: «**لا يمس القرآن إلا طاهر**»[(١)]، والأصل في الطهارة المطلقة في العرف الشرعي هي الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر، كما فهم ذلك أصحاب النبي ﷺ، ولم يحفظ عن أحد منهم -فيما نعلم- إنه مس المصحف وهو على غير طهارة، وهذا هو قول جمهور أهل العلم، وهو الصواب، والله الموفق.

[مجموع الفتاوى د. الشويعر، (٢٤/ ٣٤٩)]

❁❁❁

(١) موطأ مالك، النداء للصلاة (٤٦٨).

هَلْ فِي الْقُرْآنِ مَجَازٌ؟

* سؤال: كثيرًا ما أقرأ في كتب التفاسير وغيرها بأن هذا الحرف زائد كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فيقولون بأن (الكاف) في كمثله زائدة، وقد قال لي أحد المدرسين بأنه: ليس في القرآن شيء اسمه زائد أو ناقص أو مجاز، فإذا كان الأمر كذلك فما القول في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣]؟

الجواب: الصحيح الذي عليه المحققون أنه ليس في القرآن مجاز على الحد الذي يعرفه أصحاب فن البلاغة، وكل ما فيه فهو حقيقة في محله.

ومعنى قول بعض المفسرين أن هذا الحرف زائد، يعني: من جهة قواعد الإعراب وليس زائد من جهة المعنى، بل له معناه المعروف عند المتخاطبين باللغة العربية؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم؛ كقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ يفيد المبالغة في نفي المثل، وهو أبلغ من قولك ليس مثله شيء وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، فإن المراد بذلك سكان القرية وأصحاب العير، وعادة العرب تطلق القرية على أهلها، والعير على أصحابها؛ وذلك من سعة اللغة العربية،

وكثرة صيغها في الكلام، وليس من باب المجاز المعروف في اصطلاح أهل البلاغة، ولكن ذلك من مجاز، أي: مما يجوز فيها ولا يمتنع.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٣٨٧)]

❁❁❁

تَأْكِيدُ سَجدَةِ (ص)

* **سؤال**: ما حكم السجدة التي في سورة (ص)؛ حيث إن بعض الأئمة يسجد عند تلاوتها، وبعضهم لا يسجد؟

الجواب: السنة السجود فيها إذا قرأها المسلم في الصلاة أو خارجها؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «رأيت النبي ﷺ يسجد فيها -يعني: سجدة ص-»[1]، لقد قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، فقال النبي ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي». رواه البخاري في الصحيح، والله ولي التوفيق.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٤٠٨)]

۞۞۞

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب سجدة (ص)، برقم (١٠٠٧).

مَا الْحِكْمَةُ فِي تَقْدِيمِ ذِكْرِ الْمَالِ عَلَىٰ الأَوْلَادِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

* سؤال: دائمًا يرد ذكر المال مقدمًا علىٰ الأولاد في القرآن الكريم، رغم أن الأولاد أغلىٰ لدىٰ الأب من ماله، فما الحكمة من ذلك؟

الجواب: الفتنة بالمال أكثر؛ لأنه يعين علىٰ تحصيل الشهوات المحرمة وغيرها بخلاف الأولاد، فإن الإنسان قد يفتن بهم، ويعصي الله من أجلهم، ولكن الفتنة بالمال أكثر وأشد؛ ولهذا بدأ سبحانه بالأموال قبل الأولاد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ:٣٧] الآية، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] الآية، وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

[مجموع الفتاوىٰ، د. الشويعر، (٢٤/ ٤٠٩)]

❁❁❁

حُكْمُ قَوْلِ: صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ عِنْدَ انْتِهَاءِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنَ

* السؤال: إنني كثيرًا ما أسمع من يقول: إن (صدق الله العظيم) عند الانتهاء من قراءة القرآن بدعة، وقال بعض الناس: إنها جائزة، واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران:٩٥]، وكذلك قال لي بعض المثقفين: إن النبي ﷺ إذا أراد أن يوقف القارئ قال له: حسبك، ولا يقول صدق الله العظيم، وسؤالي هو: هل قول (صدق الله العظيم) جائز عند الانتهاء من قراءة القرآن الكريم، أرجو أن تتفضلوا بالتفصيل في هذا؟

الجواب: اعتاد الكثير من الناس أن يقولوا: صدق الله العظيم عند الانتهاء من قراءة القرآن الكريم، وهذا لا أصل له، ولا ينبغي اعتياده، بل هو علىٰ القاعدة الشرعية من قبيل البدع إذا اعتقد قائله أنه سنة، فينبغي ترك ذلك، وأن لا يعتاده؛ لعدم الدليل.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ فليس في هذا الشأن، وإنما أمرهم الله ﷻ أن يبين لهم صدق الله فيما بينه في كتبه العظيمة من التوراة وغيرها، وأنه صادق فيما بينه لعباده في كتابه العظيم القرآن، ولكن ليس هذا دليلًا علىٰ أنه مستحب أن يقول ذلك بعد قراءة القرآن، أو بعد قراءة آيات أو قراءة سورة؛ لأن ذلك ليس ثابتًا ولا معروفًا عن النبي ﷺ، ولا عن صحابته رضوان الله عليهم.

ولما قرأ ابن مسعود على النبي ﷺ أول سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١]، قال له النبي ﷺ: «حسبك» قال ابن مسعود: فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان ﷺ(١)، أي: يبكي لما تذكر هذا المقام العظيم يوم القيامة المذكور في الآية، وهي قوله سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ أي: يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ أي: على أمته ﷺ، ولم ينقل أحد من أهل العلم فيما نعلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: صدق الله العظيم بعدما قال له النبي ﷺ: «حسبك»، والمقصود أن ختم القراءة بقول القارئ: صدق الله العظيم، ليس له أصل في الشرع المطهر، أما إذا فعلها الإنسان بعض الأحيان لأسباب اقتضت ذلك فلا بأس به.

[مجموع الفتاوى، د. الشويعر، (٢٤/ ٤١٢)]

---

(١) صحيح البخاري، فضائل القرآن (٤٧٦٣)، صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٠)، سنن الترمذي، تفسير القرآن (٣٠٢٤)، سنن أبو داود، العلم (٣٦٦٨) سنن ابن ماجه، الزهد (٤١٩٤) مسند أحمد بن حنبل (١/ ٤٣٣).

فَوَائِدُ وَأَحْكَامٌ

* قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠] يعم الشرك الأكبر والأصغر؛ فمراءاة الناس من الشرك الأصغر.

* المنافقون هم أعداء الله ورسوله، فهم شر من الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

* قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] طاعته وتوحيده والإخلاص له، والتوحيد والإخلاص أعظم الواجبات.

* قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] عهد بينك وبين ربك أن تعبده، وأن تستعين به، ومحبة أهلك وولدك تابعة لمحبة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] صاحب الشرك الأصغر إذا رجحت حسناته يُرجى أن يغفر له وظاهر الآية أنه مندرج تحت الشرك الأكبر في عدم المغفرة، لكنه لا يُخلَّد في النار.

* ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٢٥] العلو: علو الذات والقدر والقهر.

* قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات:٦] إذا لم تعرفه؛ فالأصل فيه أنه كان ظلوما جهولا حتى يثبت أنه عدل، ورواية المجهول لا تقبل وكذلك الفاسق.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١١١] معناه: النفي، أي: لا أحد أوفى من الله.

* قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ﴾ [التوبة:١١٢]، أي: هم التائبون العابدون الحامدون...، وهذا من أوصاف المؤمنين الصالحين في أنفسهم الساعين في إصلاح غيرهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [التوبة:٧١].

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤] معناه: كثير العبادة، يسأل ربه، ويتضرع إليه، ويلجأ إليه ﷻ.

* قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١]، أي: لا يلمز بعضكم بعضًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء:٢٩]، أي: لا يقتل بعضكم بعضًا.

* وسألت سماحة الشيخ رحمه الله عن قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤]؟

* قال الشيخ رحمه الله: همَّ بالفاحشة، وهمت هي بالفاحشة لولا أن رأىٰ ما صده عن الفاحشة. وقلت للشيخ: تقوىٰ الله؟! قال -رحمه الله تعالىٰ- الله أعلم[1].

❁❁❁

(١) الفوائد الجلية من دروس الشيخ ابن باز العلمية، قيدها وأعدها علي الزهراني (ص:٢٢١).

الْمَرَاجِعُ

- *مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز.* جمع وترتيب وإشراف د. محمد بن سعد الشويعر، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.
- *فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء.* جمع وترتيب عبد الرزاق درويش.
- *فتاوى نور على الدرب.* للإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله اعتنى به أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، وأبو عبد الله محمد بن موسى الموسى.
- *مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.* إعداد الدكتور عبد الله بن محمد بن احمد الطيار، والشيخ: أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- *فتاوى الطلاق الصادرة عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز* إعداد الدكتور عبد الله بن محمد أحمد الطيار، والشيخ محمد بن موسى الموسى.
- *سلسلة كتاب الدعوة،* الفتاوى لسماحة الشيخ الجزء الثالث، والجزء الرابع. مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية.
- *مسائل أبي عمر السدحان الجزء الأول والثاني،* لسماحة الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان.

✍ *كتاب أركان الإسلام للإمام عبد العزيز بن باز*، إعداد ومراجعة د. محمد لقمان السلفي، مركز العلامة بن باز للدراسات الإسلامية بالهند.

✍ *كتاب الفوائد الجلية من دروس الشيخ عبد العزيز بن باز العليمة*، قيدها وأعدها: علي بن مفلح بن خصران الزهراني.

✍ *كتاب حديث المساء لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز* رحمه الله فرغه واعتنى بإخراجه صلاح الدين عثمان أحمد أمين مكتبة سماحته في البيت.

وأسأل الله أن يتقبله بواسع فضله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

❁ ❁ ❁

الْفِهْــــرِسُ

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

۞۞۞